الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأميرعبد القادر للعلوم الإسلامية
-قسنطينة-

كلية الآداب والحضارة الإسلامية
قسم اللغة العربية

الرقم التسلسلي:.....

رقم التسجيل:.....

أثرالإعجاز القرآني الكريم في نشأة نحو النص العربي عند علماء اللغة في القرن الخامس الهجري

رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في اللغويات

تخصص لغويات

إعداد الطالب:
عمار صويلة

إشراف:
أ.د رابح دوب

أعضاء لجنة المناقشـــة:

أعضاء اللجنة	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية	*الصفة*
أ.د /ذهبية بورويس	أستاذ	جامعة –الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية– قسنطينة	رئيسا
أ.د/رابح دوب	أستاذ	جامعة –الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية– قسنطينة	مشرفا ومقررا
أ.د/ صالح خديش	أستاذ	جامعة –عباس لغرور– خنشلة	عضوا ممتحنا
أ.د/عبد الناصر بن طناش	أستاذ	جامعة الأمير عبد القادرللعلوم الإسلامية قسنطينة	عضوا ممتحنا
د بلخير أرفيس	أستاذ محاضر	جامعة –محمد بوضياف– المسيلة	عضوا ممتحنا
د.سلاف بوحراثي	أستاذ محاضر	المدرسة العليا للأساتذة–آسيا جبار قسنطينة	عضوا ممتحنا

السنة الجامعية 1440-1441هـ / 2019-2020 م

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الإهداء

إلى والدي العزيز الذي عانى مشقات الزمان من أجل تعليمنا.

إلى روح والدتي التي اقتحمت الصعاب والمشاق وتعبت أيما تعب من أجل تربيتنا وبفيض حنانها وحبها غمرتنا.

إلى إخوتي وأخواتي الذين ينبض بحبهم قلبي ويطوف بذكراهم خيالي إذ عشت معهم شطرا جميلا من حياتي.

إلى زوجتي التي ساندتني في السراء والضراء.

إلى فلذة كبدي سلمى لجين ابتسامة الحياة، ريحانتي وقرة عيني.

إلى كل من أحبني ومد لي يد المساعدة.

أقدم هذا الجهد المتواضع..

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الشكر والعرفان

اللهم ما بنا من نعمة فمنك لا إله إلا أنت نحمدك على آلائك ونسألك الهداية على مرضاتك، لك الحمد كل الحمد. إذ يطيب لي وأنا أكتب السطور الأخيرة من هذا البحث أن أقدم وافر شكري وعظيم امتناني لكل من أسهم في إنجاز هذا البحث وإنه من تمام نعمة الله على عباده أن يعرفوا لذوي الفضل أفضالهم، وأن يؤدوا ما وجب عليهم حيالهم، من هنا فأنا أقدم وافر شكري للأستاذ الفاضل الدكتور رابح دوب الذي تولى متفضلا الإشراف على الرسالة وتقويمها وإخراجها إلى النور، فقد قرأها وأبدى ملاحظاته التقويمية التي ترفع من شأنها، وكان يجهد نفسه قراءة نصوصها ودقائقها، فكان نعم المعلم والناصح الأمين في جميع المراحل، فجزاه الله –عز وجل– أحسن الجزاء وبارك له في عمره وعلمه، ومهما كتبت فلن أوفيه حقه وله من الله تعالى الجزاء الأوفى، وكبير الشكر موصول للجنة المناقشة الفاضلة ممثلة برئيستها الأستاذة الدكتورة الفاضلة ذهبية بورويس، والأستاذ الدكتور الفاضل عبد الناصر بن طناش، والأستاذ الدكتور الفاضل صالح خديش، والأستاذ الدكتور الفاضل بلخير أرفيس، والأستاذة الدكتورة الفاضلة سلاف بوحراثي، كما أشكر رئاسة قسم اللغة العربية وعمادة كلية الآداب والحضارة الإسلامية والسادة: رئيس اللجنة العلمية للقسم ورئيس المجلس العلمي للكلية،وأعضاءهما المحترمين، وأشكر كذلك جميع الأساتذة الكرام في قسم اللغة العربية في كلية الآداب والحضارة الإسلامية.والشكر أيضا لأصحاب المكتبات الخاصة والعاملين في المكتبات العامة التي أفدت منها لا سيما مكتبة الآداب والعلوم الإنسانية والقائمين عليها حفظهم الله ورعاهم، وشكري لأسرتي التي تحملت معي هموم البحث ومشقاته ممثلة بوالدي الكريم وإخوتي وأخواتي وزوجتي وابنتي العزيزة سلمى لجين.

كلام لا بد منه

"من إعجاز القرآن أن يظل مطروحا على الأجيال تتوارد عليه جيلا بعد جيل، ثم يبقى أبدا رحب المدى سخي المورد، كلما حسب جيل أنه بلغ منه الغاية، امتد الأفق بعيدا وراء كل مطمح، عاليا يفوت طاقة الدارسين"

"من فجر المبعث، فرض القرآن إعجازه على كل من سمعوه من العرب، على تفاوت مراتبهم في البلاغة، وقد تحير المشركون في وصفه، وحرصوا أن يصدوا العرب عن سماعه، عن يقين بأنه ما من عربي يخطئه أن يميز بين هذا القرآن، وقول البشر"

من كتاب الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق. عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مقدمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين الذي لم يجعل السبيل إلى معرفته إلا بالعجز عن درك معرفته، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، وأنزل هداه على رحمته المهداة للعالمين لينيربه القلوب الغاشية، والصلاة والسلام على من كان خلقه القرآن، سيدنا محمد عبده ورسوله علما للهدى ونبراسا مضواء إلى كل خير، وعلى آله وأصحابه المصطفين الأخيار الغر الميامين ومن اهتدى بهديهم واتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد، فإن المرء ليقف إجلالا –وكله إكبار وتقدير–أمام جهود جمهرة من العلماء الذين وقفوا إنتاج عبقريتهم الفذة على خدمة لغة الوحي، فكتبوا في تفسيره، وتفننوا في معرفة المحكم والمتشابه من كلمه، وبرعوا في عرض وجوه إعجازه، فالقارئ المتذوقحين يقرأ لغة النص القرآني يستطيع أن يدرك أن تركيب وحداتها النصية وطرائق سبكها وحبكها هو الذي يمنح مفاهيمها الجزئية والكلية حظها من الحياة، كما يستطيع أن يدرك أن نصها وما اشتملت عليه بنيتاه العميقة والسطحية خاضع لنظم عجيب، كما يلحظ المتأمل في تلك اللغة أن نظمها عجيب قد تآلفت وتناسبت دره وجواهره، وأن هذه الجواهر وتلكم الدرر قد ارتكزت في تماسك بنيانها وتناسق عمرانها على وشائج وعلاقات، علاقات أدت دورا فاعلا في الربط والوصل بين مقاصدها النصية والأغراض.

ولقد تعاظم الشعور والاهتمام، في السنوات القليلة الأخيرة من القرن الماضي، عند علماء اللغة المحدثين، بضرورة تجاوز حدود الجملة في تناول ودراسة اللغة، وبواجب الأخذ بعين الاعتبار للمعايير اللفظية والتركيبية والأسس المعنوية والسياقية في تحليل أشكال التعبير وإجراءاته مما حتم بزوغ فجر جديد للتناول اللغوي للنصوص ممثلا بما

أصطلح عليه نحو النص أو لغة النص أو علم النص.

إذ يعتبرنحو النصحلقة من حلقات التطور الموضوعي والمنهجي في دراسة اللغة، وطريقة جديدة من طرائق التناوللظاهرة اللغوية في الوضع والاستعمال، وقد ظهرت الملامح الأولىلهذا العلم على يد الأمريكي هاريس"harris"في بداية النصف الثاني من القرن الماضي في مؤلفه" تحليل الخطاب " الذي دعا فيه إلى ضرورة دراسة العلاقات والروابط النحوية بين الجمل، ثم تطورت تلك الملامح والإرهاصات في السبعينات من ذلك القرن على يد الهولندي " فان ديكvan dijik " الذي حثعلى أهمية أن يشمل الوصف النحوي العلاقات والروابط بين الحمل في المستويين: السطحي والعميق، وعدم الاقتصارعلى الوصف النحوي لتلك الروابط أو ما يطرأ عليها من تغييرات على المستوى السطحي فقط، وقد أصبح هذا العلم حقيقة راسخة على يد الأمريكي روبرت دي بوجراند" robert de beau grande" في ثمانينات القرن الماضي، وبخاصة بعد أن وضع سبعة معايير: السبك، والحبك، والقصدية، والتقبلية، والإعلامية والمقامية، والتناص، وضرورة أن تتوافر في النص ليكون نصا.وتأتي أهمية هذا البحث الموسوم ب (أثر الإعجاز القرآني الكريم في نشأة نحو النص العربي عند علماء اللغة في القرن الخامس الهجري) في محاولته للكشف عن الأصول والأسس المعرفية لتلك المعايير في تراثنا النقدي والبلاغي التي ربما أفاد منها الباحثون الغربيون الدارسون لعلم النص، فإن تأكد ذلك فليس لبعضهم حينئذ أن يدعي أن وجود أصول وجذور معرفية للمعايير النصية في تراثنا العربي يسوغ لنا أن نتجاهل أو نقلل من قيمة الجهود الغربية التي تحاول رسم تصور منهج جديد في تناول اللغة تناولا نصيا، بل قد يعيننا هذا المنهج في تقديم فكرنا الحضاري إلى الآخر الذي أساء فهم بعض جزئياته بعد أن اجتزأهاوأخرجها من سياقها النصي الكلي الشمولي.

ثمة دعوة يقدمها أصحاب هذا التناول الجديد تتضمن أهمية تجاوز حدود الجملة في التحليل اللغوي، وهي دعوة لا شك في صحتها، ولكن هذا لا يعني أن نحو الجملة قد عفا

عليه الزمن ولم تعد له أهمية بحسب ما يراه بعض المحدثين الغربيين ومن تبعهم، لأن المنهج الجديد نفسه لا يغفل الجملة، بل ينظر إليها من خلال علاقاتها بالجمل الأخرى المكونة للنص إضافة إلى ترابطها بالسياق الذي أنتجت فيه.

وقد أولي القرآن الكريم اهتماما لم ينله أي نص عرفته البشرية على مر العصور، من اهتمام وخدمة وتقدير وتفهم وتأويل ونقاش، فقد انبرى له المسلمون بالتلاوة والحفظ والتفسير والتأويل والتعلم والتعليم والتدبر، متبركين، مقدسين، يتدارسونه في المساجد ومجالس العلم والعلماء، لمحاولة إدراك ووعي مراميه، ومقاصده. وقد كان من خصائص القرآن الكريم أنه قدم الرسالة السماوية بأسلوب فنيقمة في الأداء والتميز، تفرد بروعة الجمال والكمال، فجاء نسيجه اللغوي معجزا، تحدى كل من سمعه بأن يأتي بآية من مثله. ولما كان النسيج القرآني قد بلغ قمة الرقي البلاغي وأعجز كل انس وجن أن يأتوا بمثله، وأحيط بمعطيات خارجية مختلفة ومتنوعة من أهمها أسباب النزول، تميز بثراء دلالي لا نظير له، لاسيما بعد أن تطورت الحياة وازداد الاحتكاك بالأمم الأخرى، فقد أسهم هذا التطور في إثراء الدلالة لآيات الذكر الحكيم، نظرا وتناسبا لتنوع المتلقي الذي تتحكم فيه متغيرات اجتماعية وسياسية واقتصادية وثقافية عديدة، فكلما ازداد التواصل والاحتكاك بالثقافات الأخرى، كان تلقي النص القرآني بمسيس الحاجة إلى قراءات تستوعب متغيرات الحياة بمختلف ألوانها.

ومن المعلوم أن النص القرآني قد تناوله بالبحث والتفسير والتأويل علماء الفقه والأصول والتفسير والبلاغة، ولكن كان لعلماء " علوم العربية" النصيب الأوفر في مقاربة النص القرآني" فقد عنى المفكرون والباحثون من المسلمين بالقرآن الكريم عناية لم يظفر بمثلها كتاب سماوي،وتبدو هذه العناية فيما ظهر من مؤلفات ودراسات متنوعة المجالات وذلك بتوظيف كثير من العلوم والآليات التي تحيط بالنص القرآني، من جوانب متعددة، وتستكشف قيمه الدلالية وجوانبه الجمالية وعلاقاته الكلية، فكان هذا العلم مؤهلا لأن يكون أقرب إلى النهج الذي نهجته لسانيات النص وتحليل الخطاب،وهو صالح لأن

يصاغ منه أنموذج تحليلي يستخرج أعماق النص ويكشف قيمه الجمالية، بل ليكتشف به مزيد من المزايا الجمالية التي تنطوي عليها اللغة العربية.

وإن المتأمل في المؤلفات القديمة اللغوية والنحوية، يدرك قيمة ذلك التراث الضخم الذي تركه لنا القدماء، ويعرف حق المعرفة قيمة تلك الجهود التي بذلها علماؤنا الأوائل، وهي جهود تضاهي أو تتجاوز في أحايين كثيرة ما توصل إليه اللغويون الغربيون المعاصرون، فقد قاموا بجمع كم هائل من الشواهد ودونوها وصنفوها إلى مستويات لغوية: صوتية، وصرفية، وتركيبية، ثم قاموا بوضع العناصر التي يمكن أن تكون في كلياتها نظرية لغوية متكاملة، لا تقل عن النظريات اللغوية لعلماء اللسانيات المعاصرين في الغرب.

وقد تنبه العلماء العرب القدماء أنهم كانوا يصفون اللغة وصفا شاملا، ويضعون الخصائص التي تتلاءم وخصائص العربية، هذه الجهود التي لو أنها جمعت ونظمت لكانت أكثر علمية وشمولية لما توصلت إليه النظريات اللسانية الغربية.

إذ نهدف من خلال هذا البحث إلى تناول مدونة تراثية نسعى من خلالها إلى تحيينها وقراءتها في ضوء الدراسات اللسانية الحديثة هذه المدونة المتمثلة في مؤلفات علماء الإعجاز القرآني في القرن الخامس الهجري وتناولها في ضوء تناول النحو النصي.

وتأسيسا على ما تقدم جاءت فكرة موضوع هذه الرسالة "أثر الإعجاز القرآني الكريم في نشأة نحو النص العربي عند علماء اللغة في القرن الخامس الهجري " محاولة لكشف وطرح تلك المفاهيم والمعايير التي جاءت بها الدراسات النصية المعاصرة وقراءة تلك المؤلفات في ضوء علم نحو النصومدى تحقق تلك المفاهيم والمعايير في مؤلفاتهم؛وإن المتأمل في دراسات القدماء: اللغوية والنحوية، يدرك قيمة هذا التراث الضخم الذي تركه لنا السلف، ويدرك أيضا الجهد والمعاناة التي بذلها اللغويون والنحاة على حد لا يقل عما قام به الباحثون اللغويون المعاصرون، فقد جمعوا كمية كبيرة من المعطيات والشواهد

ودونوها ثم قاموا بتصنيفها إلى مستويات لغوية: صوتية، وصرفية، وتركيبية، ثم قاموا بوضع العناصرالتي يمكن أن تكون في مجموعها نظرية لغوية متكاملة، لا تقل عن النظريات اللغوية المعاصرة في الغرب.وقد أدرك علماء العربية القدماء أنهم كانوا يصنفون ويصفون اللغة تصنيفا ووصفا شاملا، ويضعون الخصائص التي تشترك فيها العربية مع اللغات الأخرى، إلا أن أفكار هذه النظرية كانت مشتتة مبعثرة في مؤلفاتهم وذلك لسبب موسوعية تفكيرهم وطرحهم آنذاك، هذه الأفكار لو جمعت لانتظمت في نظرية لا تقل شمولية وكلية عن النظريات اللسانية المعاصرة حيث نتوخى من هذا البحث تناول قرائي لمدونة تراثية نسعى من خلالها إلى تحيينها مع الدرس اللساني المعاصر، فهذا البحث سيحاول الإجابة عن أسئلة كثيرة.فأما عمدتها وقوامها القضايا التالية:

هل توجد نظرية ورؤية نحوية نصية في التراث العربي؟

- ما هي مفاهيم ومعايير نحو النص في الدراسات التي تناولت القرآن الكريم؟
- كيف أسهمت الدراسات الإعجازية في بلورة نظرية نصية متكاملة وأسست لها في دراسات علماء القرن الخامس الهجري؟

وتتجلى أهمية هذا البحث في كونه يسعى إلى كشف تبلور نظرية النحو النصي في تراثنا واضحة جلية وأسبقية علماء الإعجاز القرآني لتناول مفاهيمها ومعاييرها في دراساتهم ومؤلفاتهم.

وإن من أسباب اختيارنا هذا الموضوع ولماذا نصية القرآن؟ فان الأسباب كثيرة ومتنوعة،الجواب القريب:أن النص القرآني عماد اللغة العربية، وركن ركين من أركانها. فلقد شغفني حب الكتاب العزيز مذ شدوت في خطى البحث والدرس، وتملكنيالشوق والطموح إلى نيل شرف البحث في مادة من علومه وهي كثيرة.وأمعنت النظر جليا في مباحث الدارسين الذين أفصح علمهم بالبحث في لغاته، وكشف بوارق إعجازه من أهل التفسير وفرسان البيان فانقدح في خاطري –بفضل الله وتوفيقه–أن أبحث في موضوع

تلمسه القدماء من المفسرين وعلماء الدراسات القرآنية تلمسا خفيفا، وأثرى مباحثه،وتتمثلالأسباب الموضوعية التي دفعتنا لاختياره فيما يلي:

-تزايد الاهتمام في الآونة الأخيرة ب" نحو النص" حيث لفت انتباهي إلى تناول ودراسة هذه المادة تناولا،نحاول فيه إظهار مدى إسهام التراث العربي في هذا الجانب من خلال كتب الإعجاز القرآني مع الأخذ بعين الاعتبار الظروف والملابسات التاريخية التي كان لها الأثر الواضح في نشأة هذا العلم.

-ضرورةإحداث التقارب بين التفكير اللغوي التراثي والحديث والربط بينهما من خلال البحث في الإعجاز القرآني من خلال ما ذهبت إليه الدراسات النصية المعاصرة.

-إثبات احتواء التراث العربي على مباحث وأفكار ذات توجهات وإجراءات نصية،أي الكشف عن الوجه الآخر للتفكير اللساني العربي، ومن ثم يكون النحو النصي مدخلا جامعا من مداخل فهم هذا التراث القيم، وأداة من أدوات قراءته.

-الإسهام بجهد متواضع ينضم إلى الجهود التي تهدف إلى قراءة هذا التراث قراءة جديدةتحاول أن تعيد إليه هويته اللغوية.

ومن الأسباب الذاتية:

-رغبتنا الشديدة في إحياء التراث العربي،وتناولا لمدونات التراثية التي كانت أساسا متينا لكل العلوم اللغوية.

-محاولة تأصيل نحو النص من خلال مؤلفات الإعجاز القرآني.

-استجلاء مقومات ومعايير ومفاهيم نحو النص عبر دراسة تحاول ربط التراث العريق بحركية التطور المعاصرة.

- رغبتنا في إظهار الجوانب المشرقة في هذا التراث الثري والغني.

-اقتناعنا بأن التراث العربي تراث غني وثري،وأن جهود علمائنا اللغويين الأوائل لا تقل قيمة وأهمية عن جهود علماء الغرب المعاصرين.

وقد لاحظنا ونحن نطلع على كتب ومؤلفات علماء الإعجاز القرآني في القرن الخامس

الهجري لاسيما مؤلفات الإمام الجرجاني أنها تحتوي على الكثير من معايير النصية فوقع في نفوسنا هذا التساؤل، كيف أشار الإمام عبد القاهر إلى معايير النصية انطلاقا من نظرية النظم ؟ وما هي المفاهيم والأدوات العملية التي اتخذها في تناوله لآي القرآن الحكيم والأبيات الشعرية والتي من خلال ذلك اتضحت ملامح وإشارات التناول النصي في مؤلفاته؟

ولا بد من الإشارة إلى أن هذه الدراسة قد سبقت برسائل علمية جامعية، فنال هذا الموضوع الكثير من اهتمامات الدارسين الذين خاضوا غماره، بين واصف ومحلل وناقد وتنوعت كيفية وطريقة تناول كل واحد منهم حسب ميول واتجاهات كل دارس، فكان أن اتخذت بعض الدراسات السابقة من بعض معايير النص موضوعا تدور حوله، ومنها مثلا " الاتساق في العربية، والقصدية في النص القرآني " ومفاهيم لسانيات النص وتحليل الخطاب في دلائل الإعجاز والإسهامات النصية في التراث العربي أطروحة دكتوراه للطالب بن الدين بخولة جامعة وهران؛ إذ تناولت الدراسة الأولى موضوع الترابط النحوي بين الجمل في اللغة العربية على غرار ما قام قدمه هاليداي ورقية حسن " في كتابهما: " الاتساق في الانكليزية، وقد حاول الباحث أن يسلط الضوء على ما يمكن أن يعد وسائل اتساق تؤدي وظيفة الترابط النحوي في ظاهر النص.أما الدراسة الثانية فقد دارت حول وصف القصدية في النص القرآني على أنها مطلقة عامة تشتمل على جميع المقاصد في كل زمان ومكان، والدراسة الثالثة تناولت دراسة في علم المصطلح أي دراسة مصطلحية لبعض مصطلحات لسانيات النص وتحليل الخطاب في كتاب دلائل الإعجاز، لكنها لم تتناول مفاهيم لسانيات النص إلا إشارات ولمحات خاطفة.أما الدراسة الرابعة فتناولت الدراسات النصية في التراث العربي بصفة عامة بدون أن تبين أثر الدراساتالإعجازية القرآنية في إسهامها الواضح والجليفي بلورة هذا العلم اللساني ؛كما لا يجب أن نغفل الدراسة التي قدمها د. سعد مصلوح على نص شاعر قديم " نحو أجرومية للنص الشعري دراسة في قصيدة جاهلية" فهي أنموذج يحتدى به.

ومع أهمية ما جاء في الدراسات– المذكورة–فإن هذا البحث ينطلق من أن تناول المعايير السبعة –معايير النص – مجتمعة يكون أكثر جدوى مما لو درست مجزأة إذ تتعاضد مع بعضها البعض، لتقدم رؤية واضحة في التعامل مع النصوص المختلفة، إنتاجا وتلقيا، وأيضا يؤصل للمفاهيم والمعايير النصية عند علماء الإعجاز القرآني في القرن الخامس الهجري لا سيما مؤلفات الجرجاني (ت471ه) من خلال تطبيقاته في تناولاته بالتعليق والدراسة لكثير من آي الذكر الحكيم والشواهد الشعرية..

ويعد هذا البحث من الدراسات الموازنة بين التراث والحداثة، إذ يشترك النقد والبلاغة في التراث العربي من جهة وعلم لغة النص من جهة أخرى في أنهما يسعيان إلى إيجاد قواعد وأسس لإنتاج الخطاب أو النص وتلقيه، ولذلك اقتضت طبيعة البحث أن تكون الرسالة في أربعة فصول، تتصدرها مقدمة وتقفوها خاتمة.

وقد جاء الفصل الأول مقسما على أربعة مباحث، وقفت المبحث الأول منها: على مفهوم النص عند العرب القدماء، ثم عند المحدثين من غرب وعرب، وتحدثت في المبحث الثاني: عن أنماط النص عند العرب القدماء، ثم عند الغربيين المحدثين، أما المبحث الثالث: فقد تحدثت فيه عن نظرة العرب القدماء إلى النص التي ترددت بين نظرة جزئية تارة، ونظرة كلية شمولية تارة أخرى، ثم تحدثت عن التحول الذي طرأ في دراسة اللغة عند الغربيين المحدثين من مستوى الجملة إلى مستوى النص أما.المبحث الرابعفتناولت فيه التعريف ببعض مصطلحات نحو النص.

أما الفصل الثاني فتناولت فيه اتجاهات البحث في النحو في القرآن الكريم التي كشف عنها البحث، وتوزعت على أربعة مباحث: الأول الاتجاه التفسيري، والثاني اتجاه نحو القراءات، والثالث الاتجاه اللغوي، والرابع الاتجاه النصي.

أما الفصل الثالث فتناولت فيه تجليات معايير ومفاهيم نحو النص في مؤلفات التراث العربي من خلال أربعة مباحث: الأول في القصد، والثاني في الترابط النحوي والتماسك النصي، والثالث في المعنى، والرابع في مراعاة المخاطب وأحواله وقرائن المقام والأحوال.

أما الفصل الرابع فقد خصصته للحديث عن مفاهيم ومعاييرنحوالنص ومدى توافرها في مؤلفات علماء الإعجاز القرآني في القرن الخامس الهجري سيما مؤلفات الجرجاني والمتمثلة في الرسالة الشافية ودلائل الإعجاز وأسرار البلاغة وقد قسمت الفصل إلى أربعة مباحث جاءت كالآتي:

توطئة

المبحث الأول: ما يتصل بالنص في ذاته (معيارا: السبك والحبك)

المبحث الثاني:مايتصل بالمستوى المعجمي (التكرار والمصاحبة المعجمية)

المبحث الثالث: مايتصل بمستعملي النص(معايير:القصدية،والتقبلية،والإعلامية)

المبحث الرابع:مايتصل بالسياق الخارجي محيط النص(معيارا:المقامية،والتناص)

ثم أوردنا بعد ذلك خاتمة مضمنا إياها نتائج البحث وخلاصته.يعقبها ملخص بالعربية والانجليزية والفرنسية.

وإنه لنرجو–عبر فصول هذه الأطروحة الأربعة –أن نستثمر في قراءة الموروث اللساني العربي عبر حقول معرفية متعددة على نحو علوم البلاغة والنحو والتفسير وأصول الفقه...الخ، لهذه المبررات كما سنقوم في هذا البحث بتحليل هذا الجهد في البحث اللغوي أعني ظاهرة نحو النص ومحاولة تأصيلها وإثراء الرؤية الغربية المعاصرة للظاهرة وتعميقها بمزاوجتها بالجهد الذي بذله أسلافنا القدماء.

أما منهجنا في البحث فقد اعتمدنا المنهج الوصفي التحليلي في الكشف عن ملامح تأثير الإعجاز القرآني الكريم في نشأة نحو النص في التراث العربي، حيث قمنا بتتبع المفاهيم والمعايير النصية التي تبلورت في مؤلفات الإمام عبد القاهر الجرجاني في كتب الرسالة الشافية ودلائل الإعجاز وأسرار البلاغة.وهذا المنهج هو منهج علماء العربية القدماء كما أنه منهج الدراسات اللسانية الحديثة.واعتمدنا أيضا منهجا انتقائيا في الاستدلال والكشف عن دقائقه، وهذا المنهج الانتقائي لا يخلو من تحليل الآراء ومناقشتها وموازنتها.

وقد تنوع استقاؤنا للمادة العلمية، فقد اعتمدنا في هذه الدراسة على عدد وافر من المصادر القديمة والمراجع الحديثة العربية والأجنبية، وذلك في الميادين المتصلة بهذه الدراسة. فمن المصادرالعربية القديمة كتب القدماء في النقد والبلاغة، ولا سيما مؤلفات علماء الإعجاز القرآني، وكذلك كتب النحو، والمعاجم اللغوية، وكتب إعراب القرآن الكريم، وكتب أصول الفقه، وعلوم القرآن، وكتب تفسير القرآن، وبعض دواوين الشعراء، فضلا عن كتب علماء اللغة والنحو والدلالة المحدثين.لاسيما تلك المؤلفات المتصلة بالنص اللغوي وتحليله والمؤلفات المتعلقة بقراءة الظواهر اللغوية في ضوء المناهج اللسانية الحديثة، ومنها مؤلفات: سعد مصلوح، ود. نادية رمضان النجار، ود. هناء محمود إسماعيل، ود. نهادالموسى، ود. أحمد عزت يونس، ود. تمام حسان،ود. محمد سالم أبو عفرة، ود.محمد خطابي،والأزهر الزناد، ود. عبدالرحمن بودرع، ود. إبراهيم محمود خليل، ومحمود حسن الجاسم،وغيرهم.

ولا يفوتنا أن نذكر بأن مقاربة وتناول النص القرآني محاولة لا تخلو من صعوبة، أهمها اتساع دائرة المعارف والمعلومات والبحوث والدراسات المتعلقة بهذه المقاربة قديما وحديثا؛ مما يجعل حجم العملي البحثي الاستقرائي واسعا وكبيرا، كما أن تشكيل رؤية وقراءة جديدة للنص القرآني في ضوء المناهج اللسانية الحديثة يعد أمرا شائكابحاجة إلى حرص كبير وحذر شديد في الاستنتاجات وإصدار الأحكام، كما أن مناقشة وجهات

النظر المطروحة في التجارب المنهجية حول الموضوع يحتاج إلى فطنة ووعي بحثي أكاديمي عال.فقد واجهنا صعوبات جمة في تناولنا هذا الموضوع تمثلت أساسا في:

-أن الدرس النصي عمل معقد وتناول جديد حديث عهد بالدراسة؛ إذ يتطلب أدوات مختلفة ومتشعبة،ليس من اليسير توافرها إلا لدى الباحثين الذين يتوفرون على روية وصبر على جمع تلك الأدوات من مصادرها ومظانها الصحيحة، وهذا يتطلب جهدا كبيرا، لا سيما وأن أغلب تلك المصادر مكتوب باللغات الأجنبية.

-عدم المواءمة في الكثير من بحوث نحو النص بين المفاهيم النظرية الأصلية والتصورات الفصلية الجزئية التي تشكلت عنده الدارسين.

-تشعب مادة الموضوع وتفرقها في المصادر والمراجع نظرا لاتصال كتبالإعجاز القرآني بعلوم كثيرة مما يتطلب من الباحث موسوعية المعرفة والإلمام بالمناهج وطرائق التناول اللساني المستحدثة.

وإننا نأمل أن نكون قد أضفنا إلى الدراسات اللسانية التطبيقية شيئا جديدا.كما نأمل أن يكون في هذه المقاربة للنص القرآني في ضوء بعض مناهج النظر الحديث خدمة لكتاب الله عز وجل، وإظهارا لبعض معالم إعجازه في التعامل مع الإنسان والكون والحياة في الجانب اللغوي الاجتماعي، فهو منهج الحياة العظيم ودستورها القويم.

وأخيرا لا أدعي لهذا البحث الكمال لأن النقص من صفات البشر، وما فيه من جهد فهو جهد المقل،إذ لابد من كلمة شكر وامتنان إلى من كان لهم الفضل في إنجازهذه الأطروحة، وأخص بالذكر منهم أستاذي الكريم الأستاذ الدكتور رابح دوب، فكان نعم الناصح والمرشد الأمين لطلابه ليأخذ بأيديهم إلى آفاق اللغة والبيان،وحسبي أنني أخلصت الجهد والعمل وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب،وآخر دعوانا أن الحمدلله رب العالمين وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وصحابته الطاهرين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

الفصل الأول

الإطار النظري والتاريخي لنحو النص

توطئة

المبحث الأول: مفهوم النحو

المبحث الثاني: مفهوم النص

المبحث الثالث: نحو النص، مفهومه وتاريخه

المبحث الرابع: التعريف ببعض مصطلحات نحو النص

خلاصة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

توطئة

يقوم البحث على فكرة منهجية وهي استقراء أحدث مناهج علم اللغة وهو لسانيات النص وتحليل الخطاب، بخصوص ما يمكن أن يقدمه من جديد في تحليل النصوص واستكشاف بنياتها الداخلية والوقوف على بلاغة تماسكها وجماليات انسجام عناصرها، والوقوف على معانيها الكلية التي لا يقوى نحو الجمل على استكشافها وبيانها.

ووقف الدرس اللساني منذ القديم عند حدود الجملة، فبين مكوناتها ومتعدد القواعد التي تحكمها، لكن الجمل تنجز في سياقات ، ويبدو أن نحو الجملة يبقى قاصرا على الإلمام بكثير من الظروف والملابسات التي تتوافر في هذه السياقات، والتي يتأسس عليها الفهم والإفهام، ولذا أصبحت الحاجة ماسة لظهور علم النص. وقد ساهم في هذا الظهور جهود عديدة بدأت منذ دوسوسير[1].

وتبرز قيمة الفصل في أن مصطلح النص"text" وعلم اللغة النصي" textlinguistics" قد تشعبت تعريفاته واختلفت، ولم يستقر علماء اللغة والنصية – فيما علمت– على مصطلح وتعريف واحد، لا سيما تعريف مصطلح النص كما سنرى، إذ استعصى مصطلح النص على التعريف قديما وحديثا، إذ كثيرا ما تعددت الأسئلة في ماهيته، وأقسامه، وأغراضه، وتمايزه عن أشكال تواصلية أخرى"[2].

وهذا الأمر يستوجب على البحث في أولى طريقه التعرض لأهم التعريفات للنص وما يدور في حيزه، وذلك ليتسنى لنا محاولة الإلمام بالموضوع، ومحاولة حصر أقرب التعريفات للنص لاعتمادها أساسا ومرجعا للتحليل والتناول الذي سوف يأتي.

[1] - الأزهر الزناد ، نسيج النص، بحث في ما يكون به الملفوظ نصا، ، المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء، المغرب،1993ط1، ص:14.
[2] - نعمان عبد الحميد بوقرة، الخطاب والنظرية والإجراء: دار جامعة الملك سعود للنشر، المملكة العربية السعودية، دط ،2019م، ص: 13.

يتناول هذا الفصل مفهوم النص عند القدماء ، ويتعرض لهذا المفهوم في محورين ، المحور الأول عند اللغويين سواء أكانوا أصحاب المعاجم أم الذين قعدوا والمحور الثاني يتعرض لمفهومه عند النقاد والبلاغيين القدماء وذلك بتتبع بعض المواضع التي ورد فيها مصطلح النص عندهم .

ينقسم هذا البحث إلى محورين على النحو الآتي:

المبحث لأول :مفهوم النحو

إن كان البحث يقودنا إلى التوقف عند كل من علم اللغة النصي والنصية والنص فيما انقضى فإنه يقودنا كذلك إلى الوقوف عند كلمة نحو، لأن هذه الكلمات تعد مصطلحات تؤسس لعنوان النص مجتمعة.

ترد كلمة نحو في العربية بعدة معان، أشهرها : القصد، والتحريف، والاعتماد، والمشابهة، والمقاربة، والجانب أو الجهة، والقسم أو البعض. وفيما يلي نتعرض لهذه المعاني بالتفصيل.

ذكر عن ابن السكيت (ت244ه) أنهم يقولون: نحا نحوه إذا قصده [1]. وأضاف ابن دريد (ت321ه) أن النحو هو القصد، ونحوت الشيء أنحوه نحوا إذا قصدته، وكل شيء أممته فقد نحوته[2].

ومما جاء بمعنى التحريف قولهم : نحا الشيء ويمجوه، إذا حرفه[3]. وربما معنى الانحراف والميل أخذ منه، فقد ذكر ابن منظور (ت711ه) قول العرب: نحا الرجل وانتحى ، إذا مال على أحد شقيه، أو انحنى في قوسه[4]. ويظهر أن الدلالة توسعت

[1] ابن منظور، لسان العرب، ط3، دار صادر، بيروت، 1994م، مادة (ن ح و):98/7.

[2] ابن دريد، جمهرة العرب ، دائرة المعارف العثمانية حيدر أباد الدكن/1345ه (ن ح و).

[3] ابن منظور، لسان العرب:(ن ح و).

[4] ابن منظور، المصدر نفسه: (ن ح و).

لتدل على الصرف والابعاد عن الأمر، فقد ذكر صاحب اللسان أنك تقول: نحوت بصري إليه بصره ينحوه إذا صرفه [1].

ومن ورودها دالة على الاعتماد ما جاء به الزمخشري (ت538ه)، فقد روى أنهم يقولون : انتحى على شقه الأيسر، إذا اعتمد عليه[2] وبين صاحب اللسان المعنى المشترك بين نحا وانتحى، فأورد قولهم: انتحى فلان على فلان على الشيء إذا اعتمد عليه ، وانتحى له وتنحى له إذا اعتمد، وهما بمعنى نحا له، ومنه الانتحاء وهو الاعتماد[3].

أما معنى المشابهة فقد جاء عند الزمخشري، إذ أورد أنك تقول : مررت برجل نحوك، والمقصود: مثلك [4]. ويبدو أنه من معنى المشابهة جاءت دلالة المقاربة، فقول: عنده نحو من مئة رجل [5]. والمراد ما يقارب مئة رجل ، كما أورد الكفوي (ت 1094ه) أنهم يقولون: نحو ألف درهم ويريدون ما يقارب ألف درهم [6].

وأما دلالتها على معنى الجانب أو الجهة فقد جاء في أساس البلاغة قولهم : هو على أنحاء شتى لا يثبت على نحو واحد ، وأنكم لتنظرون في نحو كثيرة، وأتاه من ناحية الكرم فوجده كريما[7]. وربما تطورت دلالتها لتدل على معنى القسم أو البعض، لأن جانب الأمر هو قسم منه أو بعضه.

---

[1] ابن منظور، لسان العرب: مادة (ن ح و).

[2] الزمخشري، جار الله محمود بن عمر، أساس البلاغة، دار الكتب المصرية،1223ه، (ن ح و).

[3] ابن منظور، لسان العرب: (ن ح و).

[4] الزمخشري، أساس البلاغة ، مادة (ن ح و).

[5] الزمخشري، المصدر نفسه ، مادة (ن ح و).

[6] الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى ، الكليات، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري،ط2، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ،دمشق،1981 م،375/4.

[7] الزمخشري، المصدر السابق: مادة (ن ح و).

هذه هي المعاني اللغوية التي راجت لكلمة "نحو"، أما المعنى الاصطلاحي فبداية ظهوره غير واضحة ، ويبدو أنه من الصعب تحديد الزمن الدقيق الذي استعمل فيه مصطلح النحو ، ولكن الروايات تشير إلى أنه استعمل في مرحلة متقدمة تعود إلى زمن أبي الأسود الدؤلي (ت69ه)، وفي القرن الأول للهجرة وقبل عصر ابن أبي إسحاق الحضرمي (ت117ه)، وربما كانوا يعنون به فرعا من فروع العربية، يختص بالإعراب وصار يسمى فيما بعد بالصرف، والذي يؤيد هذا الترجيح ما نقله[1] ابن سلام الجمحي (ت232ه) عن أبيه عن يونس بن حبيب (ت182ه): " وسمعت أبي يسأل يونس عن أبي إسحاق وعلمه قال : هو والنحو سواء، أي : هو الغاية...قال: وقلت ليونس: هل سمعت من ابن أبي أسحاق شيئا؟ قال : قلت له: هل يقول أحد الصويق يعني السويق؟ قال : نعم عمرو بن تميم تقولها ، وما تريد إلى هذا عليك بباب من النحو يطرد وينقاس"[2]. ومع تطور الزمن أخذ ينتشر مصطلح "النحو" ليأخذ دلالة اصطلاحية معينة ، بمفهومات متعددة متقاربة في معظمها .

أما سبب التسمية بالنحو، فهناك آراء كثيرة ذكرها العلماء، فقد جاء في اللسان نقلا عن صاحب تهذيب اللغة ما يلي:" ثبت عن أهل اليونان فيما يذكر المترجمون العارفون بلسانهم ولغتهم أنهم يسمون علم الألفاظ والعناية بالبحث عنه تحوا ويقولون كان فلان من النحويين، ولذلك سمي يوحنا الاسكندراني يحيى النحوي للذي كان حصل له من المعرفة بلغة اليونانيين"[3].

---

[1] الحلواني محمد خير، االمفصل في تاريخ النحو، تحقيق المتولي رمضان أحمد الدميري، دار التضامن للطباعة، القاهرة، 1988م، ص:51.

[2] ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء،تحقيق محمود محمد شاكر، دار المعارف ، مصر،1952م،15/1.

[3] ابن منظور، لسان العرب (ن ح و).

ومما ورد في المصادر أنم المعنى الاصطلاحي أخذ من معنى العدول والانحراف ، فقد ذكر ابن السكيت أن النحوي سمي نحويا، لأنه يحرف الكلام إلى وجوه الإعراب.[1]

ويذهب القسم الأكبر من اللغويين أن مصطلح النحو مأخوذ من معنى القصد، ومنهم ابن دريد، إذ ذهب إلى أن مصطلح النحو أخذ من معنى القصد، فكأنه قصد الصواب[2]. ثم أضاف ابن فارس (ت 395ه) أن المصطلح من المعنى المشار إليه، لأنه يقصد أصول الكلام، فيتكلم الإنسان بفضل النحو على حسب ما كانت العرب تتكلم به[3].ويرجع جزء من أصحاب هذا الرأي أخذ المصطلح من المعنى المشار إليه غلى واضع النحو الأول، وهو إما الإمام علي- رضي الله عنه-(ت40ه)، وإما أبو الأسود الدؤلي، إذ ذكروا أن علي بن أبي طالب سلم أبا الأسود الصحيفة النحوية، ثم قال له: انح هذا النحو، فسمي هذا العلم بهذا الاسم نسبة إلى الجملة التي قالها.

وذهب بعض الدارسين حديثا إلى أن المعنى الاصطلاحي ربما أخذ من معنى " المثل"، لأن المؤدبين استعملوا كلمة "نحو"، ليدلوا بها على الطريقة العربية في عبارة ما ، كأن يقول بعضهم لبعض: العرب تنحو في هذا كذا . وربما كان المؤدبون يستعملون كلمة نحو ليوضحوا القاعدة بالأمثلة التي يضربونها ، ويؤيد ذلك استعمال الكلمة بهذا المعنى في عصر سابق .

والذي نخلص إليه أن المعنى الاصطلاحي لكلمة نحو استمد تكوينه من الدلالات اللغوية السابقة جميعا ، فالنحوي بعمله يحرف الكلام عن وجهته المعتادة في المجتمع وعن صورته المسموعة المألوفة، وهو يريد بفعله هذا معرفة الصحيح من الكلام ، فهو يقصد إلى ذلك قصدا .

---

[1]- ابن منظور، لسان العرب (ن ح و).

[2]-ابن فارس، مقاييس اللغة (ن ح و).

[3]-الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، القاهرة، 1378ه، ص:89.

المبحث الثاني:مفهوم النص

كل بحث يجب أن يضبط مجال ومدار مباحثه واهتماماته التي يدور في فلكه والمفاهيم والمصطلحات الفاعلة التي يتأسس من خلالها، فيستوجب الأمر من خلال هذا تحديد مكانه من الاختصاصات المختلفة المتداخلة والمتشابهة؛ ويصبح باستطاعة المتلقي من فك رموز ومغاليق أي علم يلجه من خلال تبيان تلك المصطلحات والمفاهيم وهذه ضرورة منهجية وعلمية.

وتعريف النص.مثل أي تعريف أمر صعب لتعدد واختلاف معايير وأسس هذا التعريف ومدخلات باختلاف الاشكال والمواقع والغايات التي يتوفر في ما يتعلق عليه اسم نص[1].

أولا:مفهوم النص عند القدماء :

أ- **النص في المناهج العربية :**

إذا ما بحثنا في المعاجم العربية القديمة وجدنا لكلمة نص دلالات متعددة

من المعروف أن النص من الفعل نصص فقد عرفه ابن منظور،حيث جاء في لسان العرب في مادة ّنصصّ عدة معان للنص:

1) المعنى الأول الظهور والبيان، وذلك في قول ابن منظور: " النص": رفعك الشيء. نص الحديث ينصه نصا: رفعه. وكل ما أظهر، فقد نص .وقال عمرو بن دينار: ما رأيت رجلا أنص للحديث من الزهري أي أرفع له وأسند. يقال ك نص الحديث إلى فلان أي رفعه، وكذلك نصصته إليه. ونصت الظبية جيدها رفعته.ووضع على المنصة أي على غاية الفضيحة والشهرة والظهور .والمنصة ك ما تظهر عليه العروس لترى [2].

[1] الأزهر الزناد، نسيج النص بحث في ما يكون به الملفوظ نصا، ص:11.

[2] ابن منظور، لسان العرب، مادة (ن ص ص).

2) المعنى الثاني الرفع والتحريك وذلك في قوله:" ونص المتاع نص: جعل بعضه على بعض.ونص الدابة ينصها نصا: رفعها في السير، وكذلك الناقة. وفي الحديث النبي ،صلى الله عليه وسلم، حين دفع من عرفات سار العنق فإذا وجد فجوة نص أي رفع ناقته في السير، وقد نصصت ناقتي: رفعتها في السير ،وسير نص ونصيص وفي الحديث: أن أم سلمة قالت لعائشة ، رضي الله عنها ، ماكنت قائلة لو أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، عارضك ببعض الفلوات ناصة قلوصك من منهل إلى آخر؟ أي رافعة لها في السير قال أبو عبيد:النص التحريك حتى تستخرج من الناقة أقصى سيرها، وأنشد: وتقطع الخرق بسير نص

3) –المعنى الثالث الشدة والوصول بالشيء إلى أقصى غايته وذلك في قوله:...وأصل النص أقصى الشيء وغايته ، ثم سمي به ضرب من السي سريع .قال ابن الأعرابي : النص الإسناد إلى الرئيس الأكبر،والنص التوقيف ،والنص التعيين على شيء ما ،ونص الأمر شدته ؛ قال أيوب بن عباثة :

ولا يستوي ، عند نص الأمور باذل معروفه والبخيل

وفي الحديث عن علي –رضي الله عنه – قال :إذا بلغ النساء نص الحقاق فالعصبة أولى ، يعني إذا بلغت غاية الصغر إلى أن تدخل في الكبر فالعصبة أولى بها من الأم ، يريد بذلك الإدراك والغاية .[1]

4) المعنى الرابع بمعنى الاستقصاء والبحث عما جهل وذلك في قوله: ونص الرجل نصا إذا سأله عن شيء حتى يستقصي ما عنده. ونص كل شيء:منتهاه.. قال الأزهري ك النص أصله منتهى الأشياء ومبلغ أقصاها نومنه

[1] ابن منظور، المصدر السابق، مادة(ل س ن).

قيل:نصصت الرجل إذا استقصيت مسألته عن الشيء حتى تستخرج كل ما عنده ... وروي عن كعب أنه قال :

يقول الجبار احذروني فإني لا أناص عبدا إلا عذبته أي لا أستقصي عليه في السؤال والحساب ، وهي مفاعلة منه ، إلا عذبته .ونصص الرجل غريمه إذا استقصى عليه.

وفي حديث هرقل : ينصهم أي يستخرج رأيهم ويظهره ؛ومنه قول الفقهاء :نص القرآن ونص السنة أي ما دل ظاهر لفظهما عليه من الأحكام.[1]

5)المعنى الخامس بمعنى الاستقامة والاستواء قال صاحب اللسان :وانتص الشيء وانتصب إذا استوى واستقام ؛قال الراجز :فبات منتصبا وما تكردسا [2].

وقد أورد الزبيدي في تاج العروس المعاني ذاتها التي سقناها قبل من خلال لسان العرب إلا أنه اختص بمعان نرى من الأهمية بمكان للوصول إلى رؤية واضحة حول المفهوم اللغوي للنص أن نسوقها :

1) قوله : والنص :التوقيف :التعيين على شيء ما ، وكل ذلك مجاز من النص بمعنى الرفع والظهور .قلت : ومنه أخذ نص القرآن والحديث ، وهو اللفظ الدال على معنى لا يحتمل غيره : وقيل كنص القرآن والسنة : مادل ظاهر لفظهم عليه من الأحكام ،وكذا نص الفقهاء الذي هو بمعنى الدليل ، بضرب من المجاز ،كما يظهر عند التأمل [3].

[1]ابن منظور، لسان العرب، مادة(ن ص ص)

[2] ابن منظور، المصدر نفسه، مادة(نصص)

[3]الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الفكر، بيروت، مادة (نصص).

2) وقوله ك" وتناص القوم :ازدحموا ، هو مأخوذ من قولهم : نص المتاع ينصه نصا ، إذا جعل بعضه على بعض [1]هذا، وتحتاج المعاني اللغوية السابقة إلى وقفة تأمل ، ولا ينبغي أن ننظر اليها النظرة التقليدية المعهودة ، بوصفها المعنى اللغوي ، انتظارا للمعنى الاصطلاحي بل يجب أن نعدها خصائص ومميزات لما نطلق عليه نصا في الخطاب اللغوي المعاصر وهذه الخصائص ليست مقصورة على القدماء ،بل لن نجد فرقا كبيرا بينها وبين ما نظر له الباحثون اليوم في علم النص .

وعلى الرغم من أن كتب القدماء لم تتضمن تعريفا مقننا للنص،إلا أن إشارات كثيرة تؤكد أن فهمهم له لم يكن بعيدا عما هو متداول اليوم ، فقد صرح القدماء أن القرآن الكريم نص، والسنة النبوية كذلك مما يعني اتصافهما بكل ما يندرج تحت هذا المصطلح من خصائص أفادها المعنى اللغوي الذي ساقته المعاجم ، وأوردناه فيما سبق ، ومن هذه الخصائص :

- الظهور والبيان .

-النظم والترتيب المقصود.

-الاستقصاء والشمول وتحقيقه للهدف الذي وضع من أجله.

-السلامة والاستقامة والاستواء حسب معايير معروفة للإستقامة ومتفق عليها.

-التعيين والدلالة على شيء ما.

يقول الدكتور عمر أبو خرمة في كتابه (نحو النص):"لو أنعمنا النظر قليلا في المعني المعجمي الذي قدمه اللسان ،لوجدنا أمارات تفيد كثيرا في الوصول إلى مراد العربية بالنص [2].

[1] الزبيدي، تاج العروس، مادة (نصص).

[2] عمر أبو خرمة، نحو النص، عالم الكتب الحديثة ،إربد، 2004، 25.

وحتى نبرهن على صدق هذا الحكم سنوازن بين ما جاء في المعاجم العربية ى فيما يتعلق بمفهوم النص من جهة وبين معايير النص وخصائصه كما هي عليه في علم النص الحديث من جهة أخرى .

ويشير استشهادهم على مفهوم النص يقول عمرو بن دينار :" ما رأيت رجلا أنص للحديث من الزهري أي أرفع له وأسند .إلى مبدأ مهم من مبادئ النصية وهو الثبات فكلمة (أنص) يراد بها أثبت ، وأشد محافظة على ما يسمع ، فالنص ضمان للخطاب أو الرسالة وصيانة له من النسيان ،و ذلك بإكسابها صفة الاستمرارية حتى لا تكون مرهونة بالذاكرة .

وإذا جئنا إلى قول ابن الأعرابي : النص الإسناد إلى الرئيس الأكبر "فإنه يتضمن بيانا لخاصية من خصائص النص انتبه إليها المحدثون وهي ارتباط النص ببؤرة أو قضية كبرى ؛أي أن كل أجزاء النص إنما قامت لخدمة هذه القضية .

ويتحقق تماسك النص من خلال جذب هذه البؤرة الرئيسة في النص للأجزاء الأخرى، حيث يلاحظ الناظر الأول لأول وهلة أن النص مكون من مجموعة من القضايا والموضوعات والقصص، والاستشهاد... وغيرها التي تبدو منفصلة بعضها عن بعض ، ولكن بعد تحديده للقضية الكبرى للنص يمكن بيسر إدراك العلائق بين هذه الأجزاء .

ويشير قول الزبيدي في تاج العروس :"وتناص القوم :ازدحموا، هو مأخوذ من قولهم :نص المتاع ينصه ،إذ جعل بعضه على بعض[1].

[1] الزبيدي، تاج العروس، مادة(ن ص ص).

إلى خصيصة أخرى من خصائص النص ، وهي ما يسمى بالترابط أي التماسك والارتباط ،وكما يرى بعض اللغويين اليوم أن النص عبارة عن سلسلة من الجمل المتتالية ؛ إذ يعرفه برينكر :"أنه تتابع مترابط من الجمل [1].

وبعد هذه الموازنة بين المعاني اللغوية للنص عند اللغويين العرب القدماء وخصائص النص كما قننها المحدثون يمكن أن نصل إلى نتيجة مفادها أن إطلاق العرب القدماء على هذا الإنتاج اللغوي اسم النص لم يكن اعتباطا ، بل نتيجة الوعي بخصائصه اللغوية.

ب-النص في كتابات النحاة وعلماء البلاغة:

في هذا الموضع من البحث لن نتعرض إلى تعريفات موجهة ومقصودة خصيصا للنص كما كان ذلك في المعاجم ، بل سيقتصر بحثنا على استقراء توظيف النحاة والبلاغيين للفظة نص في كتاباتهم ، ولم نلجأ لذلك إلا لعدم وجود تعريف يتعرض للنص في كتاباتهم على الرغم من رواج هذه اللفظة فيها .

فقد ورد في كتاب الخصائص لابن جني لفظة نص بصيغ متباينة في أكثر من موضع ، منها قوله متحدثا عن رأي المتكلمين في معنى الكلام :

وقد علمت بذلك تعسف المتكلمين في هذا الموضع وضيق القول فيه عليهم ، حتى لم يكادوا يفصلون بينهما ،والعجب ذهابهم عن نص سيبويه فيه ، وفصله بين الكلام والقول ولكل قوم سنة و إمامها[2].

والمتأمل في السياق الذي وردت فيه كلمة نص في الموضع السابق من كتاب إبن جني يصل إلى أنه استعملها بمعنى الدال الذي يحمل مدلولا (رسالة) متكاملا ويقدم

---

[1]. بحيري سعيد، علم لغة النص، ،دار المختار،القاهرة،2004، 96.

1 ابن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1934،ج1.

للمتلقي حكما جديدا لم يكن يعرفه من قبل ، ويوحي هذا الاستعمال كذلك بثبات هذه الرسالة ووضوح معناها ، وأنها لا تحتمل تأويلا.

ووردت كلمة نص كثيرا في كتابات اللغويين بهذا المعنى يمكن أن نشير إليها ببعض المواضع :

-قول ابن هشام في مغني اللبيب ك"أما الأول فلأن عطف البيان في الجوامد بمنزلة النعت في المشتقات فكما أن الضمير لا ينعت كذلك لا يعطف عليه عطف بيان ،ووهم الزمخشري فأجاز ذلك ذهولا عن هذه النكتة وممن نص عليها من المتأخرين أبو محمد ابن السيد وابن مالك والقياس معهما في ذلك [1].

بعد التتبع للكتابات الأدبية العربية القديمة لا نجد فرقا كبيرا بينهم وبين اللغويين في التعامل مع هذا المصطلح ، فهم لم ينصوا على تعريف محدد له ، بل تداولوه في كتاباتهم بالدلالة نفسها التي وردت عند اللغويين أي البيان والظهور والدلالة على الشيء الثابت جاء في أدب الكاتب لابن قتيبة ك قولهم نص الحديث إلى فلان أي رفعه إليه وهو من النص في السير وهو أرفعه [2].

وجاء في صبح الأعشى في حديثه عن التفاؤل بأيام الأسبوع :"واعلم أنه أصل لذلك من الشريعة ولم يرد فيه نص من كتاب ولا سنة .[3]

والمتأمل في المعاني السابقة للنص يلاحظ أنها ليست بعيدة عن المفهوم الاصطلاحي له فهي -وإن لم تصرح بذلك -تتضمن سمات النص وخصائصه.

[1] ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، المكتبة العصرية، بيروت، 2005م:41.

[2] ابن قتيبة ، أدب الكاتب، المكتبة العصرية، بيروت ن 2004: 54.

[3] القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلمية ، بيروت،1987، ج2:392.

إن هذه المفاهيم التي أوردناها في أثناء الحديث عن معالجة القدماء لدلالات النص تشكل مجموعة من المعايير قننها المحدثون في نظرية متكاملة المعالم ، تعرف بعلم النص ، ترتكز على الجوانب الآتية:

-كون النص منطوقا أو مكتوبا أو كليهما.

-مراعاة الجانب الدلالي.

-مراعاة التحديد الحجمي .

-مراعاة الجانب التداولي .

-مراعاة جانب السياق.

-مراعاة جانب التماسك.

-مراعاة الجانب الوظيفي للنص.

-مراعاة التواصل بين المنتج والمتلقي.

-الربط بينه وبين مفاهيم تحويلية ، مثل الكفاءة والأداء ..وغيرها .

-إبراز كونه مقيدا .[1]

وتعد الخصائص السابقة سمات للنص المتكامل ، وفي حالة فقدانه لأحدها يفقد معيارا من معايير النصية التي تؤهله لأن يكون موضع دراسة.

[1] ينظر: إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دار قباء، القاهرة ، 2000م: 29.

ثانيا : مفهوم النص عند المحدثين :

في هذا الجزء نستعرض التعريفات المختلفة للنص سواء أكانت عند علماء اللغة العرب المحدثين ، أم عند علماء اللغة الغربيين بعد أن صارت الحاجة ملحة لوضع تعريب مقنن للنص بعد تبلور علم اللغة النصي في السبعينيات من القرن العشرين تقريبا.

فقد صرحت المراجع بأن أصل كلمة "text" في اللغة الانجليزية،وكلمة "texte" في اللغة الفرنسية؛ بل وفي كثير من اللغات الأوروبية الأخرى بما فيها بعض اللغات السلافية لها الجذر اللغوي نفسه والدلالة نفسها، وترجع إلى الأصل اللاتيني"textus" وهو له علاقة بإنتاج النسيج أو الضفيرة من الشعر، ومنه تطلق كلمة "textus" على ما له علاقة بإنتاج النسيج .

ففي الجزء الأول من الموسوعة اللغوية[1]،يعرض كولنج مجموعة من الأسئلة يراها مهمة قبل التطرق لمفهوم النص منها : ما الذي يجب أن يسمى نصا ؟(أي ما هي المعايير الواجب توافرها في الأداء اللغوي حتى يعد نصا أو ما هو النص ؟أهو الرموز سواء الكتابي أم الصوتي أم المعنى الذي يحمله كلاهما معا ؟)، هل هو موضوع جزء من نظام رمزي أو موضوع ينضوي تحت نطاق تطبيق مثل ذلك النظام ؟ ، وهنا يناقش قضية اللغة والكلام ، أي هل النص مجموعة من القواعد المختزنة في ذهن الجماعة اللغوية أو هو الممارسة الفعلية المرتبطة بسياقات اجتماعية ؟

وبعد طرح هذه الأسئلة التي يطلق عليها كولنج الأفكار التمهيدية يعمد إلى تعريف النص في عدة نقاط على النحو الآتي:

[1] محي الدين حميدي وآخرون، الموسوعة اللغوية، ترجمةيكولنج،المجلد الأول، جامعة الملك سعود ،الرياض،1421ه ،ج1، 207.

1.النص هو موضوع رمزي علائقي تغلب عليه السمة الكلامية ذوشكل مكتوب يدويا أو مطبوع في شكل أو هيئة مادية.

ب) العناصر المعجمية في النص الرمزي –العلائقي الذي تسيطر عليه السمة الكلامية هي العناصر المسيطرة التي تحمل المعنى.

(ج) النصوص هي من عناصر الاستعمال اللغوي وليست ضمن النظام اللغوي

(د) هناك تمييز بين النصوص كاملة الاستقلالية والنصوص المستقلة جزئيا

(ه) تحقق النصوص الرمزية –العلائقية ذات الصبغة الكلامية معايير النصية إذا تم احترام التوقعات الآتية :يعبر الموضوع في حالة تخاطبية معطاة أو مفترضة ، عن شكل متصل لحالة من الحالات ، ويحقق وظيفة تخاطبية معطاة أو مفترضة ،وله تركيب كلامي متصل وكامل.[1]

وهناك أيضا تعريف جوليا كريستيفا للنص، إذ يتميز تعريفها أنها تعد النص ممارسة سيميولوجية معقدة، وأنه ظاهرة غير لغوية أي تتعدى اللغة إلى رموز وعلامات أخرى وهو لا ينحصر في اللغة [2].فهي تراه أنه جهاز غير لغوي يعيد توزيع نظام اللغة بكشف العلاقة بين الكلمات التواصلية، مشيرا إلى بيانات مباشرة ، تربطها بأنماط مختلفة من الأقوال السابقة والمتزامنة معها .

ويركز رولان بارت في تعريفه للنص على عملية القراءة (جانب المتلقي) فيرى أن النص عبارة عن نموذج يعطي للكلام طاقته الإنتاجية يعد أن كان نظاما مخترنا لا قيمة له، وهو يرى أن عملية الاتصال لا تقتصر على أطرافها الكلاسيكيين المعروفين

[1] محي الدين حميدي وآخرون، الموسوعة اللغوية،1421ه: 207.

: المرسل والرسالة والمستقبل ، لأن النص عملية إنتاج مستمرة ، فهو فضاء يمكن صاحبه وقارئه من عملية التواصل المستمرة .[1]

وقدم بارت نظريته من مفهوم تفكيكي ،وأطلق عليها من العمل إلى النص ، ويمكن إيجازها في النقاط الآتية :

-يطرح بارت النص بديلا للعمل الأدبي ، فالنص عبارة عن نموذج أو منهج وليس إنتاجا محددا.

-يقول فيه بتعدد القراءات ، وأنه لا يمكن أن يكون مغلقا أو مطلقا أو نهائيا ، فهو شيء متجدد باستمرار.

-تكتمل خريطة التعدد الدلالي من خلال عالم النص الداخلي الذي تتقاطع فيه الثقافات واللغات المختلفة ، والنصوص الأخرى ح فالنص نتاج عملية التقاطع والتداخل .

-ليس للمؤلف سلطة على النص ن فدوره مقصور على الإنتاج ، مما يلغي مفهوم الانتماء.

-لايقتصر دور القارئ على الاستهلاك ، بل يتعداه إلى عملية المشاركة في إنتاج النص ، فممارسة القراءة إسهام في التأليف[2]، أما هاليداي ، ورقية حسن فرؤيتهما لمفهوم النص مبنية على فكرة التماسك أو الارتباط :" تشكل كل متتالية من الجمل نصا ، شريطة أن تكون بين هذه الجمل علاقات أو على الأصح بين بعض عناصر

[1] ينظر: صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، الكويت: 230.

[2] ينظر: صلاح فضل، المرجع نفسه: 231

هذه الجمل علاقات ، تتم بين عنصر وآخر وارد في جملة سابقة أو جملة لاحقة ،أو بين عنصر بين متتالية برمتها سابقة أو لاحقة ."[1]

ويعمد براول ويول إلى تعريف النص تعريفا مجتزئا ثم يراجعانه ليسيرا مع تيار من يقول بالتماسك النصي ، فيقولان :"لقد اعتمدنا إلى الآن في كتابنا على تعريف أقرب ما يكون إلى البساطة لما يشكل نصا ...لقد عرفنا النص على أنه التسجيل الكلامي لحدث تواصلي.ولكن عددا من الكتاب سعوا إلى الاتيان بتفسير أكثر ضبطا وأكثر تقنينا ، ويهتم هؤلاء الكتاب بمبادئ الترابط (الوصل والفصل) التي تربط أجزاء النص بعضها ببعض"[2]

المبحث الثالث: ثانيا : التاريخ والنشأة:

أولا :مفهوم نحو النص:

نحو النص مصطلح لساني حديث عرف في الدراسات اللسانية الأوروبية الحديثة ، وتعددت ترجماته إلى العربية فمنهم من ترجمه إلى نحو النص ن وترجمه آخرون إلى نحو النصوص ، وآخرون إلى لسانيات النص .وهو في الأنجليزية (textgrammar) وفي الفرنسية (grammaire de texte) .

وكما تباينت ترجمات المصطلح ن كذلك تباينت تعريفاته .يعرفه مصطفى النحاس بأنه:"النحو الذي يتخذ من النص وحدته اللغوية الكبرى للتحليل بعكس نحو الجملة ن الذي يعد الجملة وحدته الكبرى للتحليل ،أو هو دراسة الوظيفة الدلالية لبعض العناصر النحوية وربطها بشبكة الدلالة في النص "[3].

---

[1] محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت،1991:13.

3ج.ب.براون ، وج .يول، تحليل الخطاب، جامعة الملك سعود ،الرياض،1997: 227.

[3]:مصطفى النحاس، نحو النص في ضوء التحليل اللساني للخطاب، ذات السلاسل، الكويت،2001: 4.

ويعرفه صبحي الفقي بأنه :"هو ذلك الفرع من فروع علم اللغة ، الذي يهتم بدراسة النص باعتباره الوحدة الكبرى ،وذلك بدراسة جوانب عديدة أهمها الترابط أو التماسك ووسائله ، وأنواعه ، والإحالة ، أو المرجعية وأنواعها ، والسياق النصي ودور المشاركين في النص من المرسل والمستقبل ن وهذه الدراسة تتضمن النص المنطوق والمكتوب على حد سواء"[1].

ونلاحظ أن تعريفات نحو النص ترتكز على التفريق بينه وبين نحو الجملة من حيث المادة التي يعنى بدراستها كل نوع ،وإمكاناته ،إضافة إلى تقنياته في التحليل فعلى حين يهتم نحو الجملة بالجوانب الخاصة بالعلاقات بين أجزاء الجملة والمتواليات الجملية، وشروط الفصل والوصل ومعاني الأساليب ، والدلالات الخاصة يهتم نحو النص بقضايا أعمق من ذلك ، فهو يبحث في المشكلات النصية الاتصالية والمشكلات الدلالية المحورية إضافة إلى القضايا التركيبية .[2]

والواضح أن نحو النص كما يراه كثير من الباحثين قد حل الكثير من القضايا الشائكة المتعلقة بتحليل القول التي تتعلق بما وراء الجملة من علاقات ووسائل ربط ، يقول الدكتور صلاح فضل :"الوقوف على الكلمات والجمل في تحليل النصوص لن يسهم في الكشف عن الخواص النوعية البنيوية المميزة للنص "[3]

ويمثل في كتابه (بلاغة الخطاب) لهذه العلاقة بين الجملة والنص بمن يعمد إلى دراسة مدينة من المدن فهو لا يكتفي بدراسة أجزاء ومكونات المدينة فقط ،ولكن

[1] إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق،ج1: 36.

[2] ينظر: سعيد بحيري،علم لغة النص، مؤسسة المختار، القاهرة2003 م: 119 و120.

[3] صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص:253.

يدرس تفاعل تلك الأجزاء بعضها مع بعض من مثل أثر الثقافة التي يحملها الأشخاص على النواحي العمرانية والصناعية في المدينة.[1]

و ويراعي نحو النص في وصفه وتحليلاته عناصر لم توضع في الاعتبار من قبل في نحو الجملة ويلجأ في تفسيراته إلى قواعد دلالية ومنطقية إلى جوار القواعد التركيبية ويحاول أن يقدم صياغات كلية دقيقة للأبنية النصية وقواعد ترابطها .[2]

وهناك مجموعة من الأسباب دعت اللغويين إلى توسيع مفهوم النحو ليشمل النص بع أن كان مقصورا على تحليل الجملة منها :

1-أهمية البعد عن الشواهد المتكلفة أثناء المعالجة اللغوية ، والحاجة إلى شواهد عفوية مقنعة بالظاهرة اللغوية موضوع الدراسة ، وتلك الشواهد لا تتوفر في الجملة الواحدة بل في نص متكامل أنتج في موقف ما.

2- عدم اكتفاء الجملة المفردة بذاتها وحاجتها إلى ما حولها من الجمل ، أي أن بتر ها عن سياقها لا يعطيها دلالة صادقة ، ومن ثم يفقد التحليل صفة الموضوعية .

لهذا تباينت القراءات الحديثة القائمة على أساس أن النص كل متكامل للنصوص القديمة مثل المعلقات عن القراءات القديمة للنصوص نفسها ، التي نهجت في تحليلها نهج الاهتمام بأجزاء النص ، وفصل بعضها عن بعض.

3- في الاقتصار على دراسة الجملة تجاهل لنواح دلالية وسياقية كثيرة، مما يؤدي الى التركيز على الجوانب التركيبية البحتة ن ويحول اللغة إلى شكل فارغ من أي مضمون

[1] ينظر: صلاح فضل، بلاغة الخطاب: 254.

[2] سعيد بحيري، علم لغة النص: 119.

، ما عدا البنية السطحية الظاهرة لها، وإذا صلح هذا في دراسة الخطاب اليومي فلن يصلح في دراسة اللغة الأدبية [1].

4- انفتاح الدراسات اللغوية على مختلف العلوم الإنسانية مثل علم الاجتماع ، وعلم النفس والإعلام مما أدى إلى الحاجة لدراسة أثر هذه الجوانب في العملية الاتصالية..

5- عندما نعتمد التحليل النصي نجد أن هناك إمكانية عالية لتأويل الأوضاع المختلفة للجملة بناء على السياق الواردة فيه ، على العكس من حالة فصل الجمل عن سياقاتها.

6- الحكم على تركيب ما بأنه جملة من عدمه يكون حسيب المقابلات والمقارنات بين الأنماط المعهودة المتفق عليها ، أما النص فيكون الحكم عليه من خلال تحقيقه لوظيفة الاتصال ، وإن خالف بعض القواعد النحوية وشد عنها أحيانا ، كما يحدث في الشعر ، إذ تبرز فيه ظاهرة الانحراف عما تم الاتفاق عليه من الناحية التقعيدية لكنه على الرغم من ذلك يحقق الوظيفة الاتصالية بكفاءة عالية.

أي أن للنص –كما يرى بوجراند– وظيفة براجماتية وهدفا يراد تحقيقه منه بعكس الجملة.

7- العوامل الاجتماعية والنفسية أوثق علاقة بالنصوص منها بالجمل .[2]

وعلى الرغم من النقد الموجه لنحو الجملة فلا يمكن التخلي عنه أثناء التحليل اللغوي، بل إن التحليل النصي يعد نحو الجملة أساسا له ومنطلقا، وليس التجاوز لنحو الجملة إشارة على عدم أهميته ، ولكن الأمر لا يعدو أن علماء اللغة المحدثين قد وضعوا تصورات جديدة للتحليل ، وأهدافا مختلفة عما سبق ، واختبروا ما لديهم من إمكانات وأدوات ، وعندما أدركوا قصورها عن بلوغ الأهداف التي وضعوها لجؤوا

[1] ينظر: سعيد بحيري،علم لغة النص: 119.

[2] روبرت .دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء: ترجمة تمام حسان،عالم الكتب، القاهرة،1988م:88. ،

إلى أدوات أخرى وأشكال جديدة للتحليل والوصف اللغوي .وصرحوا في أكثر من موضع أن التراث النحوي السابق بكل ما يضمه من تصورات ومفاهيم وأشكال ووصف وتحليل وغير ذلك هو الأساس الفعلي الذي بنيت عليه هذه الاتجاهات النصية بكل ما تتسم به من تشعيب أفكارها وتصوراتها ومفاهيمها .[1]

إذ لا يمكن بحال من الأحوال فصل نحو النص عن نحو الجملة لأن الثاني جزء لايتشكل الكل إلا في ظله ، يقول الدكتور النحاس في كتابه (نحو النص):" وتأتي أهمية نحو النص في مجال التحليل اللساني من حيث احتواؤه على نظم النحو التقليدي وأدواته ، فكما أن نحو الجملة عالج المعنى في الأمثلة والنماذج اللغوية المتقطعة من نصوصها من خلال أدواته ليحقق الربط الدلالي في الإسناد ، فإن نحو النص يتجاوز ذلك بكثير ،إذ أنه يستخدم أدوات النحو ذاتها ويوظفها في تحقيق الترابط بين الجمل المتتابعة في النص أو الخطاب "[2]، ويرى فان دايك أن نحو الجملة يشكل جزءا مهما من نحو النص.

وقد حاول النحو التحويلي أن يعالج اللغة، لكنه وقع في المأزق نفسه الذي وقع فيه النحو التقليدي ، فوجد نفسه يعالج اللغة على أنها نظام افتراضي وليس نظاما فاعلا أو مستخدما ، فهو لم ير فيها أكثر من أنماط معقدة ثابتة على الرغم من الامكانية التوليدية العالية لهذه الأنماط ، ومما أخذ عليه في معالجته الأمور التالية :

1-وجدت هذه النصوص التي يولدها هذا النحو لا تكشف عن نموذج مقبول للنشاط الانساني ؛لانها غير مرتبطة بمواقف إنسانية فعلية ، وإنما هي نماذج مفترضة.

2-لاتصلح هذه النماذج لمجموعة كبيرة من النصوص.

[1] ينظر: بحيري،علم لغة النص،118

[2] مصطفى النحاس، نحو النص في الدراسات اللسانية:9.

3- لا تراعي هذه المعالجة القضايا الآتية : النصوص الشاذة ، تحديد الأسلوب الأفضل أو الأسوأ أو الإعلامية ، التفاعل الاتصالي ؛ وذلك لأن مثل هذه القضايا يتم حلها بوساطة السياق والإحالات الخارجية للنص ، ولا يمكن حلها ببتر النص عن سياقه.[1]

أ-**نحو النص في الدراسات العربية القديمة :**

لقد اكتسبت المعالجات النحوية القديمة كثيرا من سمات وصفات التحليل النصي المعروفة فمنها على سبيل المثال لا الحصر: اهتمام القدماء بالنواحي الاتصالية في معالجة النصوص اللغوية ؛ إذ صنف الكتاب الأول في تاريخ النحو لهذا الغرض، وهو كتاب سيبويهن انظر إلى قوله في باب الاستقامة من الكلام والإحالة:

فمنه مستقيم حسن ،ومحال ، ومستقيم كذب ، ومستقيم قبيح ، وما هو محال كذب .فأما المستقيم الحسن فقولك : أتيتك أمس وسآتيك غذا .

وأما المستقيم الكذب فقولك : حملت الحبل وشربت ماء البحر ونحوه .

وأما المستقيم القبيح فأن تضع اللفظ في غير موضعه نحو قولك : قد زيدا رأيت.وكيزيدا يأتيك وأشباه هذا.

وأما المحال الكذب فأن تقول : سوف أشرب ماء البحر أمس[2]

نلاحظ من هذا النص المأخوذ من الكتاب أنه يحوي بعضا من خصائص التحليل النصي منها :

1-1-عدم الاقتصار على النواحي التركيبية والإعراب في معالجة اللغة ، بل يتعداها إلى النواحي الدلالية.

[1] ينظر:روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء،:127.

[2] سيبويه، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون ، الهيئة المصرية العامة، الطبعة الثانية،1977م، ج1:25.

2- الاهتمام بالجانب الاتصالي كما يفعل علماء النصية اليوم ، وذلك من خلال اهتمامه بمناسبة اللفظ للسياق الخارجي واتفاقه من الواقع.

3- تركيزه على الرسالة التي يحملها النص من حيث مطابقتها للواقع ، وهو مايسمى اليوم بقصدية المنتج ، ومدى قبول المتلقي لها ، وهذا ما يطلق عليه في التحليل النصي بعامل المقبولية.

4-الإشارة إلى أهمية اتساق التركيب اللغوي ، وهو ما يسمى بالترابط أو التماسك ويظهر ذلك في قوله :"وأما المستقيم القبيح فأن تضع اللفظ في غير موضعه " أي في موضع لا يتحقق فيه الترابط.

5-كان ذلك نموذجا لحضور بعض خصائص التحليل النصي ومبادئه في كتابات ومؤلفات القدماء ، إذ كانت تساق في تصنيفاتهم اللغوية عرضا في أثناء حديثهم عن مختلف القضايا اللغوية.

أما البلاغيون فلم يكونوا بمنأى عن الظواهر النصية أ فقد كثر حديثهم عن تلك الظواهر سواء أكان على مستوى تنظيرهم وقواعدهم البلاغية، أم على مستوى تطبيقاتهم على النصوص بمختلف أشكالها .

ونمثل هنا بهذه المقولة لعبد القاهر الجرجاني: "واعلم أنك إذا رجعت إلى نفسك علمت علما لا يعترضه الشك أن لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يعلق بعضها على بعض .وتجعل هذه بسبب من تلك .هذا ما لا يجهله عاقل ولا يخفى على أحد من الناس .وإذا كان كذلك فيمكن أن ننظر إلى التعليق فيها والبناء وجعل الواحدة منها بسبب من صاحبتها ما معناه وما محصوله .وإذا نظرنا في ذلك علمنا أن لا محصول لها غير أن

تعمد إلى اسم فنجعله فاعلا لفعل أو مفعولا أو تعمد إلى اسمين فتجعل أحدهما خبرا عن الآخر أو تتبع الاسم اسما على أن يكون الثاني صفة أو حالا أو بدلا منه..."[1]

يؤكد عبد القاهر بهذه الكلمات مجموعة من المبادئ يعتمدها في قراءته للنصوص الشعرية أو النثرية.، وهي لا تنفصل كثيرا عما يمارسه علماء النصية اليوم منها :

1.أهمية التماسك في النص على المستوى الأفقي أو ما يعرف بالاتساق.

2.لا يمكن إفال جزء من أجزاء النص عند معالجة غيره بل هو أجزاء لا تعرف إلا بالكل الذي يجمعها ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض ويبنى بعضها على بعض.

3.اتسام واتصاف النص بالتماسك في أجزائه جميعها ، إذ لا فرق هنا بين عمدة وفضلة فالكل يسهم في صياغة الرسالة.

وقبل أن ننتقل إلى جهود المفسرين وكتاباتهم التي حملت إشارات واضحة في مبادئ علم النص نقف عند ممارسة تطبيقية صريحة للتحليل النصي من قبل عام من علماء البلاغة العربية وهو حازم القرطاجني، وذلك في تحليله وقراءته لقصيدة المتنبي، فهو يطبق عليها قواعد مماثلة للتي حددها علماء النصية اليوم ، ويحلل التماسك النصي بطريقة ليست بعيدة عن التحليل الحديث لعلماء لغة النص ، إذ يرى أن الشعراء يقسمون قصائدهم إلى فصول كل فصل يحقق غرضا ما لكن الشاعر الحاذق يعمل على أن يوجد بين هذه الفصول حلقات تصل بعضها ببعض وصورهذه الحلقات بقوله :" يكون اقتران صنعة رأس الفصل وصنعة عجزه نحوا من اقتران الغرة بالتحجيل في الفرس...وإذا اتجه أن يكون الانتقال من بعض صدور الفصول

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق، محمد رضوان الداية وآخرون، مكتبة سعد الدين، دمشق،1987م:98.

إلى بعض على النحو الذي يوجد التابع فيه مؤكدا لمعنى المتبوع ومنتسبا إليه ، كان ذلك أشد تأثيرا في النفوس ..."[1] ، ويقول ممثلا على كلامه بتحليله لقصيدة المتنبي :

وذلك نحو قوله-يريد أبا الطيب-:

أغالب فيك الشوق والشوق أغلب وأعجب من ذا الهجر، والوصل أعجب

فحوى هذا البيت من الفصل تعجبا من الهجر الذي لا يليه وصل ، ثم أكد التعجب في البيت الثاني.ثم افتتح الفصل الثاني بالتعجب من وشك بينه وسرعة سيره فقال:

ولله سيري ما أقل تئية عشية شرقي الحدالى وغرب

فكان هذا الاستفتاح مناسبا للبيتين المتقدمين من جهة التعجب وذكر الرحيل.

ويستمر الكاتب على هذا المنوال حتى ينتهي من تحليل القصيدة كاملة .

أما فيما يتعلق بحضور ظاهرة نحو النص في كتابات المفسرين وكتب علوم القرآن الكريم فهي بارزة ، بل قد خصصت كتب بمجملها في هذا الشأن مثل كتاب السيوطي (تناسق الدرر في تناسب السور). وأسهب الزركشي في الحديث عن المناسبة النصية والارتباط والتماسك في كتابه البرهان، "وإذا كان البلاغيون قد أسهموا إسهاما واضحا في الكشف عن كثير من الأدوات والوسائل التي يتحقق بها اتساق النص وانسجامه فإن المفسرين قد كشفوا عما في كتاب الله عز وجل من اتساق وانسجام "[2].

وسنمثل هنا لهذا الكلام النظري بنموذجين تطبيقيين ، الأول من كلام المفسرين والآخر من كتب علوم القرآن، ففي الأول اخترنا من كلام الزمخشري في تفسير قوله

[1] حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط3، 1986، :297.

[2] ينظر: إبراهيم الفقي،علم اللغة النصي: ج1: 128.

تعالى في سورة الفاتحة:(إياك نعبد وإياك نستعين)[1].إذ يقول : "ومما اختص به هذا الموضع –موضع الآية–أنه لما ذكر الحقيق بالحمد وأجرى عليه تلك الصفات الكبيرة تعلق العلم بمعلوم عظيم الشأن حقيق بالثناء ، وغاية الخضوع والاستعانة في المهمات ، فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات فقيل : إياك يا من هذه صفاته– نخص بالعبادة والاستعانة لا نعبد غيرك ولا نستعينه ليكون الخطاب أدل على أن العبادة له لذلك التميز الذي لا تحق العبادة إلا به "[2].

يبين هذا النص المنهج الذي اعتمده الزمخشري في تفسيره وهو الربط بين آيالقرآن بعضها ببعض وعدم قطع الأواصر التي بينها فهو هنا يركز على الارتباط الدلالي والمناسبة بين الآيات الأولى في سورة الفاتحة من قوله تعالى (الحمد لله...) وحتى قوله تعالى...يوم الدين) يربط بينها وبين قول المولى عز وجل: 'إياك نعبد وإياك نستعين)إذ يرى في الأولى تمهيدا للثانية .

ويواصل موضحا أوجه الترابط والتماسك بين أجزاء الآية الخامسة، فيقول: فإنقلت: لم قرنت الاستعانة بالعبادة ؟ قلت : ليجمع بين ما يتقرب به العباد إلى ربهم وبين ما يطلبونه ويحتاجون إليه من جهته .فإن قلت لم قدمت العبادة على الاستعانة؟ قلت: لأن تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة ليستوجبوا الإجابة إليها "[3].

ولم يكن الأمر مقصورا على الزمخشري في الوعي بأهمية النظر إلى النص القرآني نظرة شاملة ، بل إن معظم المفسرين أدركوا ذلك الأمر فأكدوا التماسك في مستوياته المختلفة (الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية)، ومن هنا ظهر التماسك عندهم على أبعاد كثيرة ، مثل التماسك بين الحرف والحرف، والكلمة والكلمة، والكلمة

[1] الفاتحة: الآية 5

[2] الزمخشري، الكشاف: 69.

[3] الزمخشري، المصدر نفسه:66.

والجملة والكلمة والفقرة، والجملةوالجملة والسورة والسورة، ة وأول السورة وآخرها [1].

أما أبرز من عني بالظواهر النصية ممن كتبوا في علوم القرآن الكريم فجلال الدين السيوطي ، والزركشي ، وسنعرض لبعض المواضع من كتاب البرهان في علوم القرآن لنرصد مدى الوعي الذي كان يحمله حول تلك الظواهر.

نبدأ بتفصيل المؤلف وشرحه لنظريته في علم المناسبة وهي ما يسمى اليوم بالاحالتين الخارجية والداخلية ، إذ يقول :"ولهذا قيل : المناسبة أمر معقول إذ عرض على العقول تلقته بالقبول ، وكذلك المناسبة في فواتح الآي وخواتمها ومرجعها –والله أعلم– إلى معنى ما رابط بينهما عام أو خاص عقلي أو حسي أو خيالي أو غير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهني كالسبب والمسبب والعلة والمعلول والنظيرين والضدين أو التلازم الخارجي...[2]

ويمكننا هنا استخلاص ثلاث ملاحظات من النص السابق نثبت بها ما قلناه حول الزركشي سابقا ، وهي:

1–عدم تحقق الجانب الإجرائي للغة إلا بوجود ارتباط بين القول والظروف المحيطة به سواء الداخلية أو الخارجية.

2–الترابط الدلالي أو المفهومي كما يسميه بوجراند، أحد عوامل المناسبة أو الإحالة.

3–للترابط الدلالي علاقات [3] سبق الزركشي بها علماء النص المحدثين.(مثل الترادف والتضاد والسببية...).

---

[1] ينظر:الفقي ،علم اللغة النصي،ج1:،128

[2] الزركشي، البرهان في علوم القرآن، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثالثة.1980م، ج1: 35.

[3] ينظر: دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء:180.

ويحمل الزركشي في موضع آخر على الذين لا يعتنون بالمناسبة بين الآيات إذ يقول :"وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء ، وقد قل اعتناء المفسرين بهذا النوع لدقته وممن أكثر منه الإمام فخر الدين الرازي ...[1]

ويتناول المؤلف في كتابه بعد ذلك الكثير من النماذج القرآنية التي يؤكد من خلالها آراءه في التماسك والتناسب بين أجزاء القرآن ، وأنه لا يمكن بحال من الأحوال الوصول إلى فهم صحيح لآي القرآن إلا في ظل هذا المفهوم . ومن النماذج التي أوردها التناسب بين قول الله تعالى في افتتاح سورة البقرة " إن قوله (ألم) جملة برأسها أو طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها، وذلك الكتاب جملة ثانية ، ولا ريب فيه ثالثة ، وهدى للمتقين رابعة ، وقد أصيب بترتيبها مفصل البلاغة ، وموجب حسن النظم ، إذ جيء بها متناسقة هكذا من غير حرف نسق ؛ وذلك لمجيئها متآخية آخذا بعضها بعنق بعض...[2].

ولم يكن النقاد القدماء بمنأى عن تلك المبادئ والنظرات في نحو النص ؛ إذ كانت حاضرة في ممارساتهم النقدية ،فهم على كل حال يعتمدون علوم اللغة من نحو وصرف وبلاغة ، أدوات تعينهم في اختبار منتجات الأدباء والشعراء الذين يضعونهم في ميزان النقد.

ويمكن أن نستشهد في هذا المقام بحديث الجاحظ عن تنافر الألفاظ في الشعر ،إذ يقول : ومن ألفاظ العرب ألفاظ تتنافر وإن كانت مجموعة في بيت شعر لم يستطع المنشد إنشادها إلا ببعض استكراه ن فمن ذلك قول الشاعر :

وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر

[1] الزركشي، البرهان في علوم القرآن:36.

[2] الزمخشري، الكشاف: ج21:1.

ّ ولما رأى من لا علم له أن أحدا لا يستطيع أن ينشد هذين البيتين ثلاث مرات في نسق واحد فلا يتتعتع ولا يتلجلج[1].

يناقش الجاحظ هنا قضية مهمة في الاتساق النصي وهي الانسجام الصوتي ؛ إذ يرى في البيت الذي استشهد به أصواتا متنافرة، مما يؤدي إلى صعوبة النطق به جملة واحدة.

ثم يواصل الجاحظ حديثه في هذا الإطار فيسوق بيتا لخلف الأحمر حول القضية ذاتها فيقول ك أنشدني أبو العاصي قال :أنشدني خلف الأحمر في هذا المعنى :

وبعض قريض القوم أولاد علة يكد لسان الناطق المتحفظ

وقال أبو العاصي:وأنشدني في ذلك أبو البيداء الرياحي:

وشعر كبعر الكبش فرق بينه لسان دعي في القريض دخيل[2]

ويعلق الجاحظ على الأبيات التي ساقها مبينا رأيه في التماسك والترابط الواجب تحققه في الشعر فيقول :

أما قول خلف وبعض قريض القوم أولاد علة فإنه يقول :إذا كان الشعر مستكرها، وكانت ألفاظ البيت من الشعر لا يقع بعضها مماثلا لبعض، كان بينها ى من التنافر ما بين العائلات ، وإذا كانت الكلمة ليس موقعها إلى جنب أختها مرضيا موافقا كان على اللسان عند إنشاد ذلك الشعر مؤونة، وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء سهل المخارج ، فيعلم لذلك أنه أفرغ إفراغا واحدا وسبك سبكا واحدا ، فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان [3].

---

[1] الجاحظ، البيان والتبيين، دار إحياء العلوم، بيروت، ج1،1993م:74

[2] وصف الشعر أنه كبعر الكبش لأن هذا الأخير يقع متفرقا لا متجمعا .

[3] الجاحظ: لبيان والتبيين:76.

وعلى الرغم من بساطة التشبيه في بيت خلف الأحمر الذي استشهد به الجاحظ في هذا الموضع إلا أنه يعبر عن رؤية واعية لأهمية التماسك النصي في الأبيات الشعرية ، فهم على الرغم من كون الأب جامعا لهم إلا أنهم لا يأتلفون ولا يتفقون ؛ فكذلك الألفاظ حال كونها في بيت واحد والتنافر بينها ظاهرجلي.

ب-**نحو النص في الدراسات الغربية الحديثة:**

لم يكن نحو النص جديدا في الدراسات اللغوية الحديثة بل مهدت له الدراسات اللغوية السابقة حتى أن بعض الباحثين يعود به إلى العهد الأرسطي ، ويربط بينه وبين مقولات أرسطو في البلاغة والنصوص كالشعر والخطابة . ويرى بعض الباحثين أيضا أن هناك ارتباطا وثيقا بين البلاغة وعلم النص ، لأن الأولى تضع في الاعتبار مستويات القراء وأحوالهم النفسية والاجتماعية ، وتعدد القراءة ، وأشكال التواصل، ودرجات الفهم والاستيعاب وغيرها من المباديء التي يقوم عليها التحليل النصي[1].

وعلى الرغم من أن كثيرا من الدارسين يرفضون عقد مقابلة بين نحو النص وعلم البلاغة أو الأسلوبية أو علم اللغة العام لا يمكنهم الانفلات من حقيقة أن أسس نحو النص شيدت من نتاجات هذه العلوم ، وأنها لم تأت من فراغ.[2]

ومن هنا فمن غير المفيد في هذا المقام استعراض الإشارات والإرهاصات النصية في علمي البلاغة والأسلوبية وعلم اللغة العام ،لأنه يعد حشوا لا طائل منه ،

ولكن نتوقف في هذا البحث عند استعراض تاريخي لنشأة نحو النص وتطوره في الدراسات الغربية ؛ لأن المصطلح لم يتأصل في الدراسات العربية القديمة ولم تصل

[1] ينظر: بحيري، علم لغة النص:23.

[2] ينظر:بحيري، المرجع نفسه:27.

تلك الدراسات إلى حد النضج الذي وصلت إليه المدارس الغربية الحديثة بإفراد أطروحات في هذا العلم وتطبيق مناهجه وتصوراته على النصوص .

ولن يغرق البحث طويلا في الجانب التأريخي فالموقف يحتم علينا كذلك إضاءة بعض الحقب والأعمال المعروضة لأنها تمثل محطة نوعية في تطور هذا العلم ،ولهذا سنقدم نبذة موجزة عن بعض الأعمال الرائدة في نحو النص.

بداية وقبل العرض التاريخي لنشأة نحو النص وتطوره ، بجدر بنا التذكير بأن الباحثين في هذا العلم عجزوا عن نسبة هذا العلم إلى عالم معين ، أو حصره ببلد أو بمدرسة لغوية محددة ح وذلك لتعدد مناهجه واتخاذها مسارات متباينة في بلدان مختلفة.[1]

وتذكر الدراسات عملا مبكرا في هذا المجال ل(فايل) سنة 1887م، إذ علق تتابع اللفظ على تتابع الأفكار ، ويشار كذلك إلى دراسة الباحثة الأمريكية ناي (nye) في السنة ذاتها والتي بحثت فيها علامات عدم الاكتمال والتكرار بناء على أسس نصية . ويرى آخرون أن البدايات الفعلية لنحو النص كانت على يد زيلغ هاريس ""zelligharris في النصف الثاني من القرن العشرين وذلك في دراسة له بعنوان تحليل الخطاب ، ثم دراسة دل هيمز (dell hymes) الذي ركز على السياق الاجتماعي للنص.[2]

وقد ظلت الدراسة النصية وعلم لغة النص حتى سنة 1976م مجرد نظرات في كتب وأطروحات علماءاللغة والأسلوبيين عندما ظهر كتاب الاتساق في اللغة الانجليزية لهاليداي ورقية حسن هو كتاب يتألف من مدخل حددت فيه مجموعة من المفاهيم مثل : النص ، والنصية ، والاتساق ، وخصصت باقي الفصول لبحث مظاهر الاتساق

[1]–ينظر: سعيد بحيري، علم لغة النص:17.

[2] – ينظر: سعيد بحيري، المرجع نفسه:29.

مثل : الاحالة ، والاستبدال ، والحذف ، والوصل ،والاتساق المعجمي ثم ختم بفصل تطبيقي لما ورد من مباديء في المباحث السابقة.[1]

وقد اهتم الباحثان في هذا العمل ببيان كيفية حدوث الاتساق في النص، أي الأدوات التي يتماسك بها النص ، وجعه شرطا لنصية النص ، أي أن النص لا يعد كذلك ما لم تكن أجزاؤه متماسكة .

وهكذا عمد الباحثان إلى المقارنة بين النص المتماسك والجمل المتتالية التي لا يربط بينها رابط.[2]

ثم يأتي سنة 1977 مؤلف آخر يعد كذلك نقلة نوعية في دراسات نحو النص وهو كتاب (النص والسياق) (text and context) لتون فان دايك (van dijk)إذ هدف الكاتب من مؤلفه هذا إنشاء مقاربة أكثر وضوحا وتنظيما للدراسات اللسانية للخطاب .[3]

فقد مهد في الفصل الأول بأغراض البحث وأهدافه ، وبين اهتمام النظرية اللسانية وموضوع بحثها فقال :"إن النظرية اللسانية تهتم بأنساق اللغة الطبيعية أعني تراكيبها المتحققة أو الممكنة التحقق ، وبتطورها التاريخي وبمختلف أنشطتها الثقافية ووظيفتها المجتمعية وأسسها المعرفية [4]ثم يعدد المجالات والعلوم التي لابد من حضورها في الدرس اللساني في أثناء تحليل الخطاب وأنه لا يمكن حصره في علوم اللغة والنحو: "وذلك أن القواعد المتواضع عليها وشروط الدلالة والمرجع والتأويل ،

[1]– ينظر: خطابي محمد، لسانيات النص،المركز الثقافي العربي، بيروت،1991م، ص:11.

[2]– ينظر: خطابي محمد، المرجع نفسه، ص:12.

[3]– خطابي محمد، لسانيات النص:27.

[4]– فان دايك، النص والسياق ، ترجمة عبد القادر قنيني، دار افريقيا الشرق، بيروت، 2000م، ص:17.

وكذلك استعمال معرفة العالم... كل تلك أموريصح أن تدمج جوازا في اهتمام تحليل الخطاب اللساني وانشغاله.

وفي عقد الثمانينات من القرن الماضي أخذت الدراسات النصية تنحو منحى جديدا، وذلك على يد دي بوجراند في كتابه(النص والخطاب والإجراء)؛ إذ يوجه علم النص إلى التركيز على النواحي الاتصالية للعملية اللغوية، أو كما يسميها الإجرائية ، فهو يرى أن معالجة اللغة لها جانبان أساسيان هما الدرس والاستعمال ، الدرس هو فحص الكفاءة الأدائية للغة وإمكاناتها التركيبية والدلالية بواسطة النظر في عناصرها على مستوى الجملة وما دونها، نظرا تحليليا يعتمد على التبويب والتصنيف والتأصيل.أما الجانب الثاني وهو الاستعمال فإنه قد لا يتوافق مع نظام اللغة الافتراضي، لأن للمتكلم مشارب وأغراضا قد لا يحيط بها النظام اللغوي، وهذا الجزء الثاني هو مجال بحث علم النص، ومن هنا كان اهتمام الكاتب بالنواحي الإجرائية للنصوص ، ليصل بها إلى رؤية منطقية ، وهكذا شرع في معالجة وضع منهجية نصية تتميز عن غيرها بالتركيز على النص كإجراء في عملية اتصالية حية. يقول الكاتب في مقدمته، لقد جاء المجلد الحاضر نتيجة لمحاولاتي أن أحدد دراسات النص وأضع له الخطوط العامة من حيث هو إنساني .فلقد كتبت لأوحد البحوث التي تتناول ذلك من مجالات متصلة باللغة ، كعلم النفس المعرفي ، والاجتماع اللغوي...[1].

ويمضي الكاتب في بحثه فيناقش في الفصل الأول الإمكانات النصية المتاحة ، التي يمكن توظيفها في العملية الاتصالية ، ويعقد مقارنة بين النص والجملة ليثبت أهمية الانتقال من الجملة إلى النص في التحليل اللغوي ؛ إذ يسوق بعض المآخذ للمعالجات اللغوية المقصورة على الجملة والكلمة.

[1]–بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص:64.

ثم بعدها يعدد أشكال الترابط التي يمكن تحقيقها ورصدها في النص إذ يبدأ بالترابط التركيبي أو كما يسميه الرصفي، ثم بعدها يسهب في عرضه للنوع الآخر وهو الترابط الدلالي وذلك لأن العملية الاتصالية تقوم على النواحي الدلالية المفهومية أكثر منها على النواحي التركيبية على الرغم من سعي المتحدث إلى المحافظة على النظام اللغوي الذي يمارس اللغة في إطاره.

ولم يكتف الكاتب بتقديم منهجية تحليل وتناول الخطاب اللغوي في ضوء نحو النص أو التحليل النصي بل تعداه إلى وضع تصورات حول كيفية توظيف نتاجات هذا التحليل في نواحي الحياة المختلفة، وقد أعطى نموذجا واضحا لذلك التطبيق ن وذلك بتوجيه علم النص لخدمة المشروع التربوي، إذ عدد مآخذ التربية في امريكا بداية ن ثم ذكر الحلول والتي تكمن في تنمية مجموعة من القدرات العقلية لدى التلاميذ ، ويقترح في هذا المقام توظيف التحليل النصي في تحقيق ذلك الأمر.

ويذكر المؤلف وجها يمكن أن يتعاضد فيه علم النص مع التربية " وذلك أن اكتساب نوعي المعرفة الانسانية منهما والعلمي لا يمكن أن يتم إلا بواسطة خطاب حسن التنظيم ، وينبغي لعلم النص أن يهيء معايير واضحة صالحة للتطبيق من أجل إنتاج النصوص المستعملة في التعلم[1].

ثالثا : مهمة الدرس النحوي:

يتناول هذا المبحث محورين مترابطين بالجانب العملي الوظيفي لنحو النص ، وهما: الأهداف التي يرمي إليها توظيف هذا المنهج في دراسة النصوص ، والأدوات التي يوظفها في دراسة النصوص.

[1] روبرت دي بوجرانجد، النص والخطاب والإجراء، ص:558.

ثالثا:مجالات الدرس النصي وأهدافه:

تتعدد آراء الباحثين في المجالات التي يطرقها نحو النص بتعدد المدارس اللغوية التي ينتمي إليها كل منهم .فمنهم من يركز على النواحي اللغوية البحتة في الدراسات النصية ، ويرى أن النتائج المتوخاة من ممارسة نحو النص وتحليلاته هي لذات اللغة وبهدف إيجاد نماذج نصية مقننة في تلك اللغة ، وتقييد اللغة على مستوى النص بعد أن تم ذلك على مستوى الجملة.

ويرى آخرون أنه لا يجب التوقف عند النتائج التي يفرزها التحليل النصي والاكتفاء بذلك، بل لابد من توظيف تلك النتائج في تطبيقات تمس حياة الإنسان وتعمل على تطويرها، بما يحقق له مزيدا من التقدم والرخاء، مثل التربية وعلم النفس وعلم الاجتماع .

ومن الباحثين الذين تبنوا الرأي الأول ودافعوا عنه (فان ديك) في كتابه(علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات) فهو يرى ضرورة توظيف العلوم المختلفة في التحليل النصي من أجل النص نفسه أو من أجل قراءة النص ؛ لأن علم النص يستهدف ما هو أكثر عمومية وأكثر شمولية ، فهو يتعلق بكل أشكال النص الممكنة (الأدبية ، الاجتماعية ،الطبية ، القانونية...) وبالسياقات المختلفة المرتبطة بها.

وهو يرى كذلك أنه لا يمكن فصل علم النص عن العلوم الأخرى المرتبطة به، وهذا ليس إلغاء لخصوصية هذا العلم ، بل هو الاتجاه إلى العقلانية في معالجة النصوص ح إذ يتعذر قصر هذه المعالجة على النواحي اللغوية فقط.

ويمضي المؤلف في كتابه مسترشدا بهذه القواعد النظرية في عرض بعض التطبيقات العملية التي توظف فيها علوم مختلفة لقراءة النص ، فتحت عنوان سيكولوجيا استيعاب النص ، يناقش مشكلة إدراكية نفسية متعلقة بفهم النصوص بارة

عن السؤال الآتي : لماذا تختزن بعض المعلومات حول النص في الذاكرة وتزول أخرى ؟ وما صفة هذه المعلومة التي تبقى في الذاكرة؟ وكيف يمكن أن نعثر عليها مرة أخرى بشكل فعال لتوجيهها في وظائف أخرى ؟[1]

وفي موضع آخر يعرض فان ديك نموذجا لتحليل الحوار أو المحادثة من خلال توظيف نحو النص ، وما يتميز به هذا النموذج أنه حصيلة تخصصات مختلفة ، فللعلم اللغة في هذا التحليل وظيفة محدودة ، وهي العناية بالجوانب النحوية للنص ، والربط الدلالي والبارغماتي، أما علم النفس فمكانته من خلال بيان الشروط الإدراكية والانفعالية في هذه المحادثة ، وهكذا باقي العلوم كل حسب تخصصه.[2]

ولا يبتعد كثيرا عن هذا التوجه الدكتور صلاح فضل لمهمة علم النص ، فهو يراها أنها تختص بوصف العلاقات الداخلية والخارجية للأبنية النصية بمستوياتها المختلفة ، وشرح المظاهر العديدة لأشكال التواصل واستعمال اللغة ، كما يتم تحليلها في العلوم المتنوعة . ثم يتعمق في الهدف المرجو من نحو النص إلى مظاهر برغماتية مثل : شرح كيفية امتلاك المتحدثين لكفاءة القراءة ن وسماع المظاهر اللغوية المعقدة المتمثلة في النصوص ، وفهمها واستخلاص معلومات محددة منها ، والتخزين الجزئي على الأقل لهذه البيانات في الذهن ، وإعادة إنتاجها طبقا للمهام أو الأغراض أو المشكلات التي تثار من أجلها [3].أما عبد الرحمن بودرع فيرى بأن النص" فالنص النسيج العام الذي يتألف من خيوط متناسقة على صيغة خاصة، ويتعدى

[1]ينظر: روبرت دي بو جراند، النص والخطاب والإجراء، ص:257.

[2] ينظر: روبرت دي بو جراند، المرجع نفسه، ص:257.

[3]ينظر: فضل صلاح، بلاغة الخطاب وعلم النص:247.

الجملة باعتباره سلسلة من الجمل يضبطها مبدآن: مبدأ الوحدة ومبدأ الاتساق والتناسق"[1].

وأما روبرت دي بوجراند فهو صاحب الرؤية الثانية التي لا تكتفي من هذا العلم بإيجاد نماذج نصية مقننة وهياكل لغوية محددة ، بل تتعدى ذلك إلى توظيف تلك النتائج في ممارسات عملية تمس نواحي الحياة المختلفة ، ومن النماذج التطبيقية التي يعرضها الكاتب تفعيل نتائج نحو النص في التعليم والتربية بشكل عام ، فهو ينتقد بداية التربية النمطية السائدة في أمريكا ، ويرى أنها تسير من الناحية المعرفية في الطريق الخطأ لأنها ى تهتم غالبا بالمعلومات الوقائعية، وتقلل اهتمامها بالمعرفة العلائقية الفكرية، فالمعلومات المكتسبة حاليا سرعان ما تتعرض للنسيان بعد الامتحان ، لعدم وجود الترتيب التنظيمي المطلوب من أجل التطبيق ، ويدعو الكاتب للخروج من هذا الوضع إلى تنمية طائفة من القدرات العقلية القوية والمرنة من أجل اكتساب المعرفة وتطبيقها بغض النظر عن المحتوى، ويرى أننشاط استعمال النصوص مرتكز هذا المشروع التربوي ؛ لأن القدرات العقلية القوية والمرنة التي اقترحها يمكن أن تنمى من خلال مهارة إنتاج النصوص واستقبالها بآليات محددة لا تتوفر إلا في علوم اللغة ومنها النص .

ويرى الكاتب أن من أهم تطبيقات نحو النص في مجال التربية أن يسهم هذا العلم في إيجاد خطاب حسن التنظيم يصلح لحمل الرسائل المراد إيصالها للمتعلمين .

ويعرض الكاتب بعدها لتطبيقات تربوية أخرى يمكن توظيف نحو النص فيها مثل تعليم القراءة والكتابة.

[1]– عبد الرحمن بودرع، في لسانيات النص وتحليل الخطاب نحو قراءة لسانية في البناء النصي للقرآن الكريم، بحث مقدم للمؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، 2013م، ص16.

أ-أدوات نحو النص ووسائله:

من الطبيعي أن تتنوع الأدوات بين الباحثين والممارسين للتحليل النصي؛ وذلك لتنوع المبادئ والتوجهات التي يقيم عليها كل منهم نظرية نحو النص . فهاينه مان وديترفيهفيجر يقرران أن علم النص لا يمكن أن يمارس بمعزل عن بعض الظروف ، التي يجب أخذها في الاعتبار أثناء التحليل النصي ، ويمكن إجمالها فيما يأتي:

ب.**النواحي اللغوية:**

وهنا يعرض الكاتبان أسئلة عن علاقة علم النص بعلم اللغة النظامي ، أو علم لغة الجملة ، ويريان أن علم النص إنما هو توسيع لعلوم اللغة السابقة له ، وأنه لابد أن يعمد إلى وصف المباحث المعتادة : الصوتية ، والصرفية ، والمعجمية ، والنحوية غير المستقلة .

ج. **النواحي الاجتماعية والظروف التي قيل فيها النص:**

وهنا يتم مراعاة علم الاتصال ، والتفاعل الذي يتم أثناء عملية الاتصال ، بما في ذلك الظواهر غير اللغوية ، مثل حركة الجسم وملامح الوجه والإشارات المصاحبة للتعبيرات اللغوية في أثناء الحديث .

.النواحي النفسية:

فأبنية النصوص ليست إلا نتائج عمليات نفسية ، مما قد يسمى لقطات سريعة لتجسيد نتائج الإجراءات الإدراكية[1].

ويذكر الدكتور صبحي الفقي مجموعة من الأدوات (المستويات)للتحليل النصي ، نجملها فيما يأتي:

[1] فولفجانج وديترفيهفيجر، مدخل إلى علم لغة النص، زهراء الشرق، القاهرة، 2004م:8

1-المستوى الدلالي .

2- المستوى المعجمي /النحوي .

3-المستوى الصوتي.

ويتحفظ على المستوى الثالث بسبب اقتصار معالجاته على النصوص المكتوبة فقط ، فهو يستدعي نصا منطوقا.

ومن هنا فهو يقترح مجموعة من العناصر لا يمكن إغفالها أثناء التحليل النصي منها .

1.الاستهلال أو فاتحة النص وتتمثل في : عنوان النص ، والجملة الأولى ، والفعل الأول ، والزمن الأول (الحروف المقطعة في القرآن الكريم مثلا)

2 الاحالة أو المرجعية.

تعد من أهم العناصر التي يجب مراعاتها في التحليل النصي ؛ لأنها من أكثر الأدوات إسهاما في تماسك النص وترابطه.

وقد تكون الإحالة إلى داخل النص نفسه، وقد تكون خارجية ،ـــوهنا تكمن الحاجة إلى معرفة سياق النص والظروف التي نشأ فيها فكثير من الإحالات لا يمكن توجيهها الوجهة الصحيحة إلا بإدراك الظروف التي قيل فيها النص.

ولا تقتصر هذه الصعوبة على الإحالات الخارجية فقط ، بل حتى الإحالات الداخلية أحيانا يصعب على القارئ توجيهها .خاصة في النص القرآني الذي يحتاج الباحث في التعامل معه إلى مزيد من الحيطة والحذر .

وقد جاء في كتاب سلطة النص لعبد الهادي عبد الرحمن : "نزل القرآن العظيم متفرقا، آية آية أو آيات آيات، أو سورا قصيرة ، وفي أزمنة مختلفة متباعدة ، وتشكل

البنية لكل سورة قرآنية غرضا محددا قد ينتهي بانتهاء زمانه أو مضمونا ذا صبغة تبقى مع الزمن ، وتستمر فيه كتعاليم وشرائع وتقاليد...ولها بعدان زمانيان ، وبعدان مكانيان أيضا .

البعد الأول : هو زمان ومكان الغرض الذي من أجله جاء النص، والثاني زمان ومكان التواصل في التاريخ[1].

3-التماسك : وهو العنصر الثالث من عناصر التحليل النصي ، وتتضح أهميته في تحقيق استقرار النص وثباته ؛ إذ عد بعض الباحثين عنصر الثبات من أهم الأسس التي يقوم عليها النص.

يعدد الدكتور صبحي الفقي ثلاثة شروط لتحقيق التماسك ، وهي:

أ-العلاقة بين معاني الكلمات الواردة في الجمل.

ب-التطابق الإحالي (أي ارتباط القضايا بعضها ببعض).

ج-وحدة المحال إليه[2]

وقد عرض بحيري [3]ثلاثة نماذج يرى أنها تمثل الاتجاهات الأكثر نضجا في التحليل النصي يمكن أن نوجزها في الآتي :

[1] عبد الرحمن عبد الهادي، سلطة النص ، سينا للنشر ، بيروت، الطبعة الثانية،1998ص:89.

[2] ينظر: الفقي، علم اللغة النصي:77.

[3] بحيري، علم لغة النص: 163-234.

أ-التجزئة النحوية النصية:

وظهر هذا الاتجاه في التحليل عند (فاينرش)، وهذا الاتجاه يهتم بالجملة ونحوها ولكن ليس لذاته إنما ليمهد به إلى النقلة التالية على مستوى النص؛ فلا ينظر إلى الجملة بحسبانها جزءا مستقلا مفيدا يمكن عزله عن بقية الأجزاء المكونة لكلية النص ، والمعلومات التي تقدمها الجملة محدودة ، ولكنها تشكل مع المعلومات الأخرى الخطاب الكلي.

ب-**أجرومية النص:**

وهو اتجاه فان دايك في التحليل النصي، ويرى أن النحو ليس مجموعة من القواعد التي تطبق على النص، ولكن مفهوم القاعدة يقتصر على القوانين المستخلصة من النص ذاته ، ويدعو هذا الاتجاه إلى حرية الدلالة وجعلها تتصف بالدينامية والتغير في النص ، لكن لا تكون الحرية مطلقة لأي دلالة ، بل تحد بحدود عامة تحكم بنية النص.

ويحاول هذا الاتجاه دراسة النص وتراكيبه وأبنيته ووظيفته بمعايير علمية ، هي معظمها من المعايير المستخدمة في النحو التحويلي التوليدي ؛ إذ نجد في معالجة الأشكال النحوية معايير الحذف والإضافة والترتيب ...وغيرها.

ج-**التحويل التوليدي للنص:**

وعرف هذا الاتجاه عند بتوفي، وهو ينطلق من المبدأ نفسه الذي عمل سابقوه بمقتضاه وهو الوحدة الكلية للنص ، ويقترب نموذجه من نموذج فان دايك ؛ اذ تأثر بتوفيبتشومسكي إلا أنه تميز بتركيزه على توضيح كفاءات المتحدثين والمستمعين في تحليله ،أي كيفية إنشاء النص وتلقيه.

وأكد أن مكونات النص تتعدى النواحي الدلالية إلى العناصر التداولية التي يجب ألا يغفلها التحليل النصي ، ولابد من تحقيق توازن دائم بين العالم الخارجي وعالم النص.

ومن هنا فإن هذا الاتجاه يرى عدم الاقتصار في التحليل على المعاني الداخلية والسطحية للنص ، بل يجب أن يتعداها إلى ما يسمى بالمعاني الإضافية أو الإشارية أو الإحالية أو التداولية.

المبحث الرابع: التعريف ببعض مصطلحات نحو النص:

هناك الكثير من المصطلحات في نحو النص تحتاج إلى جلاء ، وذلك لجدة هذا العلم وحداثته في الوسط اللغوي ، وفي هذا المقام لا يمكن الوقوف على كل المصطلحات المتعلقة بعلم النص ح وذلك لسببين أحدهما أن هذا العلم يعد مظلة منهجية تتدرج تحتها علوم لغوية عديدة ، بل حتى العلوم الأخرى (علم النفس ، وعلم الاجتماع...)تتداخل وتتقاطع مع علم النص ، وبالتالي فهناك العديد من المصطلحات تتولد نتيجة هذا التفاعل .

والسبب الثاني أن مقامنا هذا لا يهدف إلى تقصي النواحي النظرية في مجال نحو النص وإنما كان الاستفتاح بهذا الإطار النظري تمهيدا للممارسة التطبيقية في الفصول الآتية.

ويمكن القول إن معظم المصطلحات المختصة بنحو النص توحدت الرؤية حولها ، ولا يختلف الباحثون في دلالة هذه المصطلحات:

1-البنية العليا للنص:هي الجنس الأدبي الذي ينتمي إليه النص-كما يراها الدكتور صلاح فضل-وأن تفكيكه إلى الوحدات المكونة له يعتمد على الإدراك السليم لهذه

البنية...ولا مفر لنا عند تحليل النصوص من توظيف معرفتنا الأدبية بخواص الأجناس التي تنتمي إليها هذه النصوص.

فعند قراءة الشعر مثلا فإن هناك الكثير من الموجهات لهذه القراءة نابعة من طبيعة الشعر وجنسه، وكذلك عند قراءة أي عمل من أي فن من الفنون لا يمكن تجاهل انتمائه[1].

2- البنية الكبرى هي البنية المتكونة من حالة الترابط على مستوى النص بوصفه كلا متكاملا ، وتتميز هذه البنية بالعموم مقارنة بالأبنية الخاصة الأخرى الأدنى منها في المستوى [2].

ويبدأ التحليل النصي من البنية الكبرى ، وهي تتصف بدرجة عالية من التماسك والانسجام ، ومن الجدير بالذكر هنا أن تحديد البنية الكبرى للنص أمر نسبي ،إذ يختار كل قارئ العناصر التي يراها مهمة في النص ، وبذلك يمكن أن يتفاوت هذا الاختلاف بتفاوت ثقافة القارئ وخلفياته واهتماماته ومن هنا يتباين أمر تحديد البنية الكبرى للنص من قارئ لآخر.

3-البنية الصغرى :إذا كان مصطلح الأبنية الكبرى يطلق على الوحدات البنيوية الشاملة للنص ،فإن الأبنية الصغرى يطلق على أبنية المتتاليات والأجزاء .

ويشترط في هذه المتتاليات والأجزاء كي تكون أبنية كبرى ، ومن ثم نصوصا أن تكون متماسكة [3].

[1] ينظر: صلاح فضل، بلاغة الخطاب:254.

[2] دايك، علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، ترجمة سعيد بحيري، دار القاهرة، القاهرة،2001م،ص75.

[3] ينظر: صلاح فضل، المرجع السابق:255.

ويرى فان دايك أن أي نحو ينبغي أن يصف جملا ويصف تتابعات الجمل فمثلما تكون هناك علاقات بين الكلمات في الجملة الواحدة ، كذلك لابد من وجود العلاقات نفسها بين الجمل في تتابع ما، يحدد المستويات ذاتها التي توصف بها الجملة الواحدة ،كذلك لابد من وجود العلاقات نفسها بين الجمل في تتابع ما ، يحدد المستويات ذاتها التي توصف بها الجملة الواحدة لوصف الأبنية الصغرى (الصوتي، الصرفي ، النحوي ، الدلالي).

وهنا يجب التمييز بين الجمل المركبة المكونة من عدة أجزاء كل جزء في ظاهره يمكن أن يكون بنية جملة مستقلة، وبين البنية الصغرى المكونة من تتابعات جملية ،

ومحور هذا التمييز وأداته هو السياق الاتصالي[1].

4.التماسك النصي يعرفه كريستال :أنه الاتصالات المنطقية ، المقدرة للاستعمال اللغوي ، وهو لا يركز على معنى النص ، بل ينصب تركيزه على كيفية تركيب النص بحسبانه صرحا دلاليا .

ونحكم على النص بالتماسك إذا احتوى على سلسلة من الجمل تطور الفكرة الرئيسة [2].

والحقيقة أن النقاش قد احتدم حول مفهوم التماسك أو بالأحرى حدود التماسك في النص ، وقد توجهت كل مدرسة لسانية حسب مبادئها ورؤيتها للنص فمنهم من ركز على الجوانب الشكلية والتركيبية للنص في تعريفه للتماسك ، ومنهم من رآه في الوحدة الدلالية للنص، وفريق ثالث أخذ بمبدأ الوسطية ، ورأى أنه لا يمكن فصل التركيب عن

[1] ينظر: فان دايك، علم النص:45-46

[2] إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي،96.

الدلالة والعكس ، لذا فهو يرى أن التماسك يجب أن يتحقق في الجانبين ، وإذا اختل أحدهما يفقد الأداء اللغوي سمة النصية.

ويتحتم علينا أن نورد مصطلحين يمثلان هذين المحورين في التماسك اللغوي (التركيب والدلالة)، وهما السبك والحبك.

أ-: هو الوسائل التي تتحقق بها خاصية الاستمرارية في ظاهر النص .ويقصد بظاهر النص الأصوات والكلمات والجمل الناتجة عن العملية اللغوية .ويمكن إجمال أبرز وسائل السبك في التكرار ، والمصاحبة المعجمية والإضمار ، والحذف ، والربط (يقصد به أدوات الربط مثل العطف والاستدراك...)

ب- الحبك : وهو ما يطلق عليه الترابط المفهومي، الذي يهتم بالعلاقات بين المفاهيم وترابطها .ومن ابرز علاقاته: السببية ، والزمانية، والإبدالية، والمقارنة ، والتضمن (علاقة الكل بالجزء، علاقة الملكية)، الإجمال والتفصيل[1]

-الإحالة:

وتنقسم إلى نوعين:

-**إحالة داخلية:** وتعني العلاقة الإحالية داخل النص نفسه وتكون إما بالرجوع إلى ما سبق وتسمى إحالة قبلية ، أو بالإشارة إلى ما سوف يأتي داخل النص ، وتسمى **إحالة بعدية** .

-**إحالة خارجية:** وهي من الأهمية بمكان في التحليل النصي ، ويطلق عليها مصطلحات المقام ، والسياق ، وتعرف بأنها الأنماط اللغوية التي تشير إلى الموقف الخارجي عن اللغة [1].

[1]عبد المجيد جميل، علم النص(مقالة في مجلة عالم الفكر)، المجلد32، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2003: 145-148.

معايير النص: وقد عد ديبو جراند معايير النص سبع هي :

1-**السبك cohesion**: وهو يترتب على إجراءات تبدو بها العناصر السطحية على صورة وقائع يؤدي السابق منها إلى اللاحق بحيث يتحقق لها الترابط الرصفي. ووسائل السبك تشمل المركبات والتراكيب والجمل ، وعلى أمور أخرى مثل التكرار، والألفاظ الكنائية، والأدوات ، والإحالة المشتركة.

2-**الالتحام** ""**coherence**وهو يتطلب من الإجراءات ما تنشط به عناصر المعرفة لإيجاد الترابط المفهومي، واسترجاعه،وتشتمل وسائل الالتحام على:

أ-العناصر المنطقية:كالسببية والعموم والخصوص.

ب-معلومات عن تنظيم الأحداث ، والأعمال، والموضوعات ، والمواقف.

ج-ويتدعم الالتحام بتفاعل المعلومات التي يعرضها النص مع المعرفة السابقة بالعالم.

3-**القصد**""**intentionality**:وهو يتضمن موقف منشئ النص كون صورة ما من صور اللغة قصد بها أن تكون نصا يتمتع بالسبك والالتحام، وأن مثل هذا النص وسيلة من وسائل متابعة خطة معينة للوصول إلى غاية بعينها. في مجال القصد، حيث يظل القصد قائما من الناحية العملية حتى مع عدم وجود المعايير الكلية للسبك والالتحام.

4-**القبول** "**acceptability**":وهو يتضمن موقف مستقبل النص إزاء كون صور ما من صور اللغة ينبغي لها أن تكون مقبولة من حيث هي ذو سبك والتحام

5-**رعاية الموقف**"**situationality**": وهي تتضمن العوامل التي تجعل النص مرتبطا بموقف سائد يمكن استرجاعه، ويأتي النص في صورة عمل يمكن له أن يراقب الموقف وأن يغيره.

---

[1] ينظر:الفقي، علم اللغة النصي ،ج1،38.

6**التناص**"**intertextuality**":وهو يتضمن العلاقات بين نص ما ونصوص أخرى مرتبطة به وقعت في حدود تجربة سابقة سواء بوساطة أم بغير وساطة.[1]

ا 7-**الإعلامية**"**informativity**": وهي العامل المؤثر بالنسبة لعدم الجزم في الحكم على الوقائع النصية، والإعلامية تكون عالية الدرجة عند كثرة البدائل، وعند الاختيار الفعلي البديل من خارج الاحتمال، ومع ذلك نجد لكل نص إعلامية صغرى على الأقل تقوم وقائعها في مقابل عدم الوقائع .[2]

ويرى ديبوجراند أن هذه المعايير السبعة منها "معياران تبدو لهما صلة وثيقة بالنص (السبك والالتحام) واثنان نفسيان بصورة واضحة (رعاية الموقف والتناص)، أما المعيار الأخير (الإعلامية) فهو بحسب التقدير".[3]

واعتمد سعد مصلوح على التقسيم السابق ، مع نوع من التصرف ، فقد صنف المعايير السبعة إلى [4]:

1-مايتصل بالنص في ذاته، وهما معيارا "السبك والحبك".

2-ما يتصل بمستعملي النص، منتجا ومتلقيا، ووهما معيارا "القصدية والتقبلية".3-ما يتصل بالسياق الخرجي المحيط بالنص، وهي المعايير المتبقية "الإعلامية، والمقامية، والتناص".

---

[1] ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، دلالة السياق، جامعة أم القرى المملكة العربية السعودية.ط1 1424ه:259.[1]

[2] ردة الله الطلحي، المرجع نفسه:259.

[3] روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء:106.

[4] ينظر: د.سعد مصلوح، نحو أجرومية للنص الشعري، بحث منشور في مجلة فصول،المجلد العاشر، العددان الأول والثاني، جويلية 1991م:154.

وهذا التصنيف هو المعتمد في هذا البحث، لتقديرنا لوجاهته، وموضوعيته؛ لأن معياري "السبك والحبك" يمثلان صلب النص وأساسه، فالأول منهما يختص بتناول الروابط اللفظية في ظاهر النص (السطح) ،والثاني يختص بتناول الروابط المعنوية والدلالية في عالم النص (الداخل)، أما معيارا "القصدية و التقبلية"، فتتجلى فيهما العلاقة التواصلية بين منتج النص ومتلقيه، وترتبط المعايير الأخرى بالسياق الذي أنتج فيه النص.

والذي نطمئن إليه من خلال بحثنا هذا: هو أن تلحق "الإعلامية بالمعيارين المتصلين بصاحب النص وسامعه أي المتلقي، فالإعلامية لا تتعلق بالسياق الخارجي ، بقدر ما ترتبط مع مقصدية صاحبه، وقبول السامع؛ لأنها تحتوي معنى الإخبار عن رسالة يتضمنها النص، مما يجعلها ألصق بالتصنيف الذي يختص بمتلقي النص.

وتجدر الإشارة هنا ، إلى أن هذا التصنيف لإنما هو تصنيف منهجي تطلبته طبيعة التحليل النصي في التناولات النصية.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

خلاصة الفصل الأول

نخلص مما سبق إلى أن مصطلح النص ونحو النص وعلم النص لهم دلالات تتفاوت بين العموم والخصوص، فالنص عند علماء الأصول نوع من أنواع دلالة اللفظ على معناه، والأصل فيه أنه مصدر للفعل نص ينص بمعنى الرفع والإظهار والإسناد، ونص القرآن ونص السنة أي ما دل ظاهر لفظهما عليه.

-نحو النص منهج لغوي انتقل بالتحليل اللغوي من مستوى الجملة إلى مستوى النص.

-هناك مجموعة من الأدوات لا غنى عنها في التناول النصي، فهي إضافة إلى اللغة هناك الجوانب النفسية في النص، والإطار الاجتماعي والسياقي له.

-أن النص هو كل كلام متصل ذو وحدة واضحة تنطوي على بداية ونهاية، ويتصف بالترابط والتماسك، وينسجم مع سياق خاص أو مقام يتعلق بالعلاقات القائمة بين القارئ والواقع من خلال اللغة، والوظيفة الرئيسة للنص تتجلى في خلق التواصل بين منتج النص ومتلقيه، ويبرز دور المتلقي أو السامع واضحا في كتابات البلاغيين العرب.

-تعددت واختلفت مفاهيم النص عند المحدثين إلا أن معظمها كان يدور حول مجموعة من الخصائص تكاملت لتعرف بعدها بمعايير ومفاهيم النصية، والتي يعد السبك والترابط والتماسك والانسجام من أهمها.

-لا شك أن العرب لم يعرفوا مصطلح نحو النص إلا حديثا، لكن بعض آرائهم البلاغية واللغوية تدل على ممارستهم لهذا المنهج. وعلى الرغم من أنه لا يوجد تعريف اصطلح عليه العرب القدماء للنص إلا أن توظيف اللفظ في كتاباتهم، وتصنيفاتهم يدل على أنهم يعبرون عن الكيان اللغوي المصطلح عليه عند المحدثين اليوم باسم النص.

الفصل الثاني:

إتجاهات النحو القرآني

توطئة

المبحث الأول:الإتجاه التفسيري

المبحث الثاني:إتجاه نحو القراءات

المبحث الثالث: الإتجاه اللغوي

المبحث الرابع:الإتجاه النصي

خلاصة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

توطئة

يقسم الباحثون الدرس النحوي العربي القديم إلى اتجاهات مختلفة استمدت من تراث العربية الخالد ألا وهو القرآن الكريم وقراءاته. وكان التراث النحوي الأساس الحقيقي الذي انطلقت منه الاتجاهات النحوية على تنوع أفكارها واختلاف توجهاتها.

وقد تعددت الاتجاهات الفكرية في تناول النص القرآني، وتعددت مدلولاتها المستنبطة من طبيعة النص، وتطور بعض منها بما يكون اتجاها ونظرية مستقلة، وعلى كثرة جهود الدارسين للنص القرآني في بحث أساليبه واستقصائها ، واجتهاد كل منهم بما يراه ملائما ، إلا أننا نجد اختلافهم في فهم النصوص القرآنية وتفسيرها وإدراك معانيها. الأمر الذي أدى إلى اختلاف الآراء والأحكام في تعليل الظواهر وتأويل النصوص.

ومن ذلك اختلاف الدارسين في تحديد مفهوم دقيق لنحو القرآن، فمفهوم النحو القرآني عند د. عبد العال سالم يشير إلى القواعد النحوية التي تأثرت بالقرآن الكريم [1].وذهب الدكتور أحمد مكي الأنصاري إلى أن النحو القرآنيهو تصحيح قواعد النحو بالقراءات والآية القرآنية [2]، وإن المقياس الدقيق لمعرفة الاصطدام بين القاعدة النحوية والآية القرآنية واستنباط القواعد منها [3].ومنهم من رأى النحو القرآني الاستشهاد بالشواهد القرآنية واستنباط القواعد منها [4].ومنهم من ذهب إلى أن المفسر هو الذي استنبط النحو القرآني. وفي الحقيقة أن ما ذهب إليه الباحثون لا يحدد مفهوما دقيقا لمصطلح النحو القرآني ولا يكاد يمثل نظرية نحوية

---

[1]– ينظر:د.عبد العال سالم مكرم، القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية، دار المعارف، مصر ،ص،306.

[2]– ينظر:أحمد مكي الأنصاري، نظرية النحو القرآني، ط1، 1985م، ص، 49–73.

[3]– ينظر: الأنصاري، نظرية النحو القرآني، ص: 50.

[4]– ينظر:أحمد مكي الأنصاري، النحو القرآني قواعد وشواهده، ط2، مكة المكرمة، 1998م م:1/1.

قرآنية متكاملة لها إطارها الفكري ومحتواها المعنوي، إلا أنها في مجملها تمثل خطوطا من خطوط البحث، ونمط واتجاها من اتجاهات البحث النحوي لقرآني إلا لسببين:

1- عدم اتضاح الرؤية الفكرية والمنهجية لأسس النحو القرآني في تحديد اتجاهات البحث النحوي؛

2-عدم وجود منهج نحوي محدد في الاستدلال على النحو القرآني وتحديد أسسه وعلاقاته واتجاهاته.

فلهذا وجدنا أن دراسات النحاة القدماء قد اتجهت اتجاهات مختلفة، ونحو مناحي متنوعة في فهم النص القرآني؛ إذ انطلقت من أسس فكرية ومعنوية حددت تبعا لذلك طبيعة الفكر النحوي و منهجيته.

إن هذه الاتجاهات لم تحدد اعتباطيا، وإنما تأسست على أسس فكرية ومعنوية واعتماد القرائن الدلالية والمعنوية في اتجاهها اتجاها محددا ومنظما. وهو ما وجه إليه أنظار الدارسين لمرحوم الدكتور عبد الستار الجواري في نحو القرآن [1].

وعليه فإن المحدد الرئيس لهذه الاتجاهات النحوية القرآنية هو الخلاف الحاصل في فهم النص القرآني والوظائف النحوية لمفرداته وتراكيبه، كما أن تباين مناهج تأليف النحاة تبعا لتنوع ثقافاتهم اللغوية والإسلامية ساعد في توجيه الدرس النحوي توجيها معنويا، وجعلهم يتجهون اتجاهات مختلفة في تحليل النص القرآني.

وفي ضوء هذا التفاوت الحاصل في فهم النصوص القرآنية، وفي اتجاهات البحث النحوي، وجب تحديد بعض الاتجاهات التي ميزت البحث النحوي القرآني والتي تعتمد الأسس الفكرية والمعنوية أساسا لها.

[1]- د.علي كاظم الأسد، المفسر ومستويات الاستعمال اللغوي، ط1، دار الضياء، العراق،2007م، ص،72.

ولابد من الإشارة هنا أننا لا نؤيد القول بانفصال هذه الاتجاهات النحوية في البحث القرآني، إذ أنها تأتي أحيانا مجتمعة في المصدر النحوي القرآني،أو تأتي منفردة، لكننا وجدنا أن الدراسات النحوية القرآنية قد تتجه أحيانا اتجاها مستقلا واضحا، فيبدو اتجاها بارزا واضح المعالم، أو تتفاوت فيما بينها في عناصر البحث النصي وطبيعة تناولها له بما يكون سمة بارزة تميز بعضها عن بعض.

وفي ضوء ذلك تم تحديد جملة من الاتجاهات النحوية القرآنية وهي[1]:

المبحث الأول:

1-الاتجاه التفسيري:

أخذ الدرس النحوي يتطور ويتعمق بمرور الزمن، وكان المعنى لا يتحقق إلا عن طريق النظام النحوي، "جاءت الإشارات النحوية ملازمة للتفسير القرآني آخذة بلحمة التحديد الدلالي فيه وكان وجودها في بدايات التلقي والمدارسة من قبيل الفهم للدلالة التفسيرية، التي من ضمنها بعض العناصر النحوية"[2]، وقد تغير وتعمق النظر في التفسير بازدياد التأمل في هذه القضايا، ومن ثم أضحت معايير الاستعمال في الكلام العربي والشواهد السماعية ركائز وأسس يستأنس إليها ويحتكم وفقهافي توجيه الدلالات القرآنية" ف"لم تبن القواعد النحو بمعزل عن النصوص القرآنية، والخصائص النصية لأسلوب القرآن الكريم، ذلك أن المفسرين حين أخذوا ينظرون في القرآن الكريم ويتفهمون مقاصده قادهم عملهم في تلمس المعنى ، وتحديد المرامي إلى الحديث عن كثير من قضايا النحو"[3].

---

[1]– د. هناء محمود إسماعيل، النحو القرآني في ضوء لسانيات النص، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2012م، ص،56.

[2]–د.محمود حسن الجاسم، تأويل النص القرآني وقضايا النحو،ط2، كنوز المعرفة، عمان، الأردن، 1437هـــ –2016م، ص:12.

[3]–د.محمود حسن الجاسم، تأويل النص القرآني وقضايا النحو، ص: 79–80.

وقد كان النحو أهم العلوم وأكثرها تعلقا بعلم التفسير، إذ ظهرت وشائج العلاقة الوثيقة بين مباحث النحو ومباحث علوم التفسير؛ فقد النحو قد شغل علماء التفسير واتخذوا منه أداة لإيضاح آيات الذكر الحكيم، كما أن القرآن كذلك ومن جانب آخر قد شغلت آياته النحاة حيث انكبوا عليها إعرابا وتبيانا وإيضاحا "[1].وازدادت هذه الصلة بعدانتشار اللحن وذيوعه على ألسنة الناس في وقت مبكر منذ عهد الرسول الكريم محمد –صلى الله عليه وسلم – وعهد الصحابة رضوان الله عليهم فظهرت الحاجة إلى حفظ النص القرآني وضبط قراءاته وحفظها من التحريف والخطأ والزلل [2].لذا اشترط القدماء شروطا ووضعوا قواعد في التفسير، وكانت أولى أدوات المفسر معرفته بقواعد اللغة وجزئياتها وثانيهما المعرفة بقواعد النحو.وظهرت الحاجة إلى علم النحو في مباحث التفسير "لأن المعنى يتغير ويختلف باختلاف الإعراب، فلابد من اعتبار علم النحو ّ مظهرا من مظاهر تفسير القرآن وتوضيحه ومنهم من بالغ في أن"النحو هو التفسير أو نصفه، لأن كثيرا من الآيات كانت ستظل غامضة لو لم تعينها وسائل النحو وقواعده على أن تتضح وتبين ّ[3]. فالنحو وسيلة المفسر إلى فهم النص القرآني: [4]، وهو الطريق إلى تحليل تراكيبه وفهم أساليبه وعدم الزيغ في تفسيره . والنحو وسيلة من وسائل الكشف عن معاني النص القرآني. وظهر في الآونة الأخيرة مصطلح نحو التفسير، أو النحو التفسيري ليشير إلى أن للنحو وكتب التفسير علاقة ووجها آخرا

---

[1] د. محمد اللبدي، أثر القرآن والقراءات في النحو العربي، ط1، دار الكتب الثقافية، الكويت،1978م، ص: 274.

[2] ينظر: عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر جلال الدين (ت911)، الإتقان في علوم القرآن، لبنان، 1973م، ص: 174/2.

[3] د. محمد اللبدي، أثر القرآن والقراءات في النحو العربي، ص:175.

[4] د. إبراهيم عبد الله رفيدة، النحو وكتب التفسير، ط1،الدار الجماهيرية، طرابلس، 1978م، 1399، ص:13/3.

وهما:" توجيهات المفسرين وآرائهم النحوية القرآنية التي نقلها النحويون في كتبهم فأفادوا منها أو نقدوها " [1]. وقد تتبع الدكتور إبراهيم رفيدة مسار التفكير النحوي في كتب التفسير، وقسم مراحل النحو التفسيري إلى ست مراحل "[2]، وعد المرحلة الأولى والمرتكز في بدء التفكير النحوي التفسيري هي كتب معاني القرآن، فهي المرحلة التي بنى عليها المفسرون اللاحقون رؤيتهم النحوية ، وتحليلهم اللغوي والتي انطلقوا منها في تفسيرهم العقلي ".وربما يكون هذا السبب الذي جعل أحد الباحثين يذهب إلى أن المفسر هو الذي تنبه على النحو القرآني. وهو يختلف عن نحو النحاة الذي يتوخى الصحة والصواب النحوي، فهدف النحو القرآني التفسير وله اصطلاحاته القرآنية الخاصة. يقول د. علي كاظم أسد :" ولكن المفسر وهو الذي ينتمي إلى القرآن يؤمن بوجود نحو القرآن غير النحو الذي أخذ من كلام الناس الذي انتمى مستقرؤوه إليه، و لاستنبط بهذا النحو القرآني من قوله تعالى :" ليغفر لكم من ذنوبكم" [3] دلالة من التي قال عنها الأخفش إنها زائدة لاستنبط دلالة التبعيض التي لم ترد في آيات القرآن كله إلا في خطاب الأمم الأخرى، فلا يغفر الله إلا بعض ذنوبها وليس كلها.وكل ما ورد في القرآن من قوله تعالى : ليغفر لكم من ذنوبكم" من دون من هذه إنما هو من خطاب الرسول محمد صلى الله عليه وسلم تكريما لهم؛ ذلك أن نحو القرآن هدفه التفسير، ونحو هؤلاء هدفه الصواب والخطأ، فكم من دلالة خلفوا وراءهم بمصطلحهم هذا، فوصفوا هذه الكلمة الصغيرة ولكنها الدالة في هذا الكتاب الكبير المقصود فيه كل شيء حتى وإن صغر، فكان يجب أن تسمى هذه من التي للجنس في

[1]–إبراهيم رفيدة، النحو وكتب التفسير، ص:12/1.

[2]– ينظر: ابراهيم رفيدة، المرجع نفسه، ص : 563/1 وما بعدها.

[3]– إبراهيم، الآية:10.

المصطلح القرآني "[1]. ويكشف النص عن الدلالة القرآنية الجديدة المستفادة في سياق النص وأحواله التي كشف عنها التفسير فدلالة من لم تقتصر على التبعيض ، وإنما جاءت للتفريق بين الخطابين خطاب المؤمنين والكافرين وعدم التسوية بينهما في الميعاد ، قال الزمخشري في قوله تعالى (من ذنوبكم)[2] " ما علمته جاء هكذا إلا في خطاب الكافرين كقوله تعالى :(أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون) يغفر لكم من ذنوبكم "[3]وغير ذلك مما يقفك عليه للاستقراء، وكان ذلك للتفرقة بين الخطابين ، ولئلا يسوي بين الفريقين في الميعاد"[4].

ويلحظ المتأمل أن للجانب النحوي في التأويل اللغوي للنصوص القرآنية بالغ القيمة والأهمية، ولا سيما في مجالي التشريع والعقائد، وتتجلى هذه الأهمية في مجالات متنوعة، فقد راعى وأخذوا في اهتمامهم جملة الضوابط التركيبية الخاصة بالنصوص، مثل القوانين المتعلقة بالعائد، ومظاهر الترابط التركيبي المختلفة، والتماسك بين مكونات التركيب للنسيج النصي كاملا، والانسجام بين الوجه النحوي والدلالة النصية، وعلاقة المعطيات النصية بالوجه النحوي. والأبعاد الجمالية المتعلقة به، وكل المعطيات التي تؤثر في تركيب النص وتجعله نسيجا متماسكا.

إن نحو التفسير الذي نقصده لا نعني به مدى استفادة المفسرين من علم النحو في مباحث التفسير؛ لأنها غاية وضحوها في مقدماتهم ، كما لا نقصد به الآراء النحوية التي استدل المفسرون بها في توجيه الدلالات القرآنية ، وبناء الأحكام

---

[1]–د. علي كاظم الأسد ، المفسر ومستويات الاستعمال اللغوي، ص:72.

[2]– إبراهيم: الآية: 10.

[3]– نوح: لآيتان: 3–4.

[4]– الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار المعرفة، بيروت، ص: 346.

التشريعية والفقهية؛ إذ أن النحو وجد في مراجع التفسير بمختلف أنواعها ، واعتمد جزءا متمما لمناهجهم في التفسير سواء منها ما غلب عليها الطابع البلاغي كتفسير النسفي الذي يجمع بين العناية بالبلاغة القرآنية ، واستقصاء وجوه الإعراب والقراءات ، أو الطابع الفلسفي كتفسير الرازي، أو الطابع اللغوي كتفسير الزمخشري [1] . ومع اختلاف مناهج المفسرين في تناولهم مسائل النحو لكننا نلمح في علوم التفسير ثمة اتجاها نحويا نصيا قرآنيا يحمل في طياته بذور التحليل الدلالي النصي ، وهذا النحو هدفه التفسير ، إذ ربط أصحابه دلالة الإعراب بدلالة التفسير وما يعتمده من أسس معنوية وقرائن دلالية . كما يعنى بملاحظة عناصر النص ، والنظر إلى النص القرآني كونه وحدة دلالية كبرى . فالحرف والمفردة والجملة القرآنية تحتل جزءا ومكونا من مكونات النص، وتمثل سرا من أسرار الإعجاز القرآني. وقد تكونت الملامح الأولى لهذا الاتجاه مبكرا ، إذ قدم المفسرون الأوائل تفسيرات نصية اتضح فيها العناية بالمعاني والألفاظ والتفسير بدلالة القرائن وأحوال المقام ، وتطورت فيما بعد إلى العناية بالجوانب الأسلوبية وقضايا الحذف والذكر والتقديم والتأخير والفصل والوصل.

وبدأت تلك الإرهاصات الأولى بمحاولات ابن عباس رضي الله عنه (ت 68ه) إذ ترأس مدرسة خاصة في التفسير خرجت عن المألوف فيه تجسدت بمحاولة ضبط التراكيب اللغوية القرآنية، والكشف عن أسلوب القرآن ومعانيه بمقارنته بالأدب العربي شعره ونثره "[2]. وظهر ذلك في سؤال نافع بن الأزرق لابن عباس – رضي الله عنهما – عن الألفاظ الغريبة ويجيبه بما عرف عند العرب من شعر أو

[1] ينظر: إبراهيم رفيدة، النحو وكتب التفسير، ص:563/1 وما بعدها.

[2] ينظر :د. محمد زغلول سلام، أثر القرآن في تطور النقد العربي، دار المعارف، مصر،ط2،1961:32-33.

نثر. ومنه سؤاله عن معنى عزين في قوله تعالى:(عن اليمين وعن الشمال عزين)[1]. قال ابن عباس عزين: الحلق الرفاق. قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول عبيد بن الأبرص:

فجاءوا يهرعون إليه حتى يكونوا حول منبره عزينا [2]

وهي عند الفراء: بمعنى الجماعات[3].وعند أبي عبيدة: جماعات في تفرقة[4].وفسرت الدكتورة عائشة عبد الرحمن أن في الآية ملحظا دلاليا يفوق ما ورد في البيت وهو دلالة المحاصرة عن اليمين والشمال تأييدا ونصرة : ولعل تأويل عزين في المسألة بالحلق الرفاق بملحظ من الدلالة على الجماعة يعزي بعضها إلى بعض محاصرة عن اليمين والشمال في الآية وتأييدا ونجدة ونصرة في الشاهد من بيت عبيد "[5]. واعتمد الرعيل الأول من المفسرين وخاصة ابن عباس ومجاهد على القرائن اللغوية والسياقية في تحديد معاني الألفاظ المشتركة [6].ومن ذلك لفظة الخير حيث خصص السياق القرآني دلالتها العامة وهي المال [7] بدلالة أخص من حيث أن المال أحد مصاريف الخير، وكان ذلك بمعونة القرائن الحالية والسياقية ، في قوله تعالى (قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين)[8] فقرينة السياق تدل على أن المراد بالخير هنا هو المال ، والقرينة اللفظية هي الفعل أنفقتم ، لأن الإنفاق لا يكون إلا من المال : قال الطبري : "

---

[1] المعارج،الآية:37 .

[2] ينظر: د. عائشة عبد الرحمن، الإعجاز البياني ومسائل ابن الأزرق، المعارف،مصر،ط3 ،دت: 309.

[3] ينظر: الفراء، معاني القرآن ، تح أحمد يوسف نجاتي، دار الكتب المصرية ،القاهرة،ط3،2001م 85/2.

[4] ينظر: المثنى، مجاز القرآن ، تح محمد فؤاد سركين، الخانجي،القاهرة، مص، دت :31/2

[5] بنت الشاطئ ،الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق: ،310.

[6] حسن حامد الصالح، التأويل اللغوي في القرآن الكريم ،بيروت،ط1421.6ه:106.125.

[7] ينظر التاويل اللغوي في القرآن الكريم:119

[8] البقرة:الآية 215.

والخير الذي قال جل ثناؤه في قوله " قل ما أنفقتم من خير ..." هو ...المال ...[1] بدلالة أخص من حيث أن المال أحد مصارف الخير ، وكان ذلك بمعونة القرائن الحالية والسياقية، في قوله تعالى:(قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين)[2]. فقرينة السياق تدل على أن المقصود بالخير هنا هو المال، والقرينة اللفظية هي الفعل انفقتم، لأن الإنفاق لا يكون إلا من المال .

وأسهمت كتب الوجود والنظائر[3]، وكتب الغريب [4] ، ومتشابه القرآن [5] بحظهام وكبير في الكشف عن معنى النص القرآني، وتوجيه دلالات ألفاظه المتعددة اعتمادا على قرينة السياق ، كما كشف علماء الأسلوب القرآني نحو الرماني، والخطيب الإسكافي، وابن الزبير الغرناطي عن ارتباط تغير النظم والأساليب بتغير السياقات والمواقف. عن اعتماد القرائن الدلالية والسياقية في التأويل اللغوي يظهر دقة المعايير اللغوية والنحوية التي وضعها النحاة في الكشف عن المعنى القرآني في تحديد دلالات الألفاظ وتوجيه الأساليب . واكتسب الإعراب عند المفسرين طابعا تحليليا وعرف بالإعراب التحليلي [6].وقد ظهرت بوادر مقولات التحليل الإعرابي للنصوص عند المفسرين الأوائل في مواضع كثيرة، ومنه تفسير عبد الله بن عباس –رضي الله عنه– قوله تعالى:(قال فالحق والحق أقول)[7] سأله أحد المسلمين : لم رفع الأول ونصب

---

[1] الطبري،تفسير الطبري 3:/640.

[2]البقرة:الآية 215.

[3] هارون بن موسى، الوجوه والنظائر في القرآن الكريم: تحقيق حاتم الضامن: 42، 88،58،43.

[4] ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن ، ،تح السيد أحمد صقر، دار التراث القاهرة،ط1427،2ه–2006م

[5]ينظر: القاضي عبدالجبار(ت415 ه)، متشابه القرآن، تح، عدنان زرزور، دار التراث، القاهرة، ط1969،1.

[6] فخر الدين قباوة، مشكلة العامل النحوي ونظرية الاقتضاء ،دار الفكر،دمشق،ط1424،1ه :51.

[7]ص: الآية88.

الثاني ؟ فقال: أي: هو الحق وأقول الحق[1].إن هذه المحاولات الأولى في التحليل الإعرابي القرآني تمثل البدايات الأولى لنشأة النحو القرآني النصي في بيئة التفسير.

وفي العصر الحديث ظهرت دراسات لسانية معاصرة تميل إلى تتبع الاتجاه التفسيري النصي في التراث، وتتبع جهود المفسرين في تحليلهم النص القرآني وعلاقاته ووسائل تماسكه وترابطه النصي[2]. ويلحظ أن مراجع التفسير لم تخل من الإشارة إلى ملامح الترابط النصي والمعنوي، إلا أنها بقيت متناثرة في مؤلفاتهم، ولم تتبلور بشكل واضح ومستقل ومتخصص كما ظهر عند البقاعي(ت885ه) في تفسيره نظم الدرر في تناسب الآيات والسور فقد تكاملت فيه الدراسات التفسيرية عند القدماء والقائمة على أساس مناسبات القرآن [3]، وهو أحد الدراسات التطبيقية المتكاملة للوحدة القرآنية والترابط النصي في القرآن الكريم ، وظهر بمظهرين : منها الترابط الدلالي بين الآيات داخل السورة الواحدة ، وربط السور داخل النص [4].

واعتمد البقاعي في تفسيره جمع آيات القرآن الكريم مناسبات الآيات والغرض الذي سيقت له السورة ؛إذ إن" مقصود كل سورة هاد إلى تناسبها"[5]. فمنوجوه التناسب بين البسملة ومقصود سورة الفاتحة : " ولما كانت البسملة نوعا من الحمد تناسب كل المناسبة تعقيبها باسم الحمد الكلي الجامع لجميع أفراده ، فكأنه قيل : أحمدوه لأنه المستحق لجميع المحامد، وخصوا هذا النوع من الحمد

[1] فخر الدين قباوة، مشكلة العامل النحوي ونظرية الاقتضاء :48-49.

[2] محمد خطابي، لسانيات النص:169 .

[3] ينظر: الغرناطي، البرهان في تناسب سور القرآن،85 .

[4] ينظر: عمر أبو خرمة، نحو النص،80.

[5] البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، ط.3ه1991/19.

في افتتاح أموركم لما ذكر من استشعار الرغبة إليه ، والرهبة منه المؤدي إلى لزوم طريق الهدى. ومنه أيضا مناسبة سورة البقرة لفاتحة الكتاب يقول :" وأما مناسبة ما بعد ذلك للفاتحة فهو إنما لما أخبر سبحانه وتعالى أن عباده المخلصين سألوا في الفاتحة هداية الصراط المستقيم الذي هو غير طريق الهالكين ، أرشدهم في أول التي تليها إلى أن الهدى إنما هو في هذا الكتاب ، وبين لهم صفات الفريقين الممنوحين بالهداية حثا على التخلق بها ..فكان ذلك من أعظم المناسبات لتعقيب الفاتحة بالبقرة ؛ لأنها سبقت لنفي الريب عن هذا الكتاب ، ولأنه هدى للمتقين ، ولوصف المتقين وما يجازون به بما في الآيات الثلاث ، ولوصف الكافرين الذين لا يؤمنون لما وقع في الختم على حواسهم والحكم لعقابهم ليعلم أن ما اتصف به المتقون هو الصراط المستقيم فيلزم. كما تعددت وجوه المناسبات في القرآن الكريم فمنها ما يتعلق بتأليف الكلام على مستوى السور والآيات، ومنها ما يتعلق بالألفاظ مفردة أو مركبة، منن حيث الشكل والمعنى داخل السياق.

المبحث الثاني:

2-:اتجاه نحو القراءات :

عندما اتخذ عثمان-رضي الله عنه- قراره بكتابة المصحف العثماني، فقد وضع في الاهتمام الأول مراعاة المقاصد الربانية، والسير على الهدى النبوي، فأمر القائمين على التدوين والنسخ بأن يكتب المصحف خاليا من الشكل والإعجام، وذلك حتى يستوعب قدر الممكن ما كان مرخصا من القراءات على عهد رسول الله محمد-صلى الله عليه وسلم-، ولو شاء لأحكمه وضبطه على قراءة واحدة. وقد أيده في ذلك إجماع الصحابة. فهو إذن من الله عز وجل لعباده في استعمال

رخصة التيسير بالنطق بلغاتهم ولهجاتهم لألفاظ الوحي الكريم، ثم إقرار النبي –صلى الله عليه وسلم–لهم بذلك، في حدود تم التعارف عليها على عهده[1]، حيث اعتمد النحاة القرآن الكريم وقراءاته المصدر الأول في الاستدلال به وتوثيق قواعدهم وأصولهم، فضبطوا رواياته، وتحققوا من طرق إسناده وتلقوا رواياته مشافهة عن القراء والثقاة من التابعين عن الصحابة عن الرسول –صلى الله عليه وسلم– التي ثبت عنهم التواتر[2]. وفرق الزركشي بين القرآن والقراءات فهما "حقيقتان مختلفتان، فالقرآن هو الوحي المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم للبيان والإعجاز، والقراءات اختلاف ألفاظ الوحي المذكر في كتبة الحروف، أو في كيفيتها من تخفيف وتثقيل ، وغيرهما والقراءات السبع متواترة عند الجمهور ،وقيل بل مشهورة [3] .وقد أنزل القرآن على سبعة أحرف، قال الرسول –صلى الله عليه وسلم–:أنزل القرآن على سبعة أحرف فاقرؤوا ما شئتم ، والقراءات التي قرئ بها القرآن الكريم :ثلاث : متواترة ، وشاذة وآحاد. وأجاز علماء العربية الاستشهاد بها، قال السيوطي :"فكل ما ورد أنه قرئ به جاز الاحتجاج به في العربية كان متواترا أم آحادا أو شاذا، وقد أتفق الناس على الاحتجاج بالقراءات الشاذة في العربية إذا لم تخالف قياسا معروفا بل ولو خالفته .ويحتج بها في مثل ذلك الحرف بعينه وإن لم يجز القياس عليه ، كما يحتج بالمجمع على وروده، ومخالفته القياس في ذلك الوارد بعينه ، ولا يقاس عليه، كما وضعوا بعض الشروط والضوابط الخاصة في توجيه القراءات وترجيحها منها :صحة السند إلى

3ينظر: صبري الأشوح، إعجاز القراءات القرآنية دراسة في تاريخ القراءات واتجاهات القراء: ،مكتبة وهبة، ط1، القاهرة،1413 ه–1998م، ص:24.

[2]ينظر:ا لزركشي، الإتقان :1/77–78.

[3] الزركشي، البرهان في علوم القرآن: 1/223

رسول الله–صلى الله عليه وسلم–.وموافقتها رسم المصحف الشريف. وموافقته أوجه من وجوه العربية .

والقراءة عندهم سنة متبعة تؤخذ بالأثبت في الأثر ، والأصح في النقل وليس الأفشى في اللغة :" وأئمة القراء لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأكثر انتشارا في اللغة ، والخاضع للقياس في العربية ، بل على الأثبت في الأثر ، والأصح في النقل والرواية إذا ثبتت عنده لم يردها قياس عربية ولا فشو لغة ؛ لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها "[1].والتزم النحاة المتقدمون بهذه الشروط وطبقوها في تعليل الأحكام النحوية والضوابط القرآنية ، فبنوا أسسهم وترجيحاتهم عليها ، ومنها اختيار سيبويه قراءة النصب في قوله تعالى :"إنا كل شيء خلقناه بقدر " [2] مع ما تحمله الآية من قراءات جيدة ' قال :"فأما قوله عز وجل :" إنا كل شيء خلقناه بقدر " فإنما هو على قوله : زيدا ضربته ، وهو عربي كثير ،ومن القراءات التي جوزتها العربية ولم يقرأ بها القراء الرفع في قوله تعالى : (فبما نقضهم)[3] قال الفراء: "...فإذا كانت الصلة معرفة آثروا الرفع ، من ذلك " فبما نقضهم " لم يقرأه أحد برفع ولم نسمعه . ولو قيل جاز... والقراء لا تقرأ بكل ما يجوز في العربية، فلا يقبحن عندك تشنيع مشنع مما لم يقرأه القراء مما يجوز "[4].ورفض الزجاج القراءة بما يجيزه النحويون لأنه سنة، في(صدقاتهن) بضم الصاد وفتح الدال وتسكينها في قوله تعالى :(وآتوا النساء صدقاتهن نحلة)[5] قال: " ويجوز صدقاتهن ، وصدقاتهن ،

---

[1] ينظر: السيوطي، الإتقان75/1.

[2] القمر:49الآية.

[3] النساء، الآية 155: .

[4] الفراء ، معاني القرآن:245/1.

[5] النساء 4 .

بضم الصاد وفتح الدال، ويجوز صدقاتهن ، ولا تقرأن من هذا إلا ما قد قرئ به ، لأن القراءة سنة لا ينبغي أن يقرأ فيها بكل ما يجيزه النحويون، وان تتبع فالذي روي من المشهور في القراءة أجود عند النحويين فيجتمع في القراءة بما قد روى الإتباع وإثبات ما هو أقوى في الحجة "[1].

وهذا يَدُل على أَن النحويين الأوائل كانوا يُؤسسون للنحو القرآني في قبولهم القراءات القرآنية، وعدم مخالفتها، لأنها سُنَّة مُتبعة، والمحافظة على النص القرآني كما هون القياس على لغة الكتاب ورسمه وإنْ خالف أصولهم النحوية.

وقد أثارت بعض القراءات القرآنية التي "اختلفت فيها دلالة اللفظ الواحد في الإعراب والحركة دافعاً للاجتهاد والتفكير للحصول على مخرج سليم يتفق والقراءة ويتمشى مع سياق الآية"[2].وكان لاختلاف النحاة في فهم معاني آيات القرآن الكريموحرصهم على تتبع المعاني الدقيقة للنصوص من جانب، ومن جانب آخر تمسكهم بأصول صنعتهم النحوية والإعرابية أن نشأ موقفٌ متباينٌ من القراءات القرآنية" فكان لاختلاف هذه القراءات بحسب تصنيف رواتها أثر في اختلاف مواقف النحاة منها لكونها تعبر عن لهجات مختلفة، وتحمل معاني متباينة للنص القرآني أثارت حولها الجدل وشجعت على التفكير والاجتهاد"[3]

[1] الفراء، معاني القرآن وإعرابه: 245/1.

[2] د. محمد زغلول سلام، أثر القرآن في تطور النقد العربي،ص: 117.

[3] د.كريم حسين ناصح، نظرية المعنى في الدراسات النحوية، دار صفاء،عمان،ط1،-2007 130.

واختلفت آراء النحاة من القراءات القرآنية بين التأييد والمنع والقبول وتحكيم القياس النحوي[1]. وإن صور المخالفة لم تتعدّ بعض الظواهر الصوتية والصرفية والنحوية [2]، فمنهم من رأى استبعاد البصريين منهج الاستدلال بالقراءات إلا إذا كان هناك شعر يسندها أو يؤيدها كلام عربي أو قياس نحوي.[3]ومنهم من رأى أن موقف البصريين المتشدد من اللغة [4] هو ما حملهم على رد قراءات متواترة لقُرّاء أثبات وعدول. كما غلّطوا مُقرئ أهل المدينة وأحد القراء السبعة وهو نافع في قراءته بهمز (معائش)[5] في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُـــمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَـــكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ)[6] وقرأ الجمهور (معايش) بالياءَ، وقرأ الأعرج وزيد بن علي والأعمش وخارجة عن نافع وابن عامر (معائش) بالهمز. وعدّ النحويون هذه القراءة مخالفة للقياس في الجمع، فصيغة مَفْعَلة تجمع على وزن (مفَاعَل) نحو مَنَاور ومَقاوم وكذلك معايش وليس على وزن (فعائل). كما لم يجيزوا قراءة حمزة بن حبيب (بخفض الأرحامِ) في عطف الظاهر على الضمير المخفوض [(7)] في قوله تعالى: **(وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تساءلون بِهِ وَالْأَرْحَامَ)**[8] فقرأ حمزة وحده بالخفض (والأرحامِ)، وقرأ الباقون (والأرحام) نصباً.

إنَّ التشدد في قبول القراءات عند البصريين، ومن نهج منهجهم ما هو إلا مظهر من مظاهر التمسك بالمقاييس النحوية التي فرضتها طبيعة التفكير النحوي

---

[1] ينظر : د. سعيد الزبيدي، القياس في النحو العربي، دار الشروق، عمان، ط1.

[2] ينظر: د.خليل البنيان، النحويون والقراءات القرآنية، الرسالة الحديثة،عمان،ط2002،1م: 121 ــ 147.

[3]ينظر: د. عبد العال مكرم، القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية: 97.

[4] ينظر: د. مهدي المخزومي ،مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو: 337.

[5]ينظر: ابن مجاهد، كتاب السبعة في القراءات، تح، د.شوقي ضيف،المعارف،مصر،ط3 دت، 278.

[6] الأعراف:الآية 10.

[7] ينظـــــر:سيبويه الكتاب: 381/1.

[8]النساء:الآية1

السائد آنذاك ومنها القياس المنطقي والشكلي، حيث اتخذ أساساً في عرض القراءات وتوجيهها مع ما اتفق مع أصولهم ومقاييسهم ومحاولة إخضاع القراءات لها [1].نظروا إلى القراءات نظرة مُتشدِّدة كتشدِّدهم من مواقف اللغة نفسها في القياس على الأشهر والأكثر[2]. وإزاء ذلك وصف الكوفيون بأنهم كانوا أوسع أفقاً من البصريين في مجال الاستشهاد بالقراءات، فهي مصدر مهم من مصادر النحو الكوفي[3]، فقد "قبلوها واحتجوا بها وعقدوا على كل ما جاء منها كثيراً منأصولهم وأحكامهم". إن مسألة استدلال النحاة بالقراءات القرآنية مسألة متشعبة، وأمر الاتساع في رد الآراء يبعدنا عن منهجنا في البحث ، فقد تصدى عدد من الباحثين لدفع الشبهة عن البصريين وعن سيبويه استبعادهم القراءات [4]، فقد ثبت قياس سيبويه على القراءات [5]، وإن موقفه منها كان معتدلاً ، رغم ما ذهب إليه بعض الباحثين من وضوح المعارضة الصريحة والخفية للقراءات ، فسيبويه لم يخطئ القراءات أو يلحن أصحابها، بل كان اهتمامه موجهاً إلى معنى القراءة وربطها بالحكم النحوي، وإنه كان يستعين بالقراءات في بناء أصول النحو، وإن النحاة تبنوها وقاسوا عليها سواء أكانوا بصريين أم كوفيين [6]، وإن لم يتضح لهم منهج واضح في الاستدلال. كما ظهر تناقض مواقف النحاة بين تأييد القراءات والأخذ بالقراءة الأفصح في العربية والأثر والسند وبين إنكارهم قراءات صحيحة ومتواترة، من أجل الحفاظ على قواعدهم وأصولهم، فالنحويّ يَحكم على القراءة

---

[1] ينظر: د. خديجة الحديثي، الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه، مطبوعات جامعة الكويت،1974م، 47.

[2] ينظر: النحويون والقراءات القرآنية: 120

[3] ينظر: د.مهدي المخزومي، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو،دار الرائد العربي،بيروت،ط1406،3-1986م 337.

[4] ينظـــــر: عبد العال مكرم، القراءات القرآنية وأثرها في الدراسات النحوية،169 - 173.

[5] ينظر: سعيد جاسم الزبيدي، القياس في النحو العربي،الشروق،عمان،ط1997،1م ــ83

[6] ينظـــــر:محمد نجيب اللبدي، أثر القرآن والقراءات القرآنية،: 345 - 369.

القرآنية في ضوء منهج النحاة القائم على السماع والقياس، على حين يقوم منهج القراء على العرض والأداء والنقل، وبذا كان منهجهم أكثر دقة وضبطاً من نقل نصوص اللغة الأخرى. ومما يُفسِّر ذلك أنَّ النحويين كانت تتملك عقولهم نزعتان: نزعة نحوية قرآنية خالصة تتمثل بالتمسك بالنص القرآني وقراءاته المتواترة، ونزعة نحوية هي نزعة القياس النحوي بسبب سيطرة المنهج لنحويعلىالتفكير النحوي وهو (النحو غير القرآني) الذي تمسك النحاة به بمناهجهم العقلية والتعليمية كما مر سابقاً.

ومن خلال ما تقدم وعلى الرغم من تزاحم الآراء والأفكار في هذا الموضوع إلا أن الناظر المتفحص بعين النظر والإمعان يلمح اتجاهاً نحوياً نصياً في اتجاه نحو القراءات تكون فيه لغة القرآن هي الأصل، وهي المُصحِّحة للأصول، ودالة على صحة الاستنباط والقياس فيه [1]، واعتماد الأسس الفكرية والمعنوية في توجيه القراءات. فكان القدامى ينظرون في القراءة إلى حقيقة المعنى، واتصال عناصر النص وترابطها والاستدلال بقرائن الحال والمقام، والعلامة الإعرابية للكشف عن المعاني المقصودة. وكان الخلاف الحاصل في فهم النص القرآني وإدراك أساليبه ونظمه سببا في اختلاف المعاني، إذْ اعتمد المعنى أساساً مهماً في توجيه القراءات وتصحيح الشاذّ منها، فتوسّع النحاة في تحليل الوجوه الإعرابية، والحالات المحتملة لأكثر من وجه مما يُنبئ عن قدرة عالية في فهم النصوص وما تحملها من معانٍ متباينة. فقد يُحدِّد المعنى صور استخدام بعض الأدوات كالفاء والواو في التعبير القرآني بما يتناسب مع التركيب الذي تؤديه العبارات. ومنه قراءة أبي عمرو بن العلاء بالرفع في قوله تعالى (كُنْ فَيَكُونُ)[2] ، وقرأ بالنصب

[1] ينظر: د.سعيد جاسم الزبيدي، القياس في النحو العربي،ص: 82.

[2] النحل:الآية 40.

ابن محيصن وابن عامر والكسائي [1]. ووجّه النحاة قراءة الرفع بحسب المعنى، فالفاء هنا ليست السببية الناصبة للفعل المضارع منقطعة، حيث جعلها أبو عمرو بن العلاء خبراً لمبتدأ محذوف، قال سيبويه" ومثله (كُن فَيَكُونُ) كأنه قال أنما أمرنا ذاك فيكونُ" [2]. وعلى ذلك بنى سيبويه قاعدته في أن الفاء في هذا الباب تكون إما عاطفة أو منقطعة ولا يجوز فيما بعدها إلا الرفع، قال سيبويه: "واعلم أن الفاء لا تُضمَر فيها أنْ في الواجب، ولا يكون في هذا الباب إلا الرفعُ وذلك قوله: إنه عندنا فيحدِّثُنا، وسوف آتيه فأحدِثُه ليس إلاَّ، إن شئت رفعته على أن تشرك بينه وبين الأول، وإن شئت كان منقطعاً، لأنك قد أوجبت أن تفعل فلا يكون فيه إلا الرفع. وقال عَزَ وَجَلْ: (فَلاَ تَكْــفُرْ فَيَــتَعَلَّمُونَ)[3]فارتفعتْ، لأنه لم يخبر عن الملكين أنهما قالا: لا تكفر فيتعلمون، ليجعلا كفره سبباً لتعليم غيره، ولكنه على كفروا فيتعلمون. ومثله: كن فيكونُ . وحرص النحاة على ربط معنى القراءة القرآنية بدلالة الإعراب وكانوا يستدلون على المعاني المقصودة من خلال العلامات والإعرابية التي توحي بالمعنى المقصود والتي تقود إلى دقة التفسير والتقدير [4]، ومن ذلك تمييز الفرّاء بين قراءة الرفع والنصب في قوله تعالى: (وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُـــكُمْ)[5]فالرفع على التقدير (فهم إخوانكم). فاختلاف المعاني يقود إلى اختلاف دلالات الإعراب، قال الفرّاء: "وإنما يُرفع من ذا ما كان اسماً يحسن فيه (هو) مع المرفوع، فإذا لم يَحسُن فيه (هو) أجريته على ما قبله،

---

[1] ينظر: النحاس، إعراب القرآن، تحقيق زهير غازي،عالم الكتب،بيروت،ط1429،2ه-2008م: 479

[2] الكتاب: 39/3.

[3] البقرة:الآية102

[4] ينظر: د.كريم حسين ناصف الخالدي، البديل المعنوي من الحذف، دار صفاء، عمان،ط1428،1ه-2007م35

[5] البقرة:الآية 220.

فقلت: إن اشتريت طعاما فجيِّداً، أي فأشر الجيِّد، وإن لبست ثياباً فالبياضَ، تنصب لأن (هو) لا يحسن ههنا، والمعنى في هذين ههنا مخالف للأول.

وقد حرص ابن جني على تتبع المعاني في تصحيح القراءات لا سيما الشاذة منها، من ذلك تفريقه بين قراءة الوقف في قوله تعالى (يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ)[1] بالهاء، والقراءة بالإضافة (يَا حَسْرَةَ). ويربط هنا ابن جني بين الأصوات والمعاني، فالوقف على الهاء جاء مراعاة للمعنى، والمقام، والمخاطب، فيقول بإن الأصوات تابعة للمعاني، فمتى قَوِيتْ قَوِيتْ، ومتى ضَعَفتْ ضَعفتْ. ويكفيك من ذلك قولهم: قطَع، وقَطّع، وكسَر وكسّر. زادوا في الصوت لزيادة المعنى، واقتصدوا فيه... علمت أن قراءة من قرأ (يَا حَسْرَهْ عَلَى الْعِباد) بالهاء الساكنة إنما هو لتقوية المعنى في النفس، وذلك أنه في موضع وعظ وتنبيه، وإيقاظ وتحذير، فطال الوقوف على الهاء كما يفعله المُعظم للأمر المُتعجِب منه. ثم قال من بعد: (على العباد) عاذراً في نفسه في الوقوف على الموصول دون صلته لِما كان فيه ودالاً السامع على أنه إنما تجشم ذلك على حاجة الموصول إلى صلته وضعف الإعراب وتحجره على جملته ليفيد السامع منه ذهاب الصورة بالعاطف. وهذا يظهر قوة عناية العرب بالمعاني، إذ إنها قد تحمل ألفاظها لمعانيها حتى تفسد الإعراب لصحة المعنى.

كما علل النحاة بعض وجوه القراءات باتصال عناصر النص وتوافق عناصر التركيب وانسجام معنى الآية مع المعنى الكلي للسورة، من ذلك قراءة أبي

1. يس: 30

عمرو بن العلاء (تُصلى) بالبناء للمجهول قال تعالى (تَصْلَىَ نَاراً حَامِيَةً)[1] ،فقد قرأها الجماعة بفتح التاء (تَصلَى).

وتكشف قرينة المقام عن معنى القراءات وتفسير أسرار العدول في الخطاب ، فالقراءة بالتاء دلت على أن المقام مقام تعظيم ووعيد لذا عدل أسلوب الخطاب الإلهي إلى ذكر الغيبة، قال أبو الفتح بن جني: "إنما عدل فيه عن الخطاب إلى الغيبة فقال: (يُرْجِعَون) بالياء رفقاً من الله سبحانه بصالحي عباده المطيعين لأمره، وذلك أن العودَ إلى الله للحساب ما يخوَّفه ويَتوعَّد به العباد. فإذا قُرئ (تُرجعُون فيه على الله) فقد خوطبوا بأمر عظيم يكاد يستهلك ذكره المطيعين العابدين، فكأنه تعالى انحرف عنهم بذكر الرجعة فقال: (يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اَللْهِ) ومن فوائد العدول أيضاً "فضل تحذير المؤمنين نظراً لهم واهتماماً بما يُعقِب السلامة بحذرهم

ويتعاضد التفسير بالنقل والأثر مع التفسير العقلي في اختيار الكسائي قراءة التاء ونصب الباء، وجمع الكسائي في قراءته بالتاء بين قرينة النقل عن جماعة من أصحابه أنهم قرؤوه بالتاء[(2)]، وبين قرينة العقل في نفي الشك في قدرة الله تبارك وتعالى، إذ إن معنى القراءة "هل تستطيع أن تدعو، أو تسأل ربك كقوله تعالى: (وَاسأل اَلْقَرْيَــةَ)[3] وقال، لأن الحواريين لم يكونوا شاكين في قدرة الله تعالى" [(4)].

وهذه أمثلة قليلة مما تجود به كتب معاني القرآن وإعراب مُشكِلِه التي تثبت أن القدامى كانــوا ينظــرون فــي القــراءة إلــى حقــيقة المعنــى،

---

[1] الغاشية:الآية: 4.

[2] ينظر: مكي القيسي، مشكل إعراب القرآن: 254/1

[3] يوسف:الآية82

[4] الكسائي، معاني القرآن: 128

واتصال عناصر النص، وتحكيم قرائن المقام والسياق في توجيه أوجه القراءات. فكان لعلمهم الواسع وثقافتهم الشاملة في علوم اللغة والقراءات والتفسير أعظم الأثر في الكشف عن الأوجه المتعددة للمعاني،وعنايتهم بإثبات صحة القراءة لصحة المعاني والأساليب.

ذلك أن أقوالهم تؤكد عنايتهم باتباع القراءة، لأنها سُنَّةً ولا يجوز القراءة بغيرها [1]. وهذا يثبت عناية النحويين بنحو القراءات، إذ عنوا بتوجيه القراءات توجيها معنوياً دلالياً، وإنهم أسسوا لعلم القراءات على أسس فكرية ومعنوية. لذا وجب تصحيح القواعد النحوية في ضوء معاني القراءات، وليس تصحيح النحو في ضوء اتفاق القاعدة النحوية مع النص القرآني وقراءاته[2]. من ذلك نخلص إلى إن القراءات أسهمت في استقراء قواعد النحو وبناء أصوله وأحكامه اعتماداً على المعاني والقرائن من جهة، ومن جهة أخرى كانت معينا مهماً وغنياً أمد الدرس النحوي بكثير من الأحكام والمعاني..

المبحث الثالث:

3-الاتجاه اللغوي

ظهرت الاتجاهات اللغوية في دراسة النص القرآني الكريم منذ وقت مبكر، وشغل العلماء منذ مطلع الثاني الهجري الاهتمام والعناية بلغة القرآن وتراكيبه، وتفسيرغريبه، وإيضاح مُشكِلِه. وتبلورت تلك الجهود في تفسير اللفظ القرآني وإيضاح مدلولاته بكتب معاني القرآن، وغريب القرآن،

[1] ينظر: الفرّاء، معاني القرآن: 245/1.

[2] ينظر: د. أحمد مكي الأنصاري، نظرية النحو القرآني: 73.

ولغات القرآن. فقد ظهــرت صور واتجاهات جديدة في التفسير جمعت بيــن التفسير اللغوي والنحوي في تحلــيل التراكيب اللغوية في القرآن الكريم. وطبعت تلك الدراسات بالطابع اللغوي، ووجهَّت الأنظار نحو اللغة، والمعنى، والأسلوب، عن طريق تفسير اللفظ القرآني بما ينسجم وسياق النص وأحواله من جهة، وأساليب العرب وفنونهم في القول من جهة ثانية.

وقد ظهرت بوادر هذا الاتجاه عند أئمة النحو الأوائل عند سيبويه وشيخه الخليل حينما ربط بناء الأحكام النحوية واستقراء النحوية القرآنية واقع استخدام اللغة وبدلالات المقام وقرائن الأحوال، وقد نقل سيبويه كثيراً من آرائه منها: ترك أجوبة الشرط في القرآن الكريم، قال "سألت الخليل عن قوله جل ذكره: (حَتَىَ إِذَا جَآؤوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُــهَا)[1] أين جوابها؟ ، وعن قوله جل وعلا (وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوۤاْ إِذْ يَــرَوْنَ ٱلْعَذَابَ)[2]. و(وَلَوْ تَرَىَ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ)[3]فقال: إن العرب قد تترك في مثل هذا الخبر في كلامهم، لِعلْم المُخبَر لأي شيءٍ وَضِع هذا الكلام" [(4)]، وفي باب ما ينتصب على التعظيم والمدح فسَّر الخليل خروج هذه الأسماء عن دلالاتها لأداء معانٍ جديدة وهي الثناء والتعظيم بناءً على معرفة المخاطب وعلمه، قال "زعم الخليل أن نصب هذا على أنك لم تُرد تُحدِّث الناس ولا من تُخاطب بأمرٍ جهلوه، ولكنهم قد علموا من ذلك ما قد علمت فجعله ثناءً وتعظيماً" [(5)]. واتجه علماء آخرون إلى ربط اللغة بالمعنى والأسلوب فوجهوا عنايتهم إلى الأسلوب والنظم القرآني، وفنون التعبير فيه إلى جانب عنايتهم بالمدلولات اللغوية للألفاظ القرآنية. ومنهم أبو عبيدة في كتابه مجاز القرآن، والجاحظ في نظم القرآن، وابن

---

[1] الزمر: 73.

[2] البقرة : 165.

[3] لأنعام : 27.

[4] سيبويه، الكتاب، 103/3.

[5] سيبويه، الكتاب: 65/2 ــ 66

قتيبة في تأويل مشكل القرآن. فهذا الاتجاه لم يكن اتجاهاً لغوياً خالصاً فحسب، بل نكاد نلمح ثمة اتجاهات متداخلة معه كالاتجاه الأسلوبي والبلاغي. ففي (مجاز القرآن) حاول أبو عبيدة فهم النص القرآني من خلال الاحتكام إلى أساليب العرب، فعقد الصلة بين أساليب القرآن الكريم، وما فيه من الغريب والمعاني ووجوه الإعراب، وبين أساليب العرب [1]، معتمداً في ذلك على علمه الواسع في اللغة في تفسير النص القرآني، الأمر الذي أثار نقد معاصريه [2]. وقد تنبه أبو عبيدة منذ وقت مبكر على أساليب القرآن المتنوعة، فأشار إلى الظواهرالأسلوبية والبلاغية في النص القرآني ومنها الإضمار، والإظهار، والاختصار والحذف، والتقديم والتأخير، والعدول في الخطاب. ومن مجاز الاستغناء عن الخبر لدليل قوله تعالى: (حَتَّىَ إِذَا جاؤوها وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَـــا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامُ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ)[3]، "ومن مجاز ما جاءمن لفظ خبر الجميع على لفظ الواحد، قال تعالى: (وَالْمَلَائِكَـــــةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ)[4] في موضع: ظُهَراء ومن مجاز ما جاءَ رفعاً ونصباً، وقال: (سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا)[5] رفع ونصبٌ، وقال (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَـــــــعُوَاْ أَيْدِيَهُـــــمَا)[6]وتنبَّه أبو عبيدة على ما يطرأ على الجملة من حذف وتقديم وتأخير، وظواهر التغليب، والتشبيه والاستعارة، وغيرها من الفنون التي عدت من أهم المباحث البلاغية. فمن مجاز الحذف، قال تعالى: "وَاسأل الْقَرْيَـــــةَ الَّتِي كُـــــنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِيَ أَقْبَلْنَا فِيهَا"[7] ومجازه: واسْأَل الْقَرْيَةَ أي: أهل القرية،

---

[1] ينظر: أبوعبيدة، مجاز القرآن، تح محمد فؤاد سركين، الخانجي، القاهرة، مصر(دت)،18-19.

[2] ينظر: :الزبيدي، طبقات النحويين: 176.

[3] لزمر: الآية 73.

[4] التحريم: 4.

[5] النورالآية: 1

[6] المائدة:الآية38.

[7] يوسف: الآية:82

وسِل العير: أي مَنْ في العير، ومن "مجاز المقدم والمؤخر، قال تعالى: (فإذا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَـــا الماء اُهْتَزَّتْ وَرَبَتْ)[1] أراد ربت واهتزت، وقال: (لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا)[2] أي: لم يرها ولم يكد. وقد يورد المجاز بالمعاني البلاغية نحو: تشبيه التمثيل في قوله تعالى: (أَفَـــمَنْ أَسَّـــسَ بُنْيَـــانه عَلَى تَقْوَى مِنَ اُلله وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـــانه عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَـــــاو فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاُلله لاَ يَهْدِى اُلْقَوْمَ اُلظَّالِمِينَ)[3]"مجاز الآية: مجاز التمثيل لأن ما بنوه على التقوى أثبت أساساً من البناء الذي بنوه على الكفر والنفاق، فهو شفا جرفٍ، وهو ما يُجرف من سيول الأودية فلا يثبت البناء عليه" [(4)]. ومن الفنون البلاغية الأخرى: التغليب فمن "مجاز ما أظهر من لفظ المؤنث ثم جعل بدلاً من المذكر فوصف بصفة المذكر بغيره ، ومن مجاز الالتفات"ما جاء مخاطبته الشاهد، ثم تركت وحولت مخاطبته هذه إلى مخاطبة الغائب، قال تعالى: (حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي اُلْفُلْكِ وَجَرَيْـــنَ بِهِم)[5] أي بكم" [(6)].

ومن ذلك يتبين أن مجاز القرآن يعد أول دراسة قرآنية أسلوبية مستقلة حاول فيها أبو عبيدة تفسير النص القرآني بحسب فنونه وأساليبه من خلال ما تعارف عليه عرب من أساليب وطرائق في القول من حذف وتقديم وتأخير، أما الإعراب فلم يتعرض إليه إلاَّ القليل [(7)]، فالمعنى كان متقدماً على الإعراب وهو متصل بالأسلوب، وهذا وعي وفهم متقدم في فهم النص القرآني وتحليله عن طريق

---

[1] الحج:الآية: 15

[2] النور: 40الاية .

[3] التوبة:الاية 109.

[4] أبو عبيدة، مجاز القرآن: 269/1.

[5] يونس: الآية22 .

[6] الفراء، مجاز القرآن: 15/1.

[7] الفراء، المصدر نفسه: 11/1.

المعاني والأساليب، باعتماده ذوقه وحسه اللغوي الخاص. وفي القرن الثالث الهجري اتجهت الدراسات القرآنية نحو النظم القرآني وأساليب البيان، وقد مهَّد الجاحظ لنشأة الدراسات البيانية في كتابه نظم القرآن[1]، فلم يعتمد الجانب اللغوي في تفسير اللفظ، وإنما اعتمد المعاني في تفسير النص القرآني، والصور البيانية في الأسلوب القرآني، ومن ذلك قوله في باب المجاز وهو مفخرة للعرب في لغتهم [2]، قال تعالى: (يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَــا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شفاء لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَأَيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)[3]، قال: "فالعسل ليس بشراب وإنما هو شيء يُحوَّل بالماء راباً، أو بالماء نبيذاً. فسمّاه كما ترى شراباً إذ كان يجيء من الشراب، ومتى خرج العسل من جهة بطونها وأجوافها فقد خرج اللغة من بطونها وأجوافها" كما عقد الجاحظ باباً في كتاب الحيوان وهو باب في المجاز والتشبيه [4]، والاستعارة، والإيجاز، وقد حاول الجاحظ الكشف عن دقة النظم القرآني في التصرّف في المعاني وأساليب القول. ومن الدراسات القرآنية الأسلوبية الأخرى دراسة ابن قتيبة في مؤلفه تأويل مشكل القرآن، إذ يعد كتابه شاملاً للدراسات البيانية لأسلوب القرآن. فقد بحث صور التعبير القرآني المختلفة التي نزلت على أساليب العرب ومذاهبهم في القول. ويظهر مفهوم (المجاز) عنده أكثر وضوحاً وتحديداً حتى يتخذ سمة التعبير الفني المقصود [5]، بقوله (طرق القول ومآخذه) يقول: "وللعرب المجازات في الكلام ومعناها طرق القول ومآخذه. ففيها: الاستعارة والتمثيل والقلب والتقديم والتأخير والحذف والتكرار والإخفاء والإظهار والتعريف والإفصاح والكناية، والإيضاح ومخاطبة الواحد مخاطبة الجميع، والجمع خطاب

[1] ينظر: الفراء، مجاز القرآن: 407/1.

[2] ينظر: الفراء، مجاز القرآن: 407/1.

[3] النجل:69.

[4] الفراء، مجاز القرآن: 425/5.

[5] ينظر: الفراء، مجاز القرآن: 86/3.

الواحد، والواحد والجميع خطاب الاثنين، والقصد بلفظ الخصوص لمعنى العموم، وبلفظ العموم لمعنى الخصوص" [1].

ولعل ابن قتيبة ومن جاء بعده قد تأثر بأبي عبيدة في أبواب المجاز، وأبواب التغير في المعاني والأساليب والنظم، وإن دراسات القدماء كشفت عن الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم، وقد أسهمت في إثبات الخصائص التعبيرية للغة القرآن [2]، إلا إنها تمسكت بأن أسلوب القرآن الكريم لم يخرج عن أساليب العرب ومذاهبهم في القول. وما تقدم خلاف ذلك فالنظم القرآني له نظامه الخاص وفنونه المخصوصة التي يتصرف بها على غير المعهود في نظام اللغة [3].

المبحث الرابع:

4-الاتجاه النصِّي

مهدت الدراسات اللغوية والأسلوبية المبكرة في النحو القرآني الأساس، ووضعت أهم الأسس المبدئية للاتجاه الذي تكامل فيما بعد بما يصطلح عليه ب الاتجاه النصِّي. فقد حملت دراسات مجاز القرآن لأبي عبيدة، وتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة أولى الإشارات المبكرة للمباحث الأسلوبية والبلاغية.

ومن خلال ما تقدم يظهر أن هناك اتجاهاً نحوياً قرآنياً عني بدراسة الجمل دراسة معنوية، والكشف عن بناء تراكيبها وطرائق نظمها وأساليب صياغتها، وربط حالات تغير معانيها بتغير عوارضها وما يطرأ عليها من حذف،

---

[1] ينظر: سعد زغلول،أثر القرآن في تطور النقد العربي: 112.

[2] ينظر: محمود أحمد نحلة، لغة القرآن الكريم في جزء (عمّ): النهضة العربية، بيروت، ط1 1988م: 89 .

[3] ينظر:الباقلاني، محمد بن الطيب (ت 404هـ)،إعجاز القرآن، تحقيق د. أحمد صقر، المعارف، مصر (د ت).ص51

أو تقديم وتأخير، أو فصل، أو وصل، أو عدول في الأساليب. كما عني بأساليب التعبير القرآني، وما تؤديه من معانٍ عُرفت بمعاني النحو[1]. ومما يعضد ذلك ظهور مؤلفات نحوية قرآنية أسست له، وكونت أهم أعمدة هذا الاتجاه بما كشفت عنه من أسس الدراسة النصية في النحو العربي. ومنها:

كتاب سيبويه، وكتب معاني القرآن: للأخفش، والكسائي، والفرّاء، وكتب إعراب القرآن: للزجاج، والنحاس، والإمام الباقلاني، ودلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، وتفسير الكشاف للزمخشري، ومغنى اللبيب لابن هشام. ولا نعني بذلك خلو مصادر النحو الأخرى نحو: المقتضب للمبرِّد، والأصول في النحو لابن السراج، وغيرها من ملامح هذا الاتجاه، وإنما وجدنا شيوع مفاهيم الترابط النحوي، والدلالي فيها، ووضوح سمات الاتجاه النصِّي في تلك المصادر وضوحاً بارزاً، حتى عد السمة البارزة والطابع المُمّيز لهـــا. ومع أن النحاة لم يُصرِّحوا بهذا الاتجاه إلا أن المتتبع يجد أنهم أقاموا نحوهم على أسس نصية، وأنهم أسسوا لـــتلك الأسس، وقواعدها، وعدّوها أصولاً في بناء الأحكام وتعلـــيلها. وكشفت دراسات القدامى بحثهم بنية النص القرآني من خلال دراسة:

أ- نظم الكلام وتركيبه

أدى الاهتمام بالنص القرآني والكشف عن أسرار تراكيبه ومعانيه النحاة إلى العناية بتراكيب القرآن، وأساليب نظمه العالية، فقد عنوا بتركيب الكلام وبنائه، وأساليب تأليفه، وترتيب أجزائه وتعلقها بعضها ببعض. فنظر النحاة إلى النص القرآني نظرةً شمولية تجاوزت حدود بناء الجملة، ودراسة أجزائها ومكوناتها، واعتنوا بنظم الكلام، وتأليفه، فرسموا حدوده، وبينوا ضروبه وأقسامه وأغراضه.

[1] ينظر:د. نهاد الموسى، نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1980م: 258

فالكلام: التركيب الذي يحسن السكوت عليه ويحقق تمام الفائدة للمخاطب [1]. واقترنت مفاهيم النظم ببيان كيفية وضع الألفاظ الموضع الذي تستحقه في التركيب [2]. وهو مقارب لما عبّر عنه الجرجاني من أن التأليف والنظم في الكلام يكون بوضعه الموضع الذي يقتضيه علم النحو وعلى وفق قوانينه وأصوله [3]. وفي ضوء ذلك الفهم كان النحاة يتحرّون عن المعاني في أكثر أبواب النحو، فهي الغاية المنشودة التي يسعون للوصول إليها فبحثوا معاني الكلام وأساليب التعبير القرآني وما تؤديه من معانٍ ودلالات مكتسبة. وأثبت النحويون سبقهم البلاغيين فيما تعارف لديهم من معانٍ عرفت فيما بعد بالأساليب، وهي عشرة حددها ابن فارس بقوله وهي: "خبر واستخبار، وأمر ونهي، ودعاء وطلب، وعرض وتحضيض، وتمن وتعجب"[4]. وجاءت دراسة النحاة لمعاني التركيب على أساس قرائن السياق والمقام، واهتدوا إلى ضوابط معنوية أعانتهم في إدراك تلك المعاني، والتمييز بينها، ومنها اعتمادهم قرينة المقام، ومراعاة أحوال المتكلم والمخاطب في إدراكهم الكلام، فقد كانوا يدركون أن الكلام يقال لإفادة معانٍ مقصودة يريد المتكلم إيصالها إلى المخاطب وتعينه على التمييز بين الخبر وغير الخبر، وما يتفرع عنه من معان مكتسبة يستدل عليها بقرائن السياق [5]. وكان النحاة دقيقين في التمييز بين ما كان خبراً، وغير خبر [6]، وقسّموها بحسب المعاني الدالة عليها، قال أبو علي الفارسي: "والجمل ضربين: خبر، وغير خبر، والخبر فيهما على ضربين: جملة

---

[1] ينظر: سبويه، الكتاب: 88/2.

[2] ينظر: سيبويه، الكتاب: 25/1 – 26.

[3] ينظـــر:الجرجاني، دلائل الإعجاز: 380.

[4] ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة: 179 ــ 188.

[5] ينظر:الزجاجي، أبو القاسم (ت 377 هــ)، الإيضاح في علل النحو: تحقيق مازن المبارك، المدني، مصر، 1378ه – 1959م. 42.

[6] ينظر:سيبويه الكتاب: 129/2.

من فعل وفاعل، والفعل والفاعل أشد اتصالاً من المبتدأ بخبره، ألا ترى أن كل واحد من المبتدأ وخبره قد يحذف ويدل عليه الآخر، ولا يفضلُ هذا بالفعل مع الفاعل، لا يخلى الفعل من الفاعل بوجه، فهذه الجملة من أجل هذا أشبه بالآحاد من التي من المبتدأ والخبر، والمبتدأ عكس الفاعل، والجمل الأُخر التي ليست خبراً لا تخلو أيضاً من أن تكون من مبتدأٍ وخبرٍ، وفعلٍ وفاعلٍ، وذلك نحو الأمر، والنهي، والاستخبار، والتمني، والنداء" [1]. وفصل النحاة في أغراض الخبر انطلاقاً من فهمهم العميق لمقاصد المتكلم وقصد إفادة السامع ومراعاة أحوال المخاطب في التعبير بأساليب مغايرة لما هو مألوف لذا جاءت ألفاظ الخبر في الأسلوب القرآني محتملة لكثير من المعاني والدلالات قال ابن فارس (ت 395 هـ): "والمعاني التي يحتملها لفظ الخبر كثيرة. فمنها التعجب نحو: ما أحسن زيداً ، والتمني نحو: وددتك عندنا والإنكار: ما لي عليَّ حقٌ والنفي: لا بأسَ عليك. والأمر نحو قوله عز وجل: (وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ)[2]،والنهي نحو قوله (لاَّ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ)[3]،والتعظيم نحو: سبحان الله. والدعاء نحو: عفا الله عنه. والوعد نحو قوله عَزَّ وَجَلْ (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ)[4]، والوعيد ونحو: (وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوَاْ)[5] ، وربما كان اللفظ خبراً والمعنى شرط وجزاء نحو قوله (إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلاً إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ)[6] فظاهره خبر، والمعنى إنّا إن نكشف عنكم العذاب تعودوا. ومثله (الطَّلاقُ مَرَّتَانِ)[7]المعنى من طلَّق امرأته مرتين فليمسكها بعدهما

---

[1] أبو علي الفارسي، المسائل المُشكِلة المعروفة بالبغداديات تحقيق، د. صلاح الدين السنكاوي، مطبعة العاني، بغداد، (د. ت): 519 ــ 520.

[2] البقرة:الاية 228.

[3] الواقعةالدية: 79، .

[4] فصلتالآية: 53.

[5] الشعراء الآية: 227.

[6] الدخان الآية: 15

[7] البقرة: الآية229

بمعروف أو يسرحها بإحسان، ويكون اللفظ خبراً والمعنى دعاء وطلب. نحو: (إِيَّاكَ نَعْبُـــدُ وَإِيَّاكَ نَسْـــتَعِينُ)[1] معناه: فأعِنا على عبادتك. ويقول القائل: استغفر الله، والمعنى اللهم أغفر، قال الله جل ثناؤه (قَالَ لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِـــرُ اللهُ لَـــكُمْ)[2] ويقول الشاعر:

اســـتغفرُ اللهَ ذنـــباً لستُ مُحصِيَهُ ربّ العـــبادِ إليه الوجهُ والعملُ"[3]

كما خرجت ألفاظ الأمر إلى معانٍ جديدة تفهم من قرائن السياق وأحوال النص منها: "فأما المعاني التي يحتملها لفظ الأمر فأن يكون أمراً والمعنى مسألة نحو قولك (اللهم اغفر لي.. ويكون أمراً والمعنى وعيد نحو قوله جل ثناؤه: (فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ)[4] ومثله قوله تعالى: (اُعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ)[5]، ويكون اللفظ أمراً والمعنى تسليم نحو قوله تعالى: (فَاقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ)[6]، ويكون أمراً والمعنى تكوين نحو: (كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ)[7]، وهذا لا يجوز أن يكون إلا من الله جل ثناؤه. ويكون أمراً وهو ندب نحو: (فَانتَشِـــرُواْ فِي الْأَرْضِ)[8] ويكون أمراً وهو تعجيز قوله جل ثناؤه: (فَانفُذُواْ لَا تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ)[9]، ويكون أمراً وهو تعجب نحو: (أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ)[10]، ويكون أمراً وهو تمنٍ تقول لشخص تراه

---

[1] الفاتحة: الآية5

[2] يوسف: الآية92

[3] ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغـــة: 179– 181،

[4] لنحل الاية:55

[5] فصلتالاية: 40

طهالاية: 72

[7] البقرة:65 الاية.

[8] الجمعة الآية:10

[9] الرحمن:الآية 33

[10] مريم: الآية 38

كن فلاناً، ويكون أمراً وهو واجب في أمر الله نحو (وَأَقِـيمُواْ الصلاة)[1]، ويكون اللفظ أمراً والمعنى تلهف وتحسير كقول القائل: مت بغيظك ومت بدائك، نحو: (قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ)[2].ويكون أمراً والمعنى خبر نحو (فَلْيَضْحَكُوْا قَلِيلاً وَلْيَـبْكُواْ كَثِيراً)[3] ، والمعنى: أنهم سيضحكون قليلاً ويبكون كثيراً" [(4)]. كما عُنِي النحاة في باب (الاستخبار) الاستفهام بالمعاني التي يخرج عنها هذا الأسلوب فمنها ما يكون: "استخباراً في اللفظ والمعنى تعجب ، وقد يسمى هذا تفخيماً، ومنه قوله: (مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ)[5] تفخيم للعذاب الذي يستعجلونه. ويكون استخباراً والمعنى توبيخ نحو: (أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ)[6]. وقد يكون اللفظ استخباراً والمعنى تفجع نحو: (مَالِ هَذَا الْكِـــتَابِ لاَ يُغَادْرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً)[7]. ويظهر مما تقدم أن دراسة النحاة لمعاني التركيب القرآني كانت عميقة تنبئ عن دقة فهمهم وتمييزهم بين أساليب التعبير القرآني باعتماد القرائن السياقية والحالية.

ب <u>تناسق النظم وترابطه:</u>

شغل نظم الكلام واتصال عناصره وارتباط أواصره مجالاً واسعاً من تفكير النحاة واهتمامهم، فبحثوا بنية الجملة العربية بحثاً عميقاً اعتنوا فيه بالكشف عن أجزائها والعناصر المكونة لها، وروابط اتصال بعضها ببعض [(8)]. ولم يتوقفوا عند حدود الجملة فحسب، فبحثوا العلاقة بين أجزاء الكلام واتصال عناصره، وهو ما

---

[1] البقرة الآية:43.

[2] آل عمران: الآية 119.

[3] التوبة ،الآية:82.

[4] ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة : 184– 187.

[5] يونس:الآية5

[6] الأحقاف الآية: 20.

[7] الكهف الآية : 49

[8] ينظر: د. محمد حماسة عبد اللطيف، في بناء الجملة العربية، دار غريب، القاهرة،2003ه.87 – 233.

أصطلح الجرجاني عليه التعليق"فالنظم ليس سوى تعليق الكلم بعضها ببعض وجعل بعضها بسبب من بعض"[1]، و"لا نظم في الكلم، ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض، وينبئ بعضها على بعض"[2]. وللتعليق وجوهه وطرقه المخصوصة، "فالكلم ثلاث، اسمٌ وفعلٌ وحرفٌ، وللتعليق فيما بينها طرق معلومة وهو لا يعدو ثلاثة أقسام: تعلق اسم باسم، وتعلق اسم بفعل، وتعلق حرف بهما"[3]. كما فصلوا في علاقة اتصال عناصر الكلام، وانقطاع بعضها، وحذف بعضها الآخر، والاستغناء عن بعضها اكتفاءً بغيرها، فقد يقصد المتكلم إلى الإضراب عن بعضها، أو الإبهام، وعدم التصريح تاركاً الفرصة استكمال صورة عناصر النص[44]. وعمدوا إلى تحديد وظائف تلك العلاقات في السياق، إذ تجري طرق التعلق في النظم بحسب المعاني والأغراض التي يوضع لها الكلام، ومراعاة موقع بعضها، واستعمال بعضها مع بعض [5]. والنظم القرآني نسيج محكم ومتماسك تتحكم فيه علاقات وروابط معنوية يستمدها من السياق، لذا عني النحاة بالكشف عن أنظمة الربط في القرآن الكريم [6]. واستوقفتهم مواضع الفصل والوصل، والقطع والاستئناف، والوقف والابتداء. وما ذكرناه سابقاً يدلل على أن النحاة وردت عنهم إشارات دقيقة وعميقة التفكير في تفريقهم بين المعاني التي استدلوا عليها بالسياق والقرائن .

---

[1] الجرجاني،دلائل الإعجاز: 48.

[2] الجرجاني، المصدر نفسه: 48.

[3] ينظر: أحمد عبد الستار الجواري، نحو المعاني:105.

[4] ينظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز: 121

[5] ينظر: د. سعيد بحيري، دراسات لغوية وتطبيقية، دار العمرانية، القاهرة، ط1 (د ت). 77 ــ 145.

[6] ينظر: معاني القرآن، الفرّاء: 68/1 ـــ 69.

ومن روائع النظم القرآني الربط بغير أدوات العطف المعروفة نحو إنما و (إنَّ)، كما في قوله تعالى: (مَا هَذَا بَشَراً إِنْ هَذَآ إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ)[1] ، و (وَمَآ أُبَرِّىءُ نَفْسِى إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُ بِالسُّوۤءِ)[2] ، و (وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوۤاْ إِنَّهُم مُّغْـــرَقُونَ)[3](يَـــأَيُّـــهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّـــقُواْ رَبَّـــكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيءٌ عَظِيمٌ)[4]، وهذا الضرب من الوصل كثير في التنزيل، وله فائدة معنوية مهمة، إذ جاء تنبيهاً للسامع على هذا الوصل الذي لا يؤدي معناه حرف آخر، "فهو وصل قائم على فصل أو بني معناه على قطع، وفائدته تنبيه القارئ أو السامع أو المخاطب إلى علاقة وثيقة بين أجزاء الكلام، لو جرى الوصل فيها بحرف العطف لما بلغ أثره مبلغ ما يكون في القطع الذي يتلوه حرف توكيد وتقوية وهو (إنَّ)"[(5)]. وحاول النحاة في دراستهم البنية العميقة للنص القرآني النفاذ إلى أنظمة الربط فيه بناءً على الروابط الداخلية والعلاقات السياقية بين التراكيب. وتنوعت وسائل الربط بين: الربط بالعطف كالواو والفاء، وإن أو بغير أدوات، والإحالة على الضمائر، والموصول، والقطع والاستئناف، والتنكير والتعريف، والإضافة، والتكرار، والحذف والذكر، وتغير الرتب بتقديم ما حقه التأخير [(6)]. وقد كوّنت هذه الوسائل والأدوات أهم قواعد التماسك النحوي النصي عند الجرجاني [(7)]. كما حدّد ابن هشام أنظمة الربط وأدواته وعلاقاته ومواضع الربط في النص القرآني. إن دراسة

---

[1] يوسف: 31

[2] يوسف: 53.

[3] هود:37

[4] الحج: 1

[5] ينظر:الجرجاني، دلائل الإعجاز: 135.

[6] ينظر: د. إبراهيم محمود خليل،في اللسانيات ونحو النص، دار المسيرة، عمان،ط2،2009 224 ــ 236.

[7] ينظر: مغني اللبيب: 653 ــ663.

النحاة لاتصال عناصر النص وانقطاعه كونت أهم مرتكزات نحو النص في بنية الخطاب القرآني.

ج-موانع النظم:

إن نظام النحو العربي قائم على مراعاة البنية الأساسية، وقد تلحق بناء هذا النظام بعض الموانع العوارض من حذف وزيادة على البنية الأساسية، أو اختلاف في ترتيب عناصر بنية النص كالتقديم والتأخير، والفصل والوصل، أو النفي، والاستفهام والتوكيد والعدول في الأساليب والتراكيب. وقد تنبه النحاة القدامى عليها، ومنهم أبو عبيدة وعدّها من أساليب العرب وطرق تفننهم في القول، فالنظم عنده يشتمل على كل ما في الكلام العربي من الغريب والمعاني والحذف والتقديم والتأخير والعدول في وجوه المخاطبات [1]. وهذه الأساليب والعوارض تأتي لإفادة معانٍ جديدة، إذ يتحول من معنى آخر مع الحفاظ على البنية الأساسية من خلال زيادة بعض العناصر، أو حذف بعضها أو التبادل في مواقعها.... [2] وهي ما تعارف لدى النحاة بـــ (معاني النحو)، ومفهوم النظم عند النحاة ما هو إلا معاني النحو، قال السيرافي (ت368هـــ): "معاني النحو منقسمة بين حركات اللفظ وسكناته وبين وضع الحروف في مواضعها المقتضية لها، وبين تأليف الكلام وبالتقديم والتأخير وتوخي الصواب وتجنب الخطأ"[3] ثم جاء الجرجاني وجمع المعاني التي ذكرها القدماء في إطار نظرية متكاملة جعلها مداراً لكتابه من خلال تحديد وظائفهـــا في السياق. فالنظم عنده لا يقتصر على معرفة أواخر الكلام، ومعرفة علامات الإعراب وإنما يرجع في أصوله إلى معاني النحو وأحكامه وما

---

[1] ينظر: محمد حماسة، في بناء الجملة العربية: 237.

[2] أبو حيان التوحيدي (ت 380هـــ)،الإمتاع والمؤانسة: تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين، المكتبة العصرية، بيروت، 1953م. 121/1.

[3] ينظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز: 117.

يشتمل عليه من النظر في وجوه الخبر، ووضع الحروف في مواضعها، ومعرفة الفصل من الوصل والتعريف والتنكير والتقديم والتأخير والحذف والذكر والتكرار والإضمار والإظهار. وكان النحاة دقيقين في تحديد علاقات تلك المعاني النحوية والدلالية فبنوا أحكامهم على أسس نصية خضعت في كثير منها إلى المعنى وسياق القول وقرائن المقام.

وجاءت تحليلاتهم للنص القرآني جامعة بين الأنماط الفنية والأسلوبية والأنماط النصِّية حينما اتجهوا إلى ربط دلالات الإعراب ومعانيه بالسياقات الداخلية والخارجية، وإعطاء المتكلم والمخاطب مهمة أساسية في عملية الفهم والبناء والتفسير. ومن أظهر عوارض النظم التي نستدل بها على اعتماد (بنية النص) أساساً في التحليل النحوي على الحذف فقد اعتمد سيبويه على التحليل المعنوي في تحليله ظواهر الحذف في بنية النص القرآني، وإدراك العلاقات بين عناصرها من خلال ربط مكونات البنية بمنشئ النص ومتلقية وقرائن الاستعمال. ومن ذلك (حذف الفعل) فقد كثُر في كلام العرب حتى صار بمنزلة المثل [1]، ويحذف الفعل لعلم المخاطب بالمعنى كما في قوله تعالى: (فآمِنُواْ خَيْراً لَكُمْ)[2]، ومما جاء على الاتساع والاختصار قوله تعالى: (وَسْئَـــلِ الْقَرْيَـــةَ الَّتِي كُـــــنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِيَ أَقْبَلْنَا فِيهَا)[3] أي: أهل القرية، و (بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ)[4]أي: بل مكركم في الليل والنهار، و (وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ امن بِاللهِ)[5] أي: ولكن البر بر من آمن بالله واليوم الآخر [6].

---

[1] ينظر: سيبويه،الكتاب: 280/1، 224/1.

[2] النساء:الآية170

[3] يوسف:82الآية

[4] سبأ:الآية33.

[5] البقرة الآية:177

[6] ينظر: الكتاب: 212/1.

واعتمد سيبويه القرائن المعنوية وهي الاستغناء بعلم المخاطب بالمعنى، والاكتفاء البنية الأخرى للإيحاء بالعنصر المحذوف والتعويض عنه، فيعمد إلى ترك ذكر أحد عناصرها مثل المفعول به استغناءً بعلم المخاطب والاكتفاء بدلالة ما تقدم عليه نحو تعالى: (وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ)[1]، وقد يُكتفى برؤية الحال وما جرى عليه من ذِكر[2]، "ومنه قوله تعالى: (بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً)[3] أي: بل نتبع ملة إبراهيم حنيفاً، كأنه قيل لهم: اتبعوا حين قيل لهم: كونوا هوداً أو نصارى"[4]. وهذا ما يُميِّز الجملة القرآنية وهو الاستغناء عن بعض عناصر التركيب وتبقى البنية الأساسية محتفظة بمعانيها ودلالاتها، إذ تنتظم العلاقات المعنوية في السياق مع مكونات البنية وتتفاعل في إنتاج دلالة النص. وعليه فلا يمكن الحكم على النص القرآني بحذف أحد عناصره، أو زيادة أخرى، أو تقديم بعضها وتأخيرها إلا إذا كانت بنية الجملة تحكم بوضع ذلك العنصر موضعاً معيناً من التركيب أو بنية محددة، أو يقتضي تغييب ذلك العنصر تغييباً قصدياً فتكتفي الجملة بعناصرها الأخرى لتشغل وظائفه وتوحي بمعانيه ودلالاته. ولذا كان سيبويه يذكر أن تقدير الفعل تقدير تعليمي لا يمس بناء النص، فهو تمثيل للقواعد النحوية، قال: ".. فهذا تمثيل ولم يتكلم به أحد" [5] وهو من قبيل الصناعة النحوية ، وكان كثيراً ما يصطلح على تقدير ذلك الفعل بأنه غير مستعمل إظهاره [6]، أو متروك إظهاره [7]. كما ظهر أن سيبويه أول مَنْ

---

[1] الأحزاب:الآية35.

[2] ينظر:سيبويه، الكتاب: 275/1، 312 .

[3] البقرةالآية:135

[4] ا سيبويه، لكتاب: 257/1.

[5] سيبويه، الكتاب: 312/1.

[6] ينظر:سيبويه الكتاب: 257/1، 258، 311.

[7] ينظر: سيبويه،الكتاب: 290/1،

أسس لعلم المعاني من خلال مزجه النحو بمعانيه وإشارته إلى علم المعاني ومنها: فن التشبيه ومنه ما جاء على اتساع الكلام والاختصار قوله عَزَّ وَجَلْ: **(وَمَثَـــلُ الَّذِينَ كَـــفَرُواْ كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَآءً وَنِدَآءً)**[1]فلم يُشبّهوا بما ينعِقُ، وإنما شُبِهوا بالمنعوقبه، وإنما المعنى: مثلكم ومثل الذين كفروا كمثل الناعق والمنعوق به الذي لا يسمع"[(2)]. وهو تحليل بلاغي عميق ففي الظاهر تشبيه الكفار بالناعق، وإنما أراد الله سبحانه وتعالى تشبيه شيئين بشيئين الداعي والكفار بالراعي والغنم فاختصر وذكر المشبه بالغنم في الطرف الأول فدل ما أبقى على ما ألقى [(3)]، وهو معنى قول سيبويه إنه"جاء على سعة الكلام والإيجاز لعلم المخاطب بالمعنى" [(4)]. وإشارته إلى فن التغليب[(5)] في تأييده قراءة بعض القراء بالتاء:(ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إلا أَن قَالُواْ)[6]، كما يشير إلى إجراء اللفظ الأول مجرى الثاني في قوله عز وجل: (بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّهِ وَهُوَ مُحْسِـــنٌ فَـــلَهُ، أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ)[7]، "أجرى الأول على لفظ الواحد والآخر على المعنى هذا مثله في أنه تُكُلِّم به مذكراً ثم أُنِّثَ. وسيبويه أول من أشار إلى الأساليب القرآنية المخصوصة في قوله تعالى: (وَيْلٌ يَومَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ)[8]،ومع ما تعارف لدى الدارسين أنَّ كتاب سيبويه كتاب نحو وإعراب، وبوبت أبوابه على أساس العامل النحوي، إلا أنه في تحليلاته العميقة لبنية النص القرآني نراه قد

---

[1]البقرة الآية:171.

[2] سيبويه،الكتاب: 212/1.

[3]ينظر: الإمام الباقولي(ت 543 هـــ)، كشف المشكلات وإيضاح المعضلات في علل القراءات، تحقيق: محمد أحمد الدالي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ط1، 1415ه- 1195م: 124/1،

[4] سيبويه الكتاب: 212/1.

[5] ينظر: خلف الأحمر (ت180هـــ)، مقدمة في النحو،تحقيق، عـــز الدين التنوخي، مطبوعات مديـــرية إحـــياء التـــراث القديم، دمشق، 1961: 95.

[6] الأنعام:الآية:23.

[7]البقرة:الآية 112.

[8]المرسلات:الآية:15

حملالملامح الأولى لنشأة التفسير النصي الفني باعتماده الأسس النصية الفنية والأسلوبية في تفسير النص القرآني، وإنه المُمهِّد الأول لكتب معاني القرآن التي ظهرت فيما بعد.فقد ظهر وعي النحاة المبكر لإثبات وحدة النظم القرآني، والترابط بين آياته وتراكيبه من خلال الوحدة الفكرية والموضوعية التي لا تتم، ولا تكوِّن نصاً متكاملاً إلا من خلال النظرة الكلية في تفسير النص القرآني. ومثَّلت كتب معاني القرآن الاتجاه الفكري الشمولي في تحليل النص القرآني [1]، فإلى جانب عنايتها بالتخريج النحوي نجد التحليل اللغوي وتوجيه القراءات وربط دلالات الإعراب بقرائن المعنى وظواهر الاستعمال وأساليب العرب. و كثيراً ما يذكر وجوه المعاني والإعراب في تفسير النص القرآني، ومنه ترك الفاء اكتفاء بدلالة الاستغناء بالوقف عليه، قال الفرّاء في قوله تعالى: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً قَالَ أَعُوذُ بِاللهِ[2]: "وهذا في القرآن كثيرٌ بغير الفاء، وذلك لأنه جواب يُستغْنَى أوله عن آخره بالوقفة عليه.

إن مصادر النحو القرآني أسست مذهباً نحوياً نصياً في ظل النص القرآني، وإن دراسة النحاة لمسائل النحو لم تكن دراسة شكلية، بل دراسة عميقة روعيت فيها بنية النص والأسلوب القرآني في كثير منها.

وقدّم الاتجاه النصِّي تصورات جديدة لمفهوم علم النحو وهو نحو النص، إذ تتجاوز دلالته صحة التراكيب وسلامتها النحوية إلى مراعاة المعنى والأسلوب والجوانب الفنية والأحوال النفسية لدى منشئ الكلام.

وإن الاتجاهات النحوية القرآنية النصية استندت في أصولها إلى أوثق مصدر، وأعظم دليل وهو القرآن

---

[1] ينظر: الشحات السيد زغلول، الاتجاهات الفكرية في التفسير، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، ط1، 1975م: 101

[2] البقرة: الآية: 67.

الكريم وكان معينها في ذلك مصادر الموروث النحوي بكل تنوعاته، فجاءت دراسة النحاة للنص القرآني مبنية على أسس فكرية ومعنوية مما زادها قوة وحجة وبياناً. فقد أخذ النحاة نحوهم من القرآن الكريم وقراءاته فجعلوها مورداً لتأصيل قواعدهم وبناء أصولهم فكان نحواً تراثياً اتسعت قواعده ليشمل لغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والتراث النحوي. فيما ظهرت محاولات معاصرة حاولت تصحيح قواعد النحو من خلال المنهج اللفظي الذي لا يستند إلى مصادر الموروث النحوي [1]. واتضحمما سبق أن المعنى كان عاملاً أساسياً ومحوراً مهماً أسهم في تحديد تلك الاتجاهات، وقد تفاوتت فيما بينما في مقدار اعتمادها معايير النص، وتبدو أحياناً ليست واحدة فقد تتداخل فيما بينها، وأحياناً تفترق بحيث تكوناتجاهاً خاصاً واضح المعالم. إلا أنها كوّنت في مجموعها حلقات متتالية للكشف عن النظام النحوي لنص القرآن الكريم.

كما ثبت أن النحاة الأوائل قد وضعوا اللبنات الأساسية الأصيلة في مناهج دراسة النص القرآني وهو الاتجاه النصِّي القائم على المعاني والأساليب. ومن يستقري جهود النحاة لا بُد له من أن يكبِر جهودهم العظيمة وتدبرهم العالي لأساليب القرآن الكريم، وقدراتهم الفذَّة في الغوص في أعماق المعاني

[1] ينظر: عالم سبيط النيلي، النظام القرآني، دار ذوي القربى، قم، ط1، 1337هـ: 11

والتراكيب وأسرار النص القرآني ساعدهم في ذلك حسهم اللغوي وذوقهـــم في تفقه أساليب الكلام العربي.

فقـد بحثوا البنـية العمـــيقة للتـــركيب القرآني من خـــلال تحديد العلاقات السياقية بين عناصر التركيب ومكوناته.

واتخذ هذا الاتجاه طابــعاً شمولياً متخصصاً حينما انصبت الجهود على الكشف عن معاني النص القرآني وأساليبه وتراكيبه، فنجد النحوي يهتم بالمعنى القرآني، وتوجيه القراءات، وتفسير النصوص واعتماد أسس التحليل النصي. إن النحو القرآني النصي وهذا المعنى الكلي للنحو لا يجري إلا في ضوء التفكير الشمولي في دراسة النص.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

خلاصة الفصل الثاني

نخلص مما سبق ذكره في هذا الفصل إلى أنه يجب إعادة النظر في كثير من المفاهيم والقضايا اللغوية، وإعادة قراءتنا للموروث النحوي في ضوء مفاهيم نحو النص القرآني والترابط المعنوي للنص الكريم. كما يجب مراجعة قواعد النحو، وقراءة النحو من خلال القرآن الكريم في ضوء الاستعمال القرآني القصدي لقواعد اللغة هذا الاستعمال الذي يبيح الخروج عن أحكام اللغة وقواعدها وأصولها المقننة ليصل بالتراكيب إلى غاية لا تتحقق إلا باختزال الألفاظ، أو الحذف، أو التقديم والتأخير، أو في عدول الألفاظ عن مواضعها . فالقاعدة النحوية ليست قانونا مقدسا يطرد في جميع الأحوال، وإنما النص القرآني هو المقدس، وهو القاعدة، وهو القياس الذي يوجب استقراء القواعد منه ؛ ذلك أن الألفاظ والتراكيب تكتسب دلالات سياقية جديدة وهي في سياقاتها، فهي تحاكي عقل الإنسان وتحاوره لأن يتدبر ويتفكر في استكشاف المعاني الخفية. من ذلك نرى أن النص القرآني لم يكن نصا روحيا فحسب، بل كان ثقافة ورؤية فكرية وحضارية شاملة، قادرة على التواصل المعرفي والفكري والتاريخي عبر الأزمان.

وتدل مؤلفات علماء التفسير، وأصول الفقه، وعلوم القرآن على وعي متحضر بحقيقة انسجام النص القرآني مع واقعه الخارجي، واتساق بنائه الداخلي، ويخبر أن القرآن الكريم رغم تفاوت زمان نزوله يشكل نصا واحدا، ففي مباحث علوم القرآن يمكن أن ندرسها كلها دراسة وافية ضمن نظرية العلاقة بين النص والسياق من خلال السياق المقامي من خلال أسباب النزول، والمكي والمدني، والناسخ والمنسوخ.ومن خلال السياق اللغوي من خلال علاقات النص القرآني في علاقاته الداخلية من خلال دراسة تحقق مفهوم الاتساق في النص القرآني.

الفصل الثالث

تجليات نحو النص في التراث العربي

توطئة

المبحث الأول: المقصدية.

المبحث الثاني: الترابط والسبك النصي.

المبحث الثاني: مراعاة المعنى.

المبحث الرابع: مراعاة أحوال المتلقي وقرائن السياق

خلاصة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

توطئة

نعرض في هذا الفصل للمساهمات العربية التراثية في مجال نحو النص والإشارات والملامح الأولى له، وفي ميدان أصول الفقه والتفسير وعلوم القرآن، وقد اخترنا هذه المباحث لعلاقتها الواضحة والجلية بهذا الموضوع.

فقد وقف علماء القرآن على أمر هام ألا وهو تفطنهم إلى العلاقة بين النص القرآني وشروط نزوله، فـ"لم تبن القواعد النحوية بمعزل عن النصوص القرآنية"[1] فالخطاب القرآني مترابط ومنسجم تمام الانسجام مع المناسبة المباشرة في أسباب النزول وترابطه المنسجم مع المناسبة المباشرة في أسباب النزول وترابطه المنسجم مع تباين المكان ومنطوياته في المكي والمدني ، ومابين الخطاب القرآني واستيعابه للشروط الإنسانية للعالمين والناس كافة في كل زمان ومكان[2] وقد توسل علماؤنا القدماء إلى تناول النص القرآني بما تهيأ لهم من أدوات وإجراءات الدراسة فأصابوا كثيرا من وجوه الاستكشاف عما ينطوي عليه النص القرآني الكريم من وجوه إعجاز كثيرة.

وإن المتأمل في التراث العربي، لا سيما علمي النحو والبلاغة ، يتلمس مناهج النحاة والبلاغيين، إذ لابد له من أن يقف على الجذور الحقيقية لنحو النص بمختلف معطياته التي أشار إليها العلماء في علم اللغة الحديث، ولقد توسع علماء الأسلوب في استخدام معطيات اللسانيات لدراسة الأساليب التي يلجأ إليها الكاتب ، لكتابة النص، وأشاد بعض الأسلوبيين بالإنجازات البلاغية في وصف النصوص، وتحديد وظائفها العديدة، الأمر الذي جعلهم يرون البلاغة نظرية للنص. ذلك أنها تتوجه إلى المتلقي لتؤثر فيه،

---

[1]- د.محمود حسن الجاسم، تأويل النص القرآني وقضايا النحو، ص:79 .

[2]- ينظر: د.خلود العموش، الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النص والسياق"مثل من سورة البقرة"، الجامعة الهاشمية ،عالم الكتاب الحديث، الأردن، 2008، ص: 5 .

كما أن تلك العلاقات ذات خصوصية في البحث اللغوي. فعملية الاتصال تجمع العلاقة بين أطراف الاتصال الأساسية (نص– منتج – سامع) وكيفيات التعامل بينها[1].

فالبلاغة علم يتناول شعرية النص، وهو جانب من الشعرية يبحث في العلاقات الداخلية للنصوص، ووظائفها الاجتماعية باعتبارها تكوينات علاماتية متوحدة .ومعنى هذا أن البلاغة الجديدة عليها أن تتدرج في المفاهيم العلمية الحديثة، وتكتسب تقنياتها التحليلية.ولا مفر من أن يكون مجالها هو النصوص. وعندئذ لا تلبث أن تدخل في نطاق علم النص.وهذا ما أعلنه مؤسس علم النص فان دايك في قوله: أن البلاغة السابقة التاريخية لعلم النص [2].

فنجد أيضا ما ذهب إليه الأستراباذي في شرح الكافية في حديثه عن الجملة الواقعة خبرا. يقول:قوله فلابد من عائد :أي لا تخلو الجملة الواقعة خبرا من أن تكون هي المبتدأ معنى أو لا ، فإن كانت لم تحتج إلى الضمير ، كما في ضمير الشأن ، نحو : (هو زيد قائم)ن وكما في قولك: زيد قائم، لارتباطها به بلا ضمير لأنها هو ، وإن لم تكن إياه فلابد من ضمير ظاهر أو مقدر ، وقد يقام الظاهر مقام الضمير . وإنما احتاجت إلى الضمير، لأن الجملة في الأصل كلام مستقل، فإذا قصدت جعلتها جزء الكلام ، فلابد من رابطة تربطها بالجزء الآخر ، وتلك الرابطة هي الضمير ، إذ هو الموضوع لمثل هذا الغرض ، فمن ثم قيل في بعض الأخبار، كما يجيء ، إن الظاهر قائم مقام الضمير ' ففي النص السابق اتصال وثيق بعلم النص، إذ يبين فيه الرضي كيفية التعامل مع الضمير في الجملة ، من حيث التقدير والإظهار. ويبين فيه أن الجملة قد تكون مستقلة، أو جزءا من جملة. ولعل هذا أوضح ما قال به علماء النصية أن الضمير هو الرابط.

[1]–ينظر: صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص: 253.

[2] صلاح فضل، المرجه نفسه، ص: 252.

وقد كان للمفسرين دور مهم وبارز في الدراسات النصية .ذلك أن القرآن الكريم نص متكامل لغة ونظما، ودلالة، وبلاغة يأخذ بعضه بعضا، فيه التماسك والالتحام، وقوة السبك، فأبرزوا التماسك الصوتي، والصرفي، والنحوي، والمعجمي، والدلالي، وكذلك التماسك النصي، كما أكدوا المناسبة بين الحروف في الكلمة الواحدة، وكلمات الجملة الواحدة، وجملة النص الواحد ونصوص القرآن كله[1]، ففي كتاب الجرجاني دلائل الإعجاز تستوقف الباحث الكثير من مفردات نحو النص، تلك التي أطلق عليها صاحب الكتاب نظرية النظم أو التعليق. إضافة إلى أن الكثير من الظواهر التي تعالج في إطار النص بوصفه وحدة كبرى، كانت أساس كثير من البحوث النحوية التي كانت تعد الجملة أكبر وحدة في التحليل.

و إن الأسس والمعايير التي توصل إليها النحاة مستنبطة من استقراء المصادر التي قد كونت الهيكل العام للنحو القرآني؛ وهي مستنتجة من جهود النحاة في بحوثهم لغة القرآن الكريم وأساليبه كما أن " تلك الأسس ليست غريبة عن الفكر النحوي العربي ، ولا بعيدة عن مباحثه ، إنما هي أسس ولدت في محيط الدرس النحوي العربي ، ولا بعيدة عن مباحثه ، أنما هي أسس ولدت في محيط الدرس النحوي ، وتبلورت في سياق بحوثه ، بيد أنها ظلت مجرد أفكار متداولة ومعروفة لا تؤلف مناهج تأليف إلا حين وجدت من يسلكها في مسالك هذا المنهج أو ذالك "[2]. وهذا يدل على أن هذه الأسس مستنبطة من طبيعة الفهم السائد وبيئة الدرس النحوي آنذاك. وليس بالضرورة أن تكون جميع أسس النحو القرآني مجتمعة في المصدر الواحد ، فقد تأتي منفردة ومجتمعة ، كما أن النحاة أنفسهم لم يسيروا على خط واحد في اعتماد أساس معين أو غيره ، وإنما تفاوتت اجتهاداتهم في استعماله ، فقد يتمسك النحوي بأحد هذه الأسس ويجعلها مدارا لبحوثه ومؤلفاته كما ظهر عند السهيلي وابن هشام. إلا أن الطابع العام والغالب على

[1]– ينظر: الفقي، علم اللغة النصي، ص: 50.

[2]– د. كريم حسين ناصح، مناهج التأليف النحوي ، دار صفاء، عمان، 2007م ، ط1،ص: 135–136.

بحوث النحاة أن بحثهم النحوي القرآني كان بحثا شموليا كليا تناول النص القرآني من جميع جوانبه.

ولا نستبعد قطعية وجود هذه الأسس أو اكتمالها؛ فقد يكشف البحث مستقبلا عن أسس أخرى، ذلك أن هذه الأسس لا تعد نهائية، " فلا يشترط في هذا الأساس أن يكون نهائيا، لا أساسا نهائيا "[1].

وظهر مما تقدم أن أسس البحث في نحو القرآن الكريم عند القدماء لم تخرج عن:

1-القصد والإعلام؛ 2- الترابط والسبك النصي؛ 3- اعتبار المعنى؛ 4- مراعاة أحوال السامع وقرائن السياق.

إن هذه الأسس تكون أهم أسس النص في الدراسات اللسانية المعاصرة التي تعرف ب"مبادئ بناء النص"[2]، أو المعايير السبعة للنص التي حددها كل من درسلر وديبوجراند [3]. لتحقيق ما يطلق عليه بالنصية وهي :

1- السبك النحوي؛ 2- الترابط الدلالي؛ 3- المقصدية؛ 4- المقبولية؛

5- الإعلامية؛ 6- المقامية؛ 7- التناصية.

[1] – د.جميل صليبا، المعجم الفلسفي، الكتاب اللبناني، بيروت،1973م، ط1،ص: 64.

[2] – مارغوت هاينمان، وفولفغنغ هاينمان، أسس لسانيات النص، ص151.

[3]– ينظر: د.سعيد بحيري ، علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، ص: 127.

المبحث الأول: المقصدية والإعلامية

أ- المقصدية "acceptability":

القصدية في القرآن الكريم عملية بنائية خططت تخطيطا قصديا بإحكام دقيق وقرار إلهي، يقول تعالى: (الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُه ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ)[1]، وقوله تعالى :(لَا يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) [2]. يتضمن النص القرآني المضمون الفكري الإعلامي وهو الرسالة السماوية إلى الناس كافة، فقد وصف عوالم مختلفة وكثيرة منها : عالم الإله الواحد ، ووصف قدرة الله تعالى وآياته في الكون، وعالم الإنسان والحيوان والنبات، وعالم الظواهر الكونية والطبيعية، وعالم الغيبيات : ومنها وصف مشاهد يوم القيامة، وأوصاف الجنة والنار، وذكر أخبار الأمم السابقة. وقد خضع النظام القرآني في كل عالم من هذه العوالم لها، وتخطى حدود الزمان والمكان، فكان الخطاب القرآني في كل مشهد من مشاهد هذا العالم يوحي بالمقاصد الربانية.

وكان المضمون الفكري بكل صيغه يرتكز على أساس هام وهو النص فهو القضية الكبرى الأساسية للوصول إلى جوهر الخطاب الإلهي، وهو الإقرار بالتوحيد والعبودية لله سبحانه وتعالى وحده لا شريك له التي اخبر عنها جل علاه وقد ضمت هذه الوحدة الموضوعية وحدة فكرية تلازمت بين أجزاء النص القرآني ، وقد وجهت هذه الوحدة الفكرية توجيها قصديا، وبنيت بناء فكريا مقصدا نحو غاية وظيفية وهي إبلاغ الرسالة السماوية إلى البشر ، ومخاطبة العقلية الإنسانية بكل تناقضاتها وتحقيق استجابتها و هدايتها إلى طريق الحق.

ومن هنا تكمن قوة السبك في حقيقة الروابط المعنوية المتضمنة داخل النص التي تحقق ترابط النص وتماسكه، وتهيئ له الانتقال من فكرة إلى فكرة ومن موضوع إلى آخر

[1]- هود: الآية:1.
[2]- فصلت: الآية: 42.

[1]، ويصبح النص وحدة دلالية ، وليست الجمل إلا وسيلة التي يتحقق بها النص"[2].وحينما نزل القرآن الكريم لم يكن بمعزل عن التيارات الفكرية والحضارية السائدة ، فمن جهة اصطدم بمستوى عال من الفصاحة والبلاغة والبيان وهو تمرس العرب بصناعة فن القول ؛ وإذا حدث نزول القرآن الكريم قطيعة معرفية وبيانية وبلاغية في أنماط القول والأساليب الخطابية الشعرية السائدة ، وأحدث انهيارا داخل منظومتهم اللغوية والجمالية [3]. وهو ما وصفوه بالشعر تارة ، أو السحر وأساطير الأولين تارة أخرى ، ونفاه القرآن الكريم ، ومن جهة أخرى اصطدم القرآن الكريم بعقليات جامدة ومنكرة لا تؤمن بالغيب والتجريد . لذا أصبحت للنص وظائف قصدية موجهة يسعى لإثباتها وهي اجتماعية وتفسيرية واستقصائية . والنص القرآني نص حجاجي يقوم على الاحتجاج النظري والجدل ، إذ يحاجج بأكثر من دليل لتغيير قناعاتهم المجردة التي لا تؤمن بالغيبيات والإلهيات . ومن هنا تصبح النية والقصد في هذا النوع من الخطاب الحجاجي العامل الموجه نحو هدف واضح وهو تغيير اعتقادات المتلقي ، كما ينطلق الحجاج في النصوص من مبدأ السامع والمخاطب بأن القضية المطروحة هدفها التأثير والإقناع[4].

والنص القرآني يمتلك السلطة المقصودة: اللغوية ، والثقافية ، والفنية ، والروحية التي تمكنه من السيطرة على وعي المخاطبين وأفكارهم ومعتقداتهم ودحضها بالحجج والبراهين وصولا إلى الإقناع والتسليم بمركزية الخطاب الإلهي وبما يكشف

[1] ينظر: محمد الأخضر الصبيحي، مدخل على علم النص ، ص: 82.

[2] محمد خطابي، لسانيات النص ، ص: 13.

[3] ينظر: د.حسين خمري، نظرية النص، ص: 183-186.

[4] ينظر: محمد الأخضر الصبيحي، المرجع السابق، ص: 108.

عن روح القصد .فالنص القرآني بوصفه نصا دينيا لا يستمد قيمته من سلطته المستقبلية فحسب بل من سلطته الإيمانيـــــة و الروحية والنفسية[1].

ويظهر تأثير القصد في توجيه البنية الداخلية للنصوص، والتحكم في الأساليب اللغوية التي تحقق مقاصد المتكلم، ونجد هذه العناصر شاخصة في التراث اللساني العربي،" فالقدماء كثيرا ما يتعرضون للعلاقة بين المتكلم وما أراده من معنى "[2]و إن الخطاب القرآني يؤسس لفعل القصدية في النص القرآني مما استدعى بناء نظام لغوي خاص يستوفي المحتوى الشمولي ، ويستوفي عمليات الإبلاغ والإقناع ، واستقصاء المقاصد الإلهية ، وبناء كيفيات خاصة لإيصال الرؤية القصدية الشاملة .

ب-**الإعلامية** :

تظهر عناصر النص متكاملة متضافرة في ملاحظات اللغويين والنحاة القدماء، ويتجلى عنصر الإعلام في الخطاب بصفة ملاحظة رئيس في قبول الجمل أو عدم قبولها، فتصبح فائدة المخاطب أو المتلقي معيارا رئيسا لصحة الكلام، ويراعون حال هذا المخاطب في صياغة التركيب فقد انتبه النحاة لما يكون من تغير صفات المخاطب وعناصره وفقا لمنزلة المخاطب والأحوال التي تعتريه[3].

وقد بنيت مقصدية الخطاب القرآني على وظيفة البلاغية الموجهة نحو المخاطب والمتلقي. فمهد القرآن الكريم لمضمون الرسالة السماوية بآيات كثيرة ، فجاءت على شكل حوار متدرج مع الإنسان وعلى قدر طاقته لتحقيق الإفهام وصولا إلى الإقناع.

---

[1]– ينظر: عبد الهادي عبد الرحمن ، سلطة النص، دار مينا ، بيروت ، 1988م، ط1،ص: 90.

[2] – د.هدى صلاح رشيد، تأصيل النظريات اللسانية الحديثة في التراث اللغوي عند العرب، منشورات ضفاف، بيروت، لبنان ، 2015م، ص: 303 .

[3]– ينظر: نهاد الموسى، الأعراف أو نحو اللسانيات الاجتماعية في العربية، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، الجامعة التونسية، 1986م، ص: 145.

والإفهامية البيانية المقصودة سمة من سمات الأسلوب القرآني وهي مقدرة على حاجة النفوس البشرية ، وتتمثل مقصدية القرآن في اللفظ مع التزامه بالمعنى ، ومعنى هذا أنك تجد في كل من جمل القرآن بيانا قاصدا مقدرا على حاجة النفوس البشرية من الهداية الإلهية دون أن يزيد اللفظ على المعنى ، أو يقصر عن الوفاء بحاجات الخلق من هداية الخالق . ويعد الجاحظ أول من حدد عامل القصد في تحولات الخطاب القرآني [1]، قال الجاحظ :" وجملة القول في الترداد ، أنه ليس فيه حد ينتهي إليه ، ولا يؤتى على وصفه . وإنما ذلك على قدر المستمعين، ومن يحضره من العوام والخواص. ونستدل من كلام الجاحظ تحديده الدقيق لمفهوم الترداد الذي يظهر فيه القصد عاملا موجها ورئيسا في التدرج في مخاطبته المستمعين. وأن الله سبحانه وتعالى خاطب الناس من العرب والعجم والعامة والخاصة والغافل والجاحد على قدر فهمهم . ومن هنا ترتكز تحولات الخطاب على الإفهامية التدريجية ؛ إذ أن تحولات الخطاب القرآني ما هي إلا قياس متدرج لطاقة الإنسان على استيعاب إرادة ذلك الخطاب والتوافق مع قوته "[2].

وتصبح القصدية أداة وظيفية موجهة نحو إفهام المخاطب ، واعتماد المتلقي أساسا في تحقيق الإفهامية ، واستنتاجها منن خلال ما يحمله النص من رموز وإيحاءات ودلالات لتحقيق الاستجابة في الفهم ، "فالمعنى هو حصيلة للتفاعل بين بنية العمل الأدبي وفهم الفعل "[3]. والتوجه نحو المتلقي سمة بارزة من سمات الخطاب القرآني المتلقي شريك مع المتكلم في إنتاج المعنى ، والاستدلال على مقاصد المتكلم عن طريق تحري أنظمة النص التركيبية والدلالية والإيقاعية للنفاذ في دلالات النص الفكرية وإيحاءاته النفسية.

---

[1] – ينظر: د.حيدر لازم ، نظرية الجاحظ في الترداد ، ص: 589.

[2] – وليد منير، النص القرآني من الجملة إلى العالم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي،ط1، 1997م، ص: 17.

[3]– بشرى موسى صالح، نظرية التلقي، ص: 24.

وفي ضوء الرؤية الشاملة للعالم في النص القرآني واتساع محتواه الفكري والإعلامي، واتساع المقاصد الإلهية ، مع القصدية العالية في تحقيق أعلى درجات الفهم والاستجابة والتأثير في المتلقي، ومحاولة جذب عقل السامع إلى فضاءات النص الذهنية والمعرفية ، انتقل بالخطاب القرآني إلى مفهوم وعلاقات يسمو بها القصد نحو تفسير حقيقة الوجود والعالم برؤية جديدة ، تجمع صورة الواقع الزماني والمكاني بكل قيمه والزمن الحالي ، وتستشرف المستقبل وتجعل الخطاب الإلهي شاملا لكل الأزمان .

ويعد الامتداد الشمولي في الموضوعات من موضوعات نحو النص الحديث [1]. وفي الخطاب القرآني يتضح الامتداد الشمولي في معاني الزمن، وأساليب النفي ، والاستفهام ، والتوكيد، والنداء، والتعجب.وأصبحت القصدية اللغوية تتحرك في أنظمة وأدوات غير ثابتة بحسب المقاصد الإلهية .فكل عنصر من عناصر التركيب له وظيفة مقصودة في السياق ، وأخذ مدى أوسع وأشمل لا وأكثر فاعلية من وظيفة العمل النحوي ؛ لأن هناك نص حجاجي خطابي عال موجه بشكل قصدي ، وهذا النص يمسك بوعي القارئ ويوجهه كيفما يشاء بما يمتلكه من سلطة غيبية روحية على القارئ والسامع هذه السلطة التي تعجب منها الجن .

وجاء التصرف في الأساليب وفي القواعد النحوية على نحو لم يضاهه نظم آخر [2]، فقد نقض الاستعمال القرآني المقصود القواعد النحوية المقننة، وجعلها لخدمة النص القرآني. فقد يتعدى اسم الإشارة دلالته الإشارة على القريب. ودلالة العطف على التبعية في المعنى والإعراب ، ودلالة النداء في طلب الإقبال والالتفات إلى المدعو .وينقطع

[1] – ينظر: زتسيلاف واو رزنياك، ترجمة د.سعيد بحيري، مدخل إلى علم النص، ط1، مؤسسة المختار، القاهرة، 2003م، ص: 70 .

[2] – ينظر: د.أحمد إبراهيم، القول في القرآن الكريم، دار الشؤون الثقافية، العراق، 2005، ص: 22.

النعت عن منعوته ، ويتقدم الحال على صاحبه. وانتقضت قواعد الإفراد والتثنية والجمع والتعريف والتنكير ، إذ اكتسبت خصوصية في النظم القرآني ، وحدد الاستعمال القرآني دلالات قرآنية جديدة ، وهي دلالات إيحائية ونفسية مكتسبة من السياق القرآني .

وجاءت الجملة القرآنية بنمط جديد كأن يعبر بالفعل وحده ، أو يستغنى عن الفاعل أو المفعول به، أو يكتفي بفعل الشرط دون جوابه. وتنبه النحاة الأوائل إلى خصوصية الاستعمال القرآني وقته ، واجتهدوا في الكشف عن الظواهر النحوية القرآنية.

وقد عرف النحاة القدماء معيار القصد في البحث النحوي بمفهوم المعنى، قال ابن فارس (ت395ه):" فالمعنى هو: القصد. والمرَاد، يقال: عنيت بالكلام كذا، أي قصدت، وعمدت"[1]. فكان بحثهم عن المعاني وسيلة للكشف عن مقاصد الكلام وغاياته. كما ربطوا مفهوم التواضع بدلالة القصد للتعبير عما في مستقر الإنسان من مقاصد. فقد تعمق النحاة في تحليل الكلام انتقاله من الفكر إلى السامع. والمتكلم حينما يعبر عن الأفكار التي تدور في ذهنه، عليه أولا أن يوجد الألفاظ الدالة عليها ويكون ذلك بالتواضع والاتفاق على دلالتها مع المخاطب، فالكلمة لا تدل على معنى في أصل معناها، وإنما تكتسبه من دلالات أخرى عرفية وذهنية وعقلية، و يكون التواضع بألفاظ أو إشارات أو إيحاءات. فقد ربط سيبويه دلالة القصد بما تواضع لديهم من أعراف لغوية معهودة في باب "الاستقامة من الكلام والإحالة"، قال: "فمنه مستقيم حسن ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب..."[2].

ويربط سيبويه هنا مفهوم صحة الاستقامة النحوية بصحة الاستقامة الدلالية، إذ تتوقف صحة التركيب و الألفاظ على صحة دلالاتها المعنوية، و تمام ما وضع لها، لذا يكون حكم الاستقامة بالحسن أو القبح أو المحال متعلقاً بالمعنى الذي تعبر عنه عناصر

[1]– أحمد بن فارس، الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، مؤسسة بدران، لبنان، ط1،1963 م، ص:192.

[2]– سيبويه،الكتاب: 1/25

الجملة. وهذا الربط بين صحة الألفاظ وصحة المعاني ينتج المعنى النحوي الدلالي[1]. وهذا المعنى استمده سيبويه بما تواضع عليه المخاطب من أعراف لغوية، ومعارف ذهنية معهودة بين الناس ومن قرائن عرفية وعقلية في إجراء الكلام على السنن اللغوية المألوفة ويشترط فيها توافقها مع العرف والعقل، ويستدل عليها المخاطب بالإشارات والرموز والقرائن. و رأى الدكتور محمد حماسة أن كلام سيبويه عميق لأنه تنبه إلى حقيقة التفاعل بين الوظائف النحوية والدلالية، مما ينبئ ويحمل في بذوره نظرية نحوية دلالية.

وكذلك التواضع على دلالة الاسم على معنى فرد، قال ابن السراج في الكلام:"يتألف من ثلاثة أشياء اسم وفعل وحرف. الاسم: ما دل على معنى مفرد، وذلك المعنى يكون شخصا وغير شخص، فالشخص نحو: رجل وفرس وحجر وبلد وعمر بكر. و أما ما كان غير شخص فنحو: الضرب والآكل والظن والعلم واليوم والليلة والساعة.."[2]. إن الاتفاق على دلالة الاسم على المعنى، وهذا المعنى إما شخص أو غير شخص فيه دلالات عميقة على مقاصد المتكلم في الوصول إلى المعاني، وهذه المعاني تواضع عليها المتكلم مع المخاطب بأعراف لغوية معهودة.

كما اتضح مصطلح التواضع والقصد بشكل واضح عند المعتزلة بما ينبئ عن نظرية القصد، وجاء ذلك في بحثهم دلالات الكلام و علاقته بالمتكلم. فالمواضعة مؤسسة على فكرة القصد الذي لا يتم إلا بمعونة الإشارة [3]. كما ظهر اهتمام علماء المحو في عامل القصد، فقد فسروا كثيرا من الظواهر النحوية القرآنية بناء على دلالة التواضع في القصد، أو الأعراف الذهنية والعهد بين المتكلم والمخاطب. فقد أثبت البحث النحوي الحديث[4] أن النحاة بنو أحكامهم على أسس معنوية، أو أشياء ثبت علمها عند المخاطب، و ثبتت معرفتها لدى السامع و منها: قرينة علم المخاطب و معرفته بالمعنى، "فقد كان

---

[1]– ينظر: د. محمد حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة، مطبعة جامعة القاهرة، ط1، 1983م، ص: 61.

[2]– ابن السراج، الأصول في النحو: 1/36.

[3]– ينظر: د. علي حاتم الحسن، التفكير الدلالي عند المعتزلة، ط1، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 2002، ص: 43 – 44– 125.

[4]– ينظر: د. كريم حسين ناصح، مراعاة المخاطب في الأحكام النحوية، ص: 22–26.

لسيبويه قصب السبق في بيان أهمية علم المخاطب و معرفته بما يخبر به، فنقل عن الخليل كثيرا من التعليلات والأحكام التي بنيت على علم المخاطب بما يراد الإخبار به، لذا يخرج المعنى إلى كثير من المعاني، أو يصاغ بصيغ يحذف فيها الفعل، أو المبتدأ أو الخبر بناء على علم المخاطب". ومن تلك المواضع ما ذكره سيبويه في (باب استعمال الفعل في اللفظ لا في المعنى لاتساعهم في الكلام والإيجاز والاختصار)[1] قال: "ومما جاء على اتساع الكلام والاختصار- قوله تعالى: (واسْأَلِ القَرْيَةِ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا)[2] إنما يريد: أهل القرية فاختصر، وعمل الفعل في القرية كما كان عاملا في الأهل لو كان هاهنا، ومثله (بَل مَكرَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارْ)[3] وإنما المعنى: بل مكركم في الليل والنهار، وقال عز وجل: (وَلَكِنَّ البِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ) [4] وإنما هو: ولكن البر بر من آمن بالله واليوم الآخر، ومثله في الاتساع قوله عز وجل (وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاءً ونداءً)[5] فلم يشبهوا بما ينعق، وإنما شبِّهوا بالمنعوق به، وإنما المعنى: مثلكم ومثل الذين كفروا كمثل الناعق والمنعوق به الذي لا يسمع. ولكنه جاء على سعة الكلام والإيجاز لعلم المخاطب بالمعنى"[6]. ونص سيبويه يحمل فهما دقيقا لحقيقة الحكم بالقرينة الحالية وهي (علم المخاطب بالمعنى)، كما يثبت دقة فهم سيبويه ونفاذ بصيرته في الكشف عن المعاني المقصودة ويستدل على هذه المعاني غير الظاهرة بناءا على الأحكام العرفية والدلالية، ففي قوله تعالى: (وَاسأل القَرْيَةَ) يظهر القصد في التواضع والاتفاق بين المتكلم والمخاطب على علاقات لغوية معينة دلالات خاصة تجعل المتكلم فاهمًا للمعنى الذي يروم إيصاله إلى السامع فالمتكلم والمخاطب يدركان أن الحذف جاء هنا للاتساع في المعاني، فهو يدرك ذهنيا أنه يقصد (أهلها)[7] ، ولكنه يتوسل إلى حقيقة المعنى وهي (أهل

---

[1]- د، كريم حسين، مراعاة المخاطب في الأحكام النحوية، ص: 23.

[2]- يوسف:الآية: 8.

[3]- سبأ: الآية: 33.

[4]- البقرة: الآية: 177 .

[5]- البقرة:الآية:1

[6] - سيبويه،الكتاب:212/1

[7]- سيبويه،المصدر نفسه:212/1

القرية) من خلال القرينة العرفية والعقلية وهي أن يسأل أهلها، لأن المخاطب عرفا أو عقلا يقصد أهلها.

وفسر الخليل وسيبويه نصب هذه الأسماء وخروجها عن المعتاد لدلالة القصد في المبالغة في صفات المدح أو الذم أو التعظيم، وما قرره سيبويه من شروط لإيصال هذه المقاصد منها:

أنه ليس كل موضع يجوز فيه التعظيم، ولا كل صفة يحسن أن يعظم بها وليس كل شيء من الكلام يكون تعظيما لله عز وجل يكون تعظيما لغيره من المخلوقين"[1]، فالتعظيم يكون بشيء عرفه المخاطب وشهر عنده بما عظم. ومثله أيضا في الشتم قال سيبويه: "إنما شتمهم بشيء استقر عند المخاطبين"[2]. ولم يقتصر بحث النحاة للتواضع في الألفاظ والمفردات والمعاني بل تعمقوا في البحث واستنبطوا من علامات الإعراب وإيحاءاتها دلالات ومعاني جديدة تكشف عن المقاصد المعنوية.

كما ظهر القصد عاملا مهما في توجيه الأحكام النحوية في ظاهرة حذف المفعول به في القرآن الكريم، وقد عبر الخطاب القرآني عنه بترك ذكر المفعول به لإرادة القصد، فيما حكم النحاة عليه بالحذف ووجوب تقدير المحذوف بسبب تسلط فكرة العامل على أذهانهم،.لذا استعان النحاة بالقرائن والإشارات والموحيات للكشف عن المقاصد الخفية والمعاني العميقة. فقد فسرت قرينة (أسباب النزول) ترك ضمير الكاف اكتفاء بما قبلها في قوله تعالى: (مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى) [3] قال الفراء: "نزلت في احتباس الوحي عن النبي صلى الله عليه وسلم خمس عشرة ليلة، فقال المشركون قد ودع محمدا صلى الله عليه وسلم ربه، ومعناه، وما قلاك، اكتفاء بفهم السامع لمعناه قلاه التابع الذي يكون معه، فأنزل الله عز وجل "ما ودعك ربك" يا محمد (وما قلى)، يريد :(وما قلاك)، فألقيت الكاف كما يقول: قد أعطيتك وأحسنت ومعناه: أحسنت إليك، فتكتفي بالكاف الأولى ن إعادة الأخرى،

[1]– سيبويه،الكتاب: 2/69

[2] – سيويه ، المصدر نفسه: 2/69

[3]- الضحى :الآية: 3.

ولأن رؤوس الآيات بالياء فاجتمع ذلك فيه"[1]. ويرى الدكتور فاضل السامرائي أن للحذف سرا لطيفا وهو أنه جاء للإكرام والتعظيم. ونبه النحويون القدماء على أن ما جروا عليه من حذف الاقتصار لا يعد حذفا، ذلك أن هذه الأنماط من الأساليب قد يقتصر فيها على الحدث أو صاحبه من غير إرادة المفعول، وإنما بحسب الحاجة ومقاصد المتكلم وأغراضه، فقد يقصد مجرد الإخبار بالحدث مجردا عن ذكر فاعله ومفعوله وتكتفي الجملة بما ذكر، وقد يكون القصد الإخبار بالحدث منسوبا إلى فاعله، فيما تستدعي الحاجة والقصد إلى إبراز الصفة وتقييدها، فيخبر عن الحدث وما وقع عليه، [2]قال الجرجاني: "إن أغراض الناس تختلف في ذكر الأفعال المتعدية، فهم يذكرونها تارة ومرادهم أن يقتصروا على إثبات المعاني التي اشتقت منها للفاعلين من غير أن يتعرضوا لذكر المفعولين..ومنه قوله تعالى: (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون)[3] المعنى هل يستوي من له علم، ومن لا علم له؟ من غير أني قصد النص على معلوم، وهكذا كل موضع كان القصد فيه أن يثبت المعنى في نفسه فعلا للشيء.

ويظهر أن النحاة كانوا يدركون أن لا حذف في هذه الأنماط من الكلام، فلا موجب للتمسك بتقدير مفعول محذوف، ذلك أن إرادة القصد وقرائن المقام أغنت عن المحذوف، وأنهم كانوا يقولون بالحذف مسايرة للنحاة.

[1]– الفراء، معاني القرآن: 3/273–274.

[2] ينظر: معاني النحو: 2/82–84.

[3]- الزمر: الآية: 9 .

المبحث الثاني:

الترابط والسبك النصي:

يعد الترابط والسبك النصي أحد أسس ومعايير علم النص الحديث، وتنطلق الدراسات اللسانية المعاصرة من أن النص "بنية مركبة متماسكة ذات وحدة كلية شمولية"[1]، وهي "ذات نسق داخلي بين عناصره علاقات منطقية نحوية ودلالية"[2].

والتماسك النصي مظهر من مظاهر الاتساق الداخلي ،وأعطاه المحدثون أهمية بالغة ولا سيما في لسانيات النص، وقد تناوله القدماء تناول فطنا وعبروا عنه من خلال مصطلحات متنوعة مثل:التلاحم، النظم، تناسب الأجزاء، الانسجام، المشاكلة، فالنص شبكة من العلاقات الداخلية من روابط لغوية تركيبية وزماني وإحالية وعلاقات خارجية تتعلق بمحيط النص وملابساته، وتسهم هذه العناصر في تحقيق الانسجام والتماسك، وإثبات الوحدة الكلية. ويشير مصطلح الترابط إلى العلاقات الشكلية الظاهرية القائمة على مستوى النحو في بنيته السطحية الظاهرية وفي الحقبة الأخيرة عرف ب النظام[3]، أو الربط النحوي[4].

وقد أثبتت الدراسات اللسانية المعاصرة أن علماءنا القدماء قدموا نظرية نحوية نصية متكاملة في كتب الإعجاز القرآني[5]، وكتب البلاغة والنقد الأدبي وعلوم التفسير وعلوم القرآن.

والمتأمل والمدقّق في الموروث النحوي يلمح نظرات عميقة للنحاة في بحث أسرار الترابط والتماسك النصّي في القرآن الكريم، أو بيان آليات انسجام النص تحت مصطلح

---

[1] – د، سعيد بحيري، من أشكال الربط في القرآن الكري، بحث من كتاب دراسات لغوية وتطبيقية، ص: 78.

[2] – محمد الأخضر الصبيحي، مدخل على علم النص، ص: 10.

[3] ينظر: د، تمام حسان، اللغة العربية معناها ومباها4، عالم الكتب، ط4، 1425ه-2004م: 21 .

[4] ينظر:علم النص، د، سعيد حسن بحيري: 141

[5] ينظر: أشرف عبد البديع، الدرس النحوي النصي في كتب أعجاز القرآن، د أشرف عبد البديع، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2008،1م: 32 وما بعدها.

نحو النص باصطلاحه المعاصر، فقد دلت بحوثهم العميقة للنص القرآني على اهتمامهم بإثبات الوحدة النصيّة في القرآن الكريم، وإنها كانت حاضرة في أذهانهم وأنهم لم يتجاوزوها، إلا أنهم لم يضعوها ضمن إطار نظرية نحوية نصية.

إن النحو النصّي المتمثل بـــتناول جانب إعجاز النظم في القرآن الكريم لم يعتمد في أصوله على النحو فحسب، وإنما تضافرت جهود نحوية وبلاغية وتفسيرية وأدبية وأصولية لتوسيع علم النحو ليشتمل على "دراسة النص من حيث هو نص ودراسة أثره من حيث هو اختيار للناص والناظم"[1]. كما أسهمت نظرية النص الحديثة في تفعيل بعض الاعتبارات النحوية منها: وسائل الترابط والتماسك لتوسيع دائرة النحو من نحو الجملة إلى نحو النص[2].

وقد انطلق النحاة في دراستهم للنص القرآني من الجملة القرآنية، أو الآية ثم انتقلوا به إلى مستوى تحليل أكبر وهو النص، "فالتحليل النحوي عند العرب لا يقف عند حدود الجمل والكلمات بل يمتدّ إلى العبارة وما بعدها"[3]"فالأول تركيب العبارة وفق علم النحو عند الجرجاني[4]. ويرتكز النص على الجملة ارتكازا شديدا ولا يمكن الفصل بينهما "غير أن تجاوز نحو النص حدود الجملة في التحليل يسمح بطرح إمكانات متعددة للفهم وفضاء أرحب للتفسير"[5]. وبحث النحاة القدماء مفهوم النص، وأقاموا نحوهم على أسس نصية معنوية، فكان لهم فضل الاهتداء المبكر إلى مواطن الفصل والوصل، وتعلّق الكلام واتصال أوله بآخره، ومواضع الوقف والابتداء، وابتداء الكلام وانقطاعه واستئنافه. وكانت لهم نظراتهم العميقة، وفهمهم الدقيق لأنظمة الربط النحوي والتماسك. فلم يقتصر الأمر على ذلك، بل اعتمدوا على روابط خارجية غير لغوية وهي (السياق والمتكلّم والمتلقي). وهذا يثبت أن "دراسة النحاة لم تكن دراسة شكلية بل دراسة عميقة فلم

---

[1] عمر أبو خرمة، نحو النص: 79.

[2] ينظر: عمر أبو خرمة،نحو النص:39.

[3] د. حسين خمري، نظرية النص، دار العربية للعلوم ناشرون،الجزائر،ط1ه-2007م: 226.

[4] ينظر: علي مهدي زيتون، إعجاز القرآن وأثره في تطور النقد الأدبي، ط1 ، دار المشرق،بيروت، 1992،ص :46.

[5] د. سعيد بحيري، دراسات لغوية وتطبيقية: 77.

يقتصروا على الروابط الداخلية وإنما الروابط الخارجية، ومنها إبراز دور المشاركين في العملية اللغوية التواصلية ووظيفة السياق في تفسير أبعاد النص. ويظهر ذلك في التحليل اللغوي للنص في كيفية اختيار المبدع لأدواته اللغوية مثل، الأدوات والضمائر، والأزمنة، والتكرارات، والحذف والمقابلات والجمل. أي الاهتمام بالعلاقات الداخلية والخارجية"[1]. والترابط والأحكام سمة من سمات الأسلوب القرآني وهي ما تعرف بـــ"جودة سبك القرآن الكريم وأحكام سرده" قال الزرقاني: "ومعنى هذا أن القرآن بلغ من ترابط أجزائه وتماسك كلماته وجمله وآياته وسوره، مبلغا لا يدانيه فيه أي كلام آخر، مع طول نفسه، وتنوع مقاصده وافتتانه وتكوينه في الموضوع الواحد، فإذا هو وحدة متماسكة متآلفة، على حين أنه كثرة متنوعة متخالفة. فبين كلمات الجملة في السورة الواحدة من التناسق ما جعلها رائعة التجانس والتجاذب، وبين جمل السورة الواحدة من التشابك والترابط ما جعلها وحدة صغيرة متعانقة الآيات. وبين سور القرآن من التناسب ما جعله كتاباً سوي الخلق حسن السمت، قال تعالى: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ [2].

وقد ظهرت عناية النحاة بعناصر الترابط النحوي في النص القرآني من خلال انتشار مفاهيم الترابط النحوي ووسائله في الدرس النحوي منذ وقت مبكر، نحو: مفاهيم الكلام والجملة، والتأليف والتركيب. فالجملة تترابط أجزاء عناصرها ترابطاً محكماً مما تكون كلاما تاماً مفيداً يحسن السكوت عليه[3]. وتتعدد وسائل الترابط في الجملة وتتنوع من وسائل معنوية ولفظية بين العناصر الإسنادية وغير الإسنادية في الجملة ويُعد الإسناد الرابط الكبيريين عنصر الجملة كما في المبتدأ والخبر، والفعل والفاعل، والوصف مع مرفوعه.عند أبي جعفر النحاس. و ساوى ابن هشام بين الجملة الابتدائية والمستأنفة، وهي عنده نوعان: "أحدهما: الجملة المفتتح بها النطق، كقولك ابتداء: زيد قائم، ومنه الجمل

[1] د صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصّي بين النظرية والتطبيق،ص:1/55،63.

[2]- الزمر :28

[3] – ينظر: د. محمد حماسة عبد اللطيف، في بناء الجملة العربية، ص: 58.

المتفتح بها السور. والثاني: الجملة المنقطعة عما قبلها نحو: (مات فلان، رحمه الله وقوله تعالى: (قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا(82) إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ)[1].

وبلغت دقة النحاة في تعيين المعاني المقصودة في الكلام في تفريقهم بين دلالة واو الابتداء، وواو العطف، قال سيبويه: "وأما قوله تعالى: (يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم)[2] ، فإنما وجهوه على أنه يغشى طائفة منكم. وطائفة في هذه الحال، كأنه قال: إذ طائفة في هذه الحال، فإنما جعله وقتا ولم يرد أن يجعلها واو عطف، وإنما هي واو الابتداء, ومنه قول الشاعر عبد الرحمن بن أم الحكم:

على الحكم المأتى يوما إذا قضى قضيته أن لا يجوز ويقصد

ويميز سيبويه دلالة الاستئناف في قوله (ويقصد) فالجملة استئنافية، لأن حملها على العطف يجعله شريكا في المعنى فيلزم التناقض، قال: "كأنه قال: عليه غير الجور، ولكنه يقصد، أو هو قاصد، فابتدأ ولم يحمل الكلام على أن، كما تقول: عليه أن لا يجوز، وينبغي له كذا وكذا، فالابتداء في هذا أسبق وأعرف"[3]

فالجاحظ يصرح بأن أجود الشعر"ما رأيته متلاحم الأجزاء، سهل المخارج؛ فتعلم بذلك أنه أفرغ إفراغا ، وسبك سبكا واحدا"[4]. وفي مقام آخر يصف بيتا يقول فيه:" فتفقد النصف الأخير من البيت، فإنك ستجد بعض ألفاظه يتبرأ من بعض"[5]؛ فتلاحم الأجزاء عند الجاحظ يتمثل في تناسق وانسجام الأبيات المشكلة للقصيدة، وتلاحم الأجزاء المكونة للبيت، وتلاحم الأجزاء المشكلة للفظ (الحروف والأصوات)، وأهم المكونات التي انصب اهتمام الجاحظ عليها في الانسجام والاتساق الصوتي.

---

[1] – الكهف: 83–84.

[2] – آل عمران: 154.

[3] – سيبويه،الكتاب: 3/56.

[4] – الجاحظ، البيان والتبيين، ج89/1.

[5] – الجاحظ،المصدر نفسه، ج87/1–88.

وأما ابن طباطبا العلوي في مؤلفه عيار الشعر فنجد له إشارات وملامح متفرقة إن دلت على شيء فإنما تدل على وعي بضرورة توافر وتضافر شروط التماسك والانسجام في النص، ومن ذلك قوله:"إن للشعر فصولا كفصول الرسائل، فيحتاج الشاعر إلى أن يصل كلامه، على تصرفه في فنونه، صلة لطيفة فيتخلص من الغزل إلى المديح، ومن المديح إلى الشكوى، بألطف تخلص وأحسن حكاية بلا انفصال للمعنى الثاني عما قبله"[1]. وفي سياق آخر يصف أحسن الشعر بأنه ما ينتظم القول فيه انتظاما يتسق به أوله مع آخره". وأن القصيدة لابد وأن يكون فيها " كل كلمة تقتضي ما بعدها متعلقا بها مفتقرا إليها"[2]، ولديه تلميحات وإشارات متعددة عن أهمية السامع، وهذه الإشارات تبين الاتساق والانسجام الداخلي الذي يقصده ابن طباطبا ن فالانسجام والتماسك بين أجزاء النص،والعلاقات المنطقية بين الأجزاء، وأهمية المخاطب في صنع هذا الاتساق، ونجد عنده مصطلح التشاكل بدلالته المعاصرة يقول:" وينبغي للشاعر أن يتأمل شعره وينسق أبياته، ويقف على حسن تجاورها أو قبحه فيلائم بينها لتنتظم معانيها، ويتصل كلامه فيها ...ويتفق كل مصراع ، هل يشاكل ما قبله؟. وفي حديث يتناسق كليا مع الاتساق الداخلي والخارجي يورد ابن طباطبا بيتين لابن هرمة، وبيتين للفرزدق، ويذكر فيهما شيئا عن التماثل اللفظي مع موضوع القصيدة، ويتحدث عن اتساق القصيدة وموضوعها مع مقصد الشاعر، وأن كل تشبيه منسجم مع الموقف الذي يعبر عنه [3]

ويختلف القرطاجني عن البلاغيين بنظرة أشمل للنص، فهو يقسم القصيدة إلى فصول والفصل بيتان من الشعر إلى حدود أربعة أبيات تتضافر لأجل إيصال معنى معين، ووضع لهذه الفصول أحكاما في البناء تضمن تماسك الفصل، وتناسق الفصول يؤدي إلى تماسك النص فهو يصف مواد الفصل أي الموضوع والألفاظ بأنه يجب أن تكون "متناسبة المسموعات والمفهومات ، حسنة الإطراد، غير متخاذلة النسج، غير متحيز

[1] – إبن طبا طبا العلوي، عيار الشعر: 12.

[2] – إبن طباطبا، المصدر نفسه :16.

[3] –إبن طباطبا، المصدر نفسه:12.

بعضها عن بعض التميز الذي يجعل كل بيت كأنه منحاز بنفسه"[1] ففي هذا الحديث كلام عن مواصفات الترابط والنسج والاتصال والتناسب وهذه كلها من مظاهر الاتساق،ويشترط القرطاجني أيضا نمطا لنظام الفصل مناسبا للغرض المعتمد تتوافر فيه شروط الجزالة في الفخر، والعذوبة في النسيب وهذا متعلق بما يسمى مطابقة المقال لمقتضى الحال فالهدف من النص التأثير بالأسلوب ، ويكون ذلك بحسن اختيار الألفاظ، ولذا لابد أن تكون العلاقة بين الهدف والموضوع المعبر عنه علاقة انسجام.

وإن تنبه النحاة إلى هذه المعاني الدقيقة دليل على وعيهم المبكر بتفاصيل اتصال الكلام وانفصاله، وتعلق أجزائه بعضها ببعض، فقد توسع ابن هشام في حديثه عن الجملة الإستئنافية، وميز الاستئناف البياني عن الاستئناف النحوي وهو ما كان جوابا لسؤال مقدّر، قال: "ويخص الاستئناف بما كان جوابا لسؤال مقدر نحو قوله تعالى: (هل أتتك حديث ضيف إبراهيم المكرمين (24) إذ دخلوا عليه فقالوا سلما قال سلم قوم منكرون)[2] فإن جملة القول الثانية جواب لسؤال مقدر تقديره: فماذا قال لهم؟ ولهذا فصلت عن الأولى فلم تعطف عليها، وفي قوله تعالى: (سَلِمَ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ) جملتان حذف خبر الأولى ومبتدأ الثانية، إذ التقدير: سلام عليكم، أنتم قوم منكرون، ومثله في استئناف جملة القول الثانية (وَنَبِّئْهُمْ عِنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمْ (51) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلِمَا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ)[3] وقد استؤنفت جملتا القول في قوله تعالى: (وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلِمَا قَالَ سَلِمَ)[4].

وبرز تفنن علماء العربية في الإشارة إلى مواضع انقطاع الكلام والرابط بين الصفة والموصوف والمبدل والمبدل منه، والمعطوف والمعطوف عليه ،وخص سيبويه هذا الأسلوب البليغ بابين :باب ما ينتصب على التعظيم والمدح وباب ما يجرى من الشتم

[1] حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص :23.

[2] الداريات: الآية: 24 .

[3] الحجر:الآيتان: 51-52.

[4] هود، الآية:69.

مجرى التعظيم وما أشبهه. وفصل سيبيويه في الأغراض الموجبة للقطع، وهي"تجدد المعاني لأغراض بلاغية منها: المدح والتعظيم والترحم والذم والاختصاص.

وكان سيبويه يتحرى البنية العميقة للكلام، وتمييزه بين الوجوه الإعرابية المحتملة لأكثر من وجه بحسب المعنى ودلالات السياق، ومنه حدثه عن قطع البدل والاستئناف نحو قوله: "مررت برجلين مسلم وكافر، جمعت الاسم وفرقت النعت، وإن شئت كان المسلم والكفار بدلا، كأنه أجاب من قال: بأي ضرب مررت؟ وإن شاء رفع كأنه أجاب من قال: فما هما؟ فالكلام على هذا وإن لم يلفظ به المخاطب، لأنه إنما يجري كلامه على قدر مسألتك عنده لو سألته. وكذلك مررت برجلين رجل صالح، ورجل طالح، إن شئت صيرته تفسيرا لنعت وصار إعادتك الرجل توكيدا. وإن شئت جعلته بدلا، كأنه جواب لمن قال: بأي رجل مررت؟ فتركت الأول واستقبلت الرجل بالصفة، وإن شئت رفعت على قوله (فما هما).

إن هذه الإشارات العميقة كونت اللبنات الأساسية لأسس السبك النحوي النصي، وقواعد تشكيل النص من الابتداء به والتوقف والانقطاع إليه، وقد قادت هذه اللمحات الذكية النحويين من القراء وغيرهم إلى الاهتداء إلى باب الوقف والابتداء ، حينما ربطوا أداء العبارة القرآنية والعناصر الصوتية فيها بدلالة المعنى والإعراب وقد صنف في هذا الفن قديماً من القراء أبو جعفر النحاس وابن عباد والداني والعماني، وقيل: الزجاج وابن الانباري. وهو باب اهتم به العرب المسلمون الأوائل فكانوا يقرنون تعلم الوقف بتعلم القرآن الكريم نفسه، فقد جاء عن ابن عمر أنهم كانوا يُعلمون ما ينبغي أن يوقف عنده كما يُعل\امون القرآن. وعلى القارئ معرفة متى يقف في القراءة؟ ومتى يكمل؟ ومتى يصل الكلام أوله بآخره؟ ذلك أن المعنى متوقف على الموضع الذي يقف عنده القارئ و" فمواضع القطع والاستئناف مرتبطة بالمعنى أولاً وبالحكم الإعرابي ثانياً" [1] و "القارئ لا يبدأ إلا من حيث يتم به المعنى من جهة، وبما لا يباين اللغة وعلومها من جهة أخرى "[2].

[1]– أبو جعفر النحاس، القطع والإستئناف:97.

[2]– ابن الأنبا ري، إيضاح الوقف والابتداء: 21/1 .

وإن لكل موضع من مواضع الوقف وجهاً خاصاً من وجوه الإعراب يترتب عليه اختلاف المعني والإعراب. وربما يقف القارئ على موضع يُخل بالمعنى ويؤدي إلى التعسف في الإعراب. لذا وضع النحويون بعض القواعد النحوية في الوقف ومنها: "إنه لا يتم الوقف على المضاف دون ما أضيف إليه، ولا على المنعوت، دون النعت، ولا على الرافع دون المرفوع، ولا على المرفوع دون الرَّافع، ولا على الناصب دون المنصوب ولا على المنصوب دون الناصب، ولا على المؤكِد دون التوكيد، ولا على النسق دون ما نسقه عليه، ولا على إن وأخواتها دون اسمها، ولا على المستثنى منه دون الاستثناء "[1]

كما اهتدى النحاة الأوائل لمواضع الوصل والفصل منذ وقت مبكر ومنه ما نقله سيبويه عن الخليل في قوله تعالى: (وَمَن ذَلكَ يَلْقَ أَثَاماً يُضَاعَفْ لَه الْعَذابُ يومَ القيَامةِ)[2] إذ جعل قوله تعالى :(يُضاعف لَهُ الْعَذابُ) بدلاً من (يلقى آثاما) لأن الحملة الثانية هي الأولى، قال الخليل: " هذا كالأول، لأن مضاعفة العذاب هو لُقيُ الآثام. ومثل ذلك من الكلام: أنْ تأتنا نُحسنْ إليك نُعطك ونحملك، تُفسر إلا إحسان بشيءٍ هو هو، وتجعل الآخر بدلا من الأول"[3].

كما أدرك النحاة الفروق المعنوية الدقيقة في العطف بالواو والاستثناء عنها في الآيتين:(وَإذا قَال مُوسى لِقومه ٱذكُرُا نِعمة الله عليكمْ إذْ أنجاكمْ مِن ءاَل فِرعوْنَ يَسُومونكمْ سُوءَ العذابِ وَيذبِحُون أَبناءكمْ)[4] وكان إدراك النحاة لمعاني الفصل والوصل قريباً مما أوضحه الجرجاني بقوله: "واعلم أنه كما كان في الأسماء ما يصله معناه بالاسم قبله، فيستغني بصلة معناه له عن واصل يصله ورابط يربطه، وذلك كالصفة التي لا تحتاج في إيصالها بالموصوف إلى شيء يصلها به، وكالتأكيد الذي لا يفتقر كذلك إلى ما يصله بالمؤكد؛ كذلك يكون في الجمل ما تتصل من ذات نفسها بالتي قبلها، وتستغني بربط معناها لها عن حرف عطف يربطها. وهي كل جملة كانت مؤكدة للتي قبلها، ومبينة

[1] ابن الأنباري، كتاب إيضاح الوقف والابتداء: 116/1-
[2] الفرقان:الآيتان: 68-69.
[3] سيبويه،الكتاب: 87/3.
[4] – إبراهيم: الآية:6

لها.... ومثال ما هو من الجمل قوله تعالى (الم(1) ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ) [1] قوله: (لا ريب فيه) بيان وتوكيد وتحقيق، لقوله (ذلك الكتاب) وزيادة تثبيت له، وبمنزلة أن تقول: هو ذلك الكتاب وهو ذلك الكتاب، فتعيده مرة ثانية لتثبته وليس يثبت الخبر غير الخبر، ولا بشيء متميز به عنه فيحتاج إلى ضام يضمه إليه، وعاطف يعطف عليه"[2]. ويظهر مما تقدم أن النحاة الأوائل كان لهم قصب السبق في التأسيس لأسس ترابط عناصر الكلام من فصل ووصل، واتصال كلام وعلاقات الألفاظ بعضها ببعض. وقد كان لهم بحوثهم المعنوية العميقة ومصطلحاتهم الخاصة، فكانوا روادا في الكشف عن هذه المعاني، إلا أنهم لم يفردوا لها أبوابا في دراساتهم واكتفوا بالإشارات الدلالية لها، إلا أن البلاغيين وسعوا هذا الضرب من التفكير النحوي ووسّعوا طرق البحث فيه.

واتضحت ملامح النظرية النحوية النصّية بشكل جلي عند عبد القاهر الجرجاني في تحديده مفهوم النص، وقواعد تشكيل النص بالتزامه منهجا فكريا منظماً. فالنص باصطلاح الجرجاني هو النظم، وإن بناء النص وإنتاجه لا يكون إلا بقوانين وآليات خاصة وهي قوانين النحو واصلوه قال: "واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رُسمت لك فلا تخل بشيء منها."[3] ويرى الباحثين أن الجرجاني انطلق من وعيه المتقدم،وفهمه لطبيعة علم النحو فهماً علمياً دقيقاً وبحث جزئيات نحو النص، وقد انتقل الجرجاني بالنحو من مستوى نحو الجملة إلى مستوى نحو ما فوق الجملة وهو نحو النص.

فالنحو عند الجرجاني على مستوى الجملة يظهر في الفروق في الخبر ومواضع الشرط والجزاء والحال قال: "وذلك أنا لا نعلم شيئا يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب فروقه، فينظر في الخبر إلى الوجوه التي تراها في قولك: زيد منطلقٌ، وزيد هو المنطلقُ، وزيد هو منطلق. وفي الشرط والجزاء إلى الوجوه التي تراها في

---

[1]- البقرة: الآيتان1-2.

[2]- الجرجاني، دلائل الإعجاز: 227-288.

قولك: إن تخرج أخرج، وإن خرجتَ خرجتُ، وإن تخرج فانا خارجٌ، وأنا خارج إن خرجت، وأنا إن خرجت خارج. وفي الحال إلى الوجوه التي تراها في قولك: جاءني زيد مسرعاً، وجاءني يسرع، وجاءني وهو مسرعٌ، أو هو يسرع، وجاءني وقد أسرع، وجاءني قد أسرع. فيعرف لكل من ذلك موضعه، ويجيء به حيث ينبغي له."[1]. ويتجلى نحو ما فوق الجملة عنده في الروابط التي تربط الجمل بعد تمام أركانها الأساسية وتشمل الحروف، والنظر في خصوصية معانيها في مواضعها المخصوصة في السياق. قال: "وينظر في الحروف التي تشترك في معنى ثم ينفرد كل واحد منها بخصوصية في ذلك المعنى فيضع كلا من ذلك في خاص معناه، نحو أن يجيء بـــما في نفي الحال، وبـــلا إذا أراد نفي الاستقبال، وبأن فيما يترجح بين أن يكون وأن لا يكون، وبـــإذا فيما عُلم أنه كائن"[2]. ويعد وضع الحروف في مواضعها أهم مفاهيم نحو النص يساندها وضع الجمل في مواضعها الخاصة، ويكون ذلك بمراعاة مواضع الفصل والوصل، والتقديم والتأخير، والتعريف والتنكير، والحذف، والتكرار والإضمار، والإظهار. ومن هنا أرجع الجرجاني صحة النظم أو فساده إلى معاني النحو ولأحكامه[3]. وتحرى أدوات الربط النحوية وأثرها في التماسك الدلالي، وحدد علاقاتها النحوية والأسلوبية بما يدعونا إلى القول بأن وضع الأسس التي أسس لها النحاة المتقدمون وبنوا أحكامهم وقواعدهم عليها في إطار نظرية نحوية نصية كان على يد الجرجاني، فقد استوت عنده فكرا ومنهجا وأسلوبا متمثلا بنظرية النظم؟ ودراسته للفصل والوصل التي تعد مرتكزا أساسيا من مرتكزات نحو النص الحديث، فقد تحدث عن أكثر أدوات الربط القواعدية التي تخضع للسياق والمعنى وقرائن المقام.كما وضع أصولا لعطف المفردات وعطف الجمل، وحدد أدوات الوصل ومنها: الواو، إذ أنها " تفيد مع الإشراك معاني مثل أن الفاء توجب الترتيب من غير تراخ، و(ثم) توجبه مع تراخ، و(أو) تردد الفعل بين شيئين وتجعله لأحدهما لا بعينه[4]. وتحدث عن علة العطف بين جملتين فيما يسميه معنى الجمع قال: "وذلك أنا لا نقول: زيد

---

[1] – ينظر: د.عمر أبو خرمة، نحو النص،: 44-47.

[2] – الجرجاني، دلائل الإعجاز: 117

[3] – الجرجاني، المصدر نفسه: 117

[4] – ينظر: دلائل الإعجاز: 117-118.

قائم، وعمرو قاعد، حتى يكون عمرو بسبب من زيد وحتى يكونا كالنظيرين والشريكين وبحيث إذا عرف السامع حال الأول عناه أن يعرف حال الثاني. واعلم أنه كما يجب أن يكون المحدث عنه في إحدى الجملتين بسبب من المحدث عنه في الأخرى، كذلك ينبغي أن يكون الخبر عن الثاني مما يجري مجرى الشبيه والنظير أو النقيض للخبر عن الأول، وإنه إذا كان المخبر عنه في الجملتين واحدا كقولنا هو يقول ويفعل، ويضر وينفع وأشباه ذلك، ازداد معنى الجمع في الواو قوة وظهورا، وكان الأمر حينئذ صريحا[1].

وكلام الجرجاني دقيق في تحديد مفهوم الربط بين الجملتين، إذ لا يقتصر فيه على العلاقة بين الخبرين، بل يتعداه إلى توضيع الربط بين المحدث أو المخبر عنه في الجملتين، وهو ما يطلق عليه في تحليل الخطاب ترتيب عناصر الخطاب [2]، مبينا أنه إذا كان المخبر عنه واحدا في الجملتين ازداد معنى الجمع بالواو ظهورا وقوة ووضوحا. كما أشار إلى مواضع الفصل بين الجمل، وعدم الإتيان بحرف عطف إذا كانت الجملة مؤكدة للتي قبلها مثل قوله تعالى: (ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين)[3]. وتنوعت مواضيع الفصل من استئناف الكلام فلا يعطف الخبر على الحكاية،[4]. وفصل الجرجاني البحث في أدوات الربط الأخرى منهال: الربط بإن وإنما، والربط ب بالتعريف الألف واللام[5].

كما أسهم ابن هشام ببحوثه المعنوية العميقة في التأسيس لنظرية نحوية نصية في النحو العربي، فظهرت عنايته الفائقة بمظاهر الترابط النحوي النصي في القرآن الكريم، فهو أول من حدد أنظمة الربط في الجملة القرآنية، ودرس علاقاتها، ومواضع الارتباط فيها، فقد حدد ابن هشام روابط الجملة بما هي خبر عنه وهي عنده عشرة .وإن الروابط التي ذكرها ابن هشام تشتمل على أغلب الروابط التي اعتمدها علماء النص المعاصرون.

---

[1]– الجرجاني، دلائل الإعجاز ، 224.

[2] الجرجاني، المصدر نفسه: 225–226.

[3]- البقرة: الآية: 2.

[4] – ينظر:الجدرجاني، المصدر نفسه، ص: 227.

[5] – ينظر: الجرجاني، المصدر نفسه، ص: 232.

أمّا السبك النصّي فهو الترابط الدلالي على المستوى الداخلي للنص. وتتفق دراسات اللسانية الحديثة على وحدة تماسك النص بكونه "وحدة متكاملة تشدها خاصية الترابط"[4]، وكما يشير هذا المصطلح إلى الربط الدلالي المنظم للأفكار داخل الخطاب.ويعرف بـــ: التماسك[1] أوالانسجام[2]، ويعتمد التماسك على مجموعة من الوسائل اللغوية التي تعمل على تنظيم عناصر الخطاب، وانتظام الجمل وتسهم في تحقيق انسجام النص ووحدته الشاملة. وتتنوع هذه الوسائل من وسائل تماسك داخلية نحو: العطف والفصل والوصل وأدوات التعريف والأسماء الموصولة والرتبة والإسناد. ووسائل خارجية نحو المرجعية والإحالة والإشارة تعمل على الربط بين داخل النص وخارجه[3]. لذا يعد التماسك "عنصرا جوهريا في تشكيل النص وتفسير[4]". واهتم العرب المسلمون بالقرآن الكريم وكرسوا جهودهم لخدمة النص القرآني المقدس، وحاولوا في كل ما قدموه من تآليف ودراسات الكشف عن وجوه الإعجاز بالبحث عن أسرار التماسك الدلالي والوحدة النصّية الدلالية. فعلى الرغم من نزول القرآن منجماً وعلى مدار ثلاث وعشرين سنة ثبتت الوحدة النصية بين أجزائه وكيفية تلاحمها، مع الترابطات الموجودة بينها ووظيفة هذه العلاقات داخل النص القرآني. على نحو ما نجده عند الزركشي في كتابه البرهان في علوم القرآن، والسيوطي في كتابه معترك الأقران في إعجاز القرآن... لذا نرى أن إثبات التماسك النصّي والوحدة الدلالية لم يكن غاية النحويين فحسب، بل اهتم به أصحاب كتب الإعجاز والبلاغة وحظي بعناية فائقة عند المفسرين.

ونقتصر في الاستدلال على مظاهر التماسك النصّي عند النحويين، فقد ظهر مما تقدم عناية النحاة بالربط بين أجزاء الجملة من جهة، والربط بين عدّة جمل من جهة أخرى، فكانت أنظمة الربط تتحرى البنية العميقة لهذه الروابط.وبني النحو العربي على مفاهيم الارتباط والتماسك بين أركان الجملة، فكانت علاقات الإسناد، والتلازم بين المسند

---

[1]– ينظر: الجرجاني، المصدر السابقص: 653–663.

[2] – ينظر: د. سعيد بحيري، دراسات لغوية وتطبيقه من أشكال الربط والربط في القرآن الكريم،ص: 77–145.

[3]– مارغوت هاينمان وفولغنغ هاينمان، أسس لسانيات النص،: ترجمة، د.موفق محمد المصلح، دار الشؤون الثقافية، بغداد،2006، ص: 151.

[4] – ينظر: د. سعيد بحيري، علم لغة النص، ص: 141.

والمسند إليه والمتعلقات مظهرا من مظاهر التماسك النصي في علم النص[1]، وهو ما عبر عنه سيبويه في باب (المسند والمسند إليه): " وهما ما لا يغنى واحد منهما عن الآخر، ولا يجد المتكلم مه بدا، فمن ذلك الاسم المبتدأ أو المبني عليه، وهو قولك عبد الله أخوك، وهذا أخوك، ومثل ذلك: يذهب عبد الله، فلابد للفعل ن الاسم كما لم يكن للاسم الأول بد من الآخر في الابتداء.."[2] ونص سيبويه يشير إلى معنى التماسك بمعناه الواسع والشامل وهو: التلازم أي عدم استغناء الأول عن الآخر، والذي حقق هذا التماسك العلاقة النحوية والدلالية بين المسند والمسند إليه.

وتعمق النحاة في الكشف عن التماسك الدلالي في النص القرآني من خلال بحثهم ترتيب عناصر الخطاب، وانتظامه، وعلاقات افتتاح النص واختتامه، وهو أمر يدل على وعي متقدم بتماسك بناء الخطاب القرآني، وتظهر أهمية الجملة الأولى في وظيفتها الترابطية التي تحقق التماسك النصي في النص القرآني[3]، ففي "البنية التركيبية تحكم الجملة الأولى سائر الجمل اللاحقة لها إن وجدت بحكم ورودها في البداية في نقطة الانطلاق، وهي المعلم الأول المؤسس لكل المعالم في النص" وهو ما أكد عليه علماء العربية في مقدمات كتب معاني القرآن. و يستخلص من النصوص السابقة وعي النحاة ورقي تفكيرهم في ربط النص بالمتلقي لتحقيق الاستجابة والتأثير فيه من خلال الافتتاح. أو الابتداء لإيقاظ وعي المتلقي و مفاجأته .

ونستخلص ممّا تقدّم أنّ النحاة الأوائل كانوا روّاداً في الكشف عن معايير الترابط والتماسك في النص القرآني، ومن يمعن النظر في الموروث النحوي يجد أنّ أبواب النحو العربي تكاد تسعى كلّها لتحقيق التماسك النصّي من استفهام وشرط وجزاء وابتداء ونواسخ حرفيّة وفعليّة، وكأنّ العرب لم يقصدوا في استعمالاتهم لهذه الأبواب الصحّة النحوية فحسب، وإنّما تحقيق التماسك الكلّي بين مكوّنات الجملة والنص[4]. لذا اعتمد النحاة

---

[1]– ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 5.

[2] – ينظر: د. صبحي الفقي، علم اللغة النصّي بين النظرية والتطبيق: 1/75.

[3] – ينظر: د، محمد حماسة عبد اللطيف، في بناء الجملة العربية، ص: 95.

[4] – ينظر: د. صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصّي: 332/1.

هذه المعايير أسساً في بناء الأحكام النحوية استناداً إلى قواعد الجمل وترابطها مع الجمل الأخرى، وعلاقات اتّصال الكلام وتعلّقه ببعض. كما كوّنت آراء النحاة وبحوثهم العميقة الملامح الأولى لنظرية نحو النص في النحو العربي.

المبحث الثالث:

اعتبار المعنى:

كشفت الموازنة في الفصل السابق أنّ هناك اتّجاهاً في البحث النحوي عُنِي بالكشف عن ملامح المعنى في النص القرآني الكريم، وعن دلالات الألفاظ والتراكيب، فكان السعي لفهم النص القرآني الكريم والكشف عن مغاليقه وسبر أغواره والبحث في أساليبه الإطار المُحدد لطبيعة هذا الاتّجاه، واتّجاه البحث فيه، لذا ركن النحاة إلى العناية بالمعاني والألفاظ والعلاقات بين التراكيب.واعتمد النحاة معيار المعنى أساساً قويّاً في تعليل الأحكام النحوية واستقراء قواعد النحو، وعُدّ معياراً مهمّاً في قبول الأحكام، أو ردّها، ومقياساً لقياس صحّة الكلام وجودته، قال المُبرِّد: "فكل ما صَلُح به المعنى فهو جيّد، وكل ما فسد به المعنى: فمردود، وأيّده ابن جنى قائلاً: "فإذا كان الكلام إنّما يُصلِحهُ أو يُفسِدُه معناه"[1]. وأكّد النحاة على تلازم دلالة المعنى مع دلالة الإعراب، وقدّموا العناية بالمعاني على عنايتهم بالألفاظ. فكانت عنايتهم بالدلالات اللفظية باباً للكشف عن المعنى القرآني؛ فالإعراب دليل على المعاني قال السهيلي: "الإعراب دليلٌ على المعاني التي تلحق الاسم نحو كونه فاعلاً أو مفعولاً وغير ذلك، وتلك المعاني لا تلحق إلا بعد حصول العلم بحقيقته ومعناه"[2]. وكان ابن الطراوة لا يرى أهمّية للإعراب إلا إذا فهم المعنى. وهو يخالف النحويين في ذلك قال: "فإذا فهم المعنى فارفع ما شئتَ، وانصبْ ما شئتَ، وإنّما يحافظ على رفع الفاعل، ونصب"المفعول إذا احتمل كل واحد منهما أن يكون فاعلا، وذلك نحو: ضرب زيدٌ عمراً، لو لم ترفع زيداً وتنصب عمراً لم يعلم الفاعل من المفعول، فيلزم على قوله إنك إذا قلت: ضربت زيداً هندٌ، فيجوز لك أن ترفع زيداً وتنصب هنداً، لأن علامة

---

[1] – ابن جني،الخصائص: 435/2.

[2] – السهيلي، نتائج الفكر: 66.

التأنيث اللاحقة للفعل دالةٌ على أن هنداً هي الفاعل، فلا يحتاج إلى المحافظة على الإعراب"[1].

والمتأمل في التراث النحوي لعلمائنا القدماء يرى عبقرية النحاة في وضعهم نظرية متكاملة في المعنى في النحو العربي، تستند في أسسها إلى المعنى "فقد كان النحو عند علمائنا الأوائل نظاما متكاملا من الرموز والعلامات التي تدل دلالات لفظية ومعنوية على المعنى الذي ينوي العربي التعبير عنه، فالأسماء، والأفعال، والحروف، والحركات، والزيادة، والحذف، والتقديم والتأخير، والتركيب والإسناد، والتعليق، والإلغاء والنصب والرفع والجزم، والجر، والتنكير، والتعريف، والإفراد، والتثنية والجمع، والتذكير والتأنيث وغير ذلك رموز لمعان مختلفة ودلالات عليها؛ إذ يتم التعبير عن هذه المعاني بتغير هذه الرموز في اللفظ المفرد أو التركيب. ولم تكن تلك الألفاظ عند النحاة الأوائل هي المقصودة وعليها مدار بحثهم- كما يتصور بعض الباحثين- بل هي أدوات للتعبير عن المعاني التي يقصدونها... وإن كل رمز من هذه الرموز -بما فيها الألفاظ- كان يحمل في أذهان النحاة وفيما كتبوه أساسا معنويا، وعلى هذه الأسس شيّدوا نظرية متكاملة في المعنى تستند إلى بنى تعبيرية ذات قيم معنوية تتفاوت بحسب صيغتها ومراتبها في الجمل وما يلحقها من زيادة أو نقصان"[2].

وفي ضوء هذا الفهم المعنوي لدلالة الإعراب والمعنى اتجهت الدراسات النحوية القرآنية إلى الغور في معاني الألفاظ وأحوالها، ووظائفها في الجملة، وعلاقاتها مع عناصر التركيب الأخرى.

ومن هنا جاء اهتمام النحاة بالكشف عن المعنى القرآني اهتماما خاصا تجاوز غرض الصحة النحوية، وتعداه لتشمل سلامة معاني الألفاظ والتراكيب. فالنص القرآني يؤسس للمعنى، وهو لا يقتصر في دلالته على التحديدات اللغوية لمعنى العلامة الإعرابية، وإنما

[1] – ابن أبي الربيع الاشبيلي، البسيط في شرح جميل الزجاجي، ط1، تحقيق عبّاد بن عبد الثبيني، دار الغرب الإسلامي،بيروت (ت688هـ) ،1986، ص: 1/262.

[2] – د. كريم حسين ناصح، نظرية المعنى في الدراسات النحوية، ص: 22.

يشمل الرؤية الكلية الشمولية لمفهوم المعنى. ويستمد هذا المعنى دلالته القرآنية من النص القرآني؛ إذ يصبح "محددا معرفيا لطبيعة ذلك المعنى، ثم لمنهج النص وضوابطه"[1]. وحدّد النص القرآني المفهوم المعنى ومنهجه وأساليبه، فكان القصد الإلهي الاستعمال القرآني المخصوص الموجّه للمعاني والأحكام.

لذا حرص النحاة على الغوص والتعمق في استكشاف المعاني، واعتمدوا على تعيين المعاني المقصودة عدّة وسائل منها: إدخال عامل القصد في الاستعمال اللغوي، والسياق ومكوناته المختلفة، كما لم يغفلوا أثر المخاطب والظروف المحيطة. كلها تترابط وتتماسك وتسهم في الكشف عن المعنى القرآني. وتوصلوا إلى استنباط دلالات جديدة في دراستهم القرآن الكريم اعتمادا على هذا المعيار، وحاولوا تقديم تفسير أرحب وأوسع وهو تفسير معاني النص بدلالات ألفاظه ورموزه وإيحاءاته.

ويبرز عامل المعنى عاملا وموجها وفاعلا في بنية الخطاب القرآني. وهي بنية مقصودة متماسكة، ولا تختلف في بنيتها ومكوناتها وأنظمة بناء الجملة عن بنية النص الأدبي العربي[2]. إلا أن الذي ميّز الخطاب القرآني هو أسلوب نظمه المعجز، وأنظمة تأليفه، وانسجام ألفاظه وتلاؤمها بعضها مع بعض، فهو كما قال الباقلاني: "جنس مميز متميز، وأسلوب متخصص، وقبيل عن النظم متخلص."[3]. فاللفظة والتركيب والسياق تؤلف النسيج الذي يؤدي إلى المعاني المقصودة في الخطاب القرآني، قال الخطابي: واعلم أن القرآن إنما صار معجزا، لانه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم مضمنا أصح المعاني "[4] ومن هنا جاء إدراك النحاة لأهمية دراسة المعنى في بنية النص القرآني.

---

[1]– ينظر: د. عباس أمير، المعنى القرآني بين التفسير والتأويل، ط1، الانتشار العربي، بيروت، 2008، ص: 14.

[2] – ينظر: د.كريم حسين، الخطاب النفسي في القرآن الكريم، دار صفاء، عمان، 2007م، ص: 21.

[3] – الباقلاني، إعجاز القرآن، ص: 159.

[4] – كريم حسين، الخطاب النفسي في القرآن الكريم، ص: 22.

- **الجملة في القرآن الكريم** :

عرف علماء النحو مصطلحات الكلام والتركيب والتأليف والنظم وهي ذات معاني متقاربة تفيد بناء كلام تام يحسن السكوت عليه. والجملة في القرآن الكريم لا تختلف عن الجملة العربية وتعدد أنماطها ودلالاتها المعنوية والزمنية.

فقد توقف النحاة عند أنماط من الجمل القرآنية التي نقص فيها أحد عناصر تأليف الجملة كالفعل والفاعل والمفعول به، وقد عبر عنه النحاة بالحذف.إن التمسك بفكرة الحذف في القرآن الكريم فكرة لا تستقيم مع النص القرآني المنزه عن الخطأ والتحريف والنقصان والزيادة . وهي فكرة تتبع من تمسك النحاة بفكرة التلازم بين أركان الجملة ، وضرورة بناء الجملة على ركنين رئيسين وهما: المسند والمسند إليه، واحتياج كل منهما إلى الآخر[1]. وقد نقض النظام القرآني بناء الجملة العربية وفكرة التلازم بين أركان الجملة ، فجاء بنمط جديد من التأليف الجملي أو التركيبي يستغنى فيها عن أحد أركانها أو زيادتها . وكان النحاة دقيقين في بحثهم هذه الظاهرة باصطلاحهم على الحذف الاستغناء [2] بدليل القرائن والموحيات ، وفي حذف الأجوبة بترك الأجوبة ؛ إذ إن تقدير المحذوف هو أمر تعليمي قصدوا فيه تقريب المعاني إلى أذهان المتعلمين ؛ لأن المعاني قائمة في أذهانهم . وعليه لا حذف في القرآن الكريم ، بل هو استغناء ويستدل عليه بدلالة القرائن والموحيات ، ويستند فيها إلى قدرة الحروف والأسماء والأفعال والإشارات للإيحاء بالمعنى المقصود بها النحاة الذي قدروه محذوفا [3].

إن النظام القرآني أسس لاتجاه جديد في بناء الجملة يختلف عن نظام التلازم التي تمسك بها النحاة ، وهو اتجاه الاستغناء عن أحد أركان الجملة إذا دلت القرائن والسياق

[1] – ينظر: د. كريم حسين ، نظرات في الجملة العربية، دار صفاء ، عمان،ط1، 2005م، ص: 38.

[2]– ينظر: الأخفش، معاني القرآن ، ص : 142/1-144.

[3] – ينظر: د.كريم حسين، البديل المعنوي من الحذف ، ص: 42 –70.

على المعنى المقصود دون الحاجة إلى تقدير المحذوف ؛ إذ تفي دلالة التركيب بالتعبير عن المعنى المقصود بركن واحد ، فلا حاجة إلى ذكر الركن الآخر .

ونبه الجواري على هذا الاتجاه بعد دراسة مستفيضة لأساليب القرآن الكريم وهو بيان أهمية المعنى المقصود في بناء الجملة فهو الموجه لبنائها وصياغتها الذي يقضي بضرورة اكتمال عناصرها ، أو نقص بعضها ، أو الاكتفاء بأحدها . ويعتمد هذا البناء على السياق والحال والقرائن في استغناء أحد الركنين عن الآخر.

وخير من بحث الجملة في القرآن الكريم ابن هشام في كتابه مغني اللبيب حينما خصص الباب الثاني للجملة وبحث أنواعها وأحكامها وإعرابها بحسب ورودها في سياق النص القرآني الكريم ، واتضحت ثقافته القرآنية وقدرته العالية على ربط النصوص بعضها ببعض ، واستقراء القواعد من النصوص .ودرس أنظمة روابط الجملة ، والأشياء التي تحتاج إلى رابط ، إذ تعد من أهم وسائل التماسك الدلالي للجملة . كما حرص على تقييد أنظمة الدلالة اللفظية بالمعاني وترسيخها في أذهان المتعلمين، وأكد على توجيه المعربين في الجهات العشرة إلى النظر في صحة المعنى أولا دون ظاهر الصناعة .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الرابع :مراعاة المتلقي وقرائن القول :

أ- مراعاة المتلقي وقرائن القول :

ظهر مما تقدم أن نحو النص القرآني ظهر للكشف عن معاني النص القرآني وتراكيبه وطرائق تأليف الجمل، وهو بيان لأسرار نظم النص القرآني وأساليب التعبير فيه ، وهي الغاية الرئيسة التي بني عليها النحو العربي .

فكان البحث عن المعاني المحور الأساسي الذي دارت حوله بحوث النحاة المتقدمين ، واتضحت عنايتهم الفائقة بتحديد العلاقة بين المتكلم والسامع ، وأثرها في تحقيق فائدة الكلام وتحقيق التواصل واستجابة المخاطب له مع مراعاة ظروف الحدث الكلامي ، وما يصاحبه من أحوال ومقامات .

وكان الاهتمام بالمعاني قائما في عقولهم منذ وقت مبكر ، فكانوا يعرفون أن الكلام يقال لكي يوصل المتكلم إلى المخاطب معاني يقصدها ، قال الزجاجي: "إن المخاطب والمخاطب ، والمخبر عنه ، أجسام وأعراض تنوب في العبارة عنها أسماؤها أو ما يعتوره معنى يدخله تحت هذا القسم من أمر أو نهي أو نداء، أو نعت أو ما أشبه ذلك ، مما تختص به الأسماء ؛ لأن الأمر والنهي إنما يعقدان على الاسم النائب عن المسمى فالخبر إذن هو غير المخبر عنه ، وهما داخلان تحت قسم الاسم ، والخبر هو الفعل وما اشتق منه أو ضمن معناه ، وهو الحديث الذي ذكرناه ، ولابد من رباط بينهما وهو الحرف ولن يوجد إلى معنى رابع سبيل فيكون الكلام قسم رابع ، وهذا معنى قول س سيبويه : الكلم اسم وفعل وحرف. فكان المخاطب والسامع محور العملية الكلامية ، فالمتكلم يصوغ كلامه وفقا لأحوال السامع ومعارفه . وهذه العلاقة المنظمة بينهما هي التي تقود إلى الكشف عن المعاني وعن مقاصد المتكلمين ، قال السهيلي: "اعلم أن الكلام صفة قائمة في نفس المتكلم يعبر للمخاطب عنه بلفظ أو لحظ

أو بخط، ولولا المخاطب ما احتيج ‘إلى التعبير عما في نفس المتكلم .لذا برز أثر المخاطب والمتكلم في العملية اللغوية والاتصال الابلاغي، وعد المخاطب مشاركا للمتكلم في حال معنى الكلام، إذ الكلام مبدؤه من المتكلم ومنتهاه عند المخاطب ، ولولا المخاطب مكان كلام المتكلم مسموعا، ولا احتاج إلى التعبير عنه "[1] وهذا يقرب مما يذهب إليه النظر اللغوي الحديث في تحديد نظرة التلقي رؤية جديدة ومفهوما جديدا لفم الفهم وتجعل المتلقي شريكا في إنتاج المنى وبنائه فهو :" عملية بناء المنى وإنتاجه وليس الكشف عنه أو الانتهاء إليه ، وبذلك يعد المحصول اللساني مؤثرا واحدا من مؤثرات الفهم لابد من تغذيته بمرجعيات ذاتية قائمة على فعل الفهم من لدن المتلقي "[2].وقد أكد علماء العربية على التفاعل بين المتكلم والمخاطب والنص .وهو وجه من أوجه التماسك الدلالي النصي، فالمتكلم يراعي حال المخاطب من حيث العلم والجهل به ، ويكون أساسا في ترتيب الكلام وبناء أجزائه [3]. قال سيبويه في التعريف والتنكير والمعرف بأل : "وإنما أريد معرفة ؛ لأنك أردت بالألف واللام الشيء بعينه دون سائر أمته ؛لأنك إذا قلت : مررت برجل ؛ فإنك إنما زعمت أنك إنما مررت بواحد ممن يقع عليه هذا الاسم ، لا تريد رجلا بعينه يعرفه المخاطب ، وإذا أدخلت الألف واللام فإنما تذكره رجلا قد عرفه ، فتقول : الرجل الذي من أمره كذا وكذا ، ليتوهم الذي كان عهده ما تذكر من أمره "[4].

كما تحدث المبرد في باب الابتداء عن فائدة الخبر: " فالابتداء نحو قولك : زيد ، فإذا ذكرته فإنما تذكره للسامع ح ليتوقع ما تخبره به عنه ، فغذا قلت منطلق أو ما أشبهه صح معنى الكلام ، وكانت الفائدة للسامع في الخبر ؛ لأنه قد كان يعرف زيدا كما

[1]–إبن القيم الجوزية ت (51)ه، بدائع الفرائد ، الطباعة المنيرية ، مصر دت.

[2]– بشرى موسى صالح، نظرية التلقي أصول وتطبيقات، ص:29.

[3] ينظر: د.كريم حسين، مراعاة المخاطب في الأحكام النحوية في كتاب سيبويه ، ص: 23.

[4] سيبويه، الكتاب، ص :5/2.

تعرفه ، ولولا ذلك لم تقل له زيد ، ولكنت قائلا له : رجل يقال له زيد ، فلما كان يعرف زيدا ، ويجهل ما تخبره به عنه أفدته الخبر ، فصح الكلام ؛ لأن اللفظة الواحدة من الاسم والفعل لا تفيد شيئا ن وإذا ق رنتها بما يصلح حدث معنى واستغنى الكلام "[1] .ويدل النص دلالات عميقة ودقيقة على الفائدة من الكلام ، وهو إعلام السامع بالخبر، فهو متوقع بما يخبره المخاطب عنه ، والكلام لم يصغ إلا للسامع ، بمعونة السياق المحيط وقرائن النص المقترنة بالاسم والفعل الموحية بالمعنى والاستغناء الحاصل في الكلام.

وفي ضوء هذا الفهم الدقيق لعملية الكلام وأطرافه ومكوناته تنبه النحاة على " أن ظاهر العبارة القرآنية ليس هو كل شيء في تحديد معناها ، وأن معاني النصوص لا تتقرر من داخلها ، ووفقا لما تمليه لغتها المباشرة وحدها ، وإنما تتحكم في تحديد معنى النص القرآني كثير من الملابسات والقرائن، منها المأثور من التفسير ،وأسباب النزول ، والسياق الفظي ، والقرينة العقلية "[2] لذا عمد القدماء إلى اعتماد وسائل غير لغوية في تحديد المعنى القرآني ، وفهم الجملة ومنها ك المخاطب ، والسياق ، والمقام ." فالجملة أصبحت خاضعة لمناسبات القول والعلاقة بين المتكلم والمخاطب ، ولايتم التفاهم في أية لغة إلا إذا روعيت تلك المناسبات ن وأخذت العلاقة بين أصحابها بنظر الاعتبار ولن يكون الكلام مفيدا ، ولا الخبر مؤديا غرضه ما لم يكن حال المخاطب ملحوظا ليقع الكلام في نفس المخاطب موقع الاكتفاء والقبول "[3] .

والمتأمل في الموروث النحوي يجد أن النحويين وضعوا اللبنات الأولى لهذا الجانب المعنوي في تحليل النص ، فكانوا على وعي متقدم بضرورة أن يتجاوز النص تحليل

[1] ينظر:سيويه، الكتاب، ص: 287/1.

[2] د.حسين حامد الصالح، التأويل اللغوي في القرآن الكريم، ص:164.

[3] د. مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد وتوجيه : 225.

البنية الداخلية ليشمل بنية السياق والعلاقات القائمة بين البنيتين السطحية والعميقة بما يكون تماسكا دلاليا ملحوظا . إذ تنبه عليه النحاة يقارب ما شاع لدى دارسي النص المحدثين وهو ما يعرف ب المقامية [1]، أو المستوى التداولي في النص وهذا الاتجاه نحو التداولية أصبح واضحا في نهاية العقد الثامن من القرن العشرين. وقد شاعت في مؤلفات النحاة القدماء مفاهيم مراعاة المتكلم والسامع ، والسياق ، ومقتضى الحال أو المقام ، ولا غرابة في ذلك ؛ لأن الغاية الكبرى عندهم الكشف عن معاني النص القرآني الكريم ، وفهم تراكيبه وأسرار إعجازه ، فاهتموا بالسياق وكل ما يحيط بالنص ، من ظروف وملابسات ، فالسياق هو المحدد للمعنى [2].

كما أن " فاعلية النصوص لا تظهر إلا من خلال مجموعة من العوامل السياقية والتاريخية والنفسية والاجتماعية بما يصطلح عليه قديما بالمقام وحديثا بسياق النص " [3]. والكلمة المفردة لا تكتسب حياتها إلا من خلال التأليف ولا يتحدد معناها إلا بالسياق ذلك أن " الكلام إنما وضع للفائدة ، والفائدة لا تجنى من الكلمة الواحدة ، وإنما تجنى من الجمل ومدارج القول "[4]. وتظهر أهمية السياق عند عبد القاهر الجرجاني في ملاءمة الألفاظ لمعانيها التي تليها؛ إذ إن " الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي كلم مفردة ، وإن الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملاءمة معنى الفظة لمعنى التي تليها ن أو ما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ "[5].

---

[1] ينظر: محمد الأخضر الصبيحي مدخل إلى علم النص ،: 97.

[2] ينظر: جون لاينز، اللغة والمعنى والسياق ، ترجمة، د.عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد، 1997: 222.

[3] د. بشرى موسى صالح، نظرية التلقي:16.

[4] ابن جني، الخصائص :333/2.

[5] الجرجاني، دلائل الإعجاز:92.

وقد ظهرت عناية النحاة الأوائل بموقع الكلمة من السياق والاستعمال القرآني المخصوص لها . فاللفظة القرآنية لها خصوصيتها ولها واقعها الخاص الذي يجعلها تتلبس بالجو العام للآية أو السورة مما يجعلها منزهة عن التبديل والترادف [1]، ولها موقعها المقصود في التركيب القرآني من دقة الاختيار ، وحسن الانتقاء ، وبراعة النسج مما يشكل نسيجا قويا متماسكا ، ويشهد التتبع الاستقرائي لألفاظ القرآن في سياقها أنه يستعمل اللفظ بدلالة معينة لا يمكن أن يؤديها لفظ آخر في المعنى الذي تحشد له المعاجم وكتب التفسير عددا قل أو كثر في الألفاظ "[2].

وقد ثبتت عناية العلماء الأوائل بقرينة السياق في القرآن الكريم فهي كبرى القرائن [3]، ولها ثلاث رتب فهي " إما متقدمة على اللفظة التي تفسرها ، أو متأخرة عنها ، أو مكتنفة لها من جانبيها السابق و اللاحق وجميعها من داخل النص القرآني "[4] وتقسم القرائن إلى:" لفظية ، ومعنوية ، واللفظية تنقسم إلى متصلة ، ومنفصلة ، أما المتصلة فنوعان :نوع يصرف اللفظ إلى غير الاحتمال الذي لولا القرينة لحمل عليه، ويسمى تخصيصا وتأويلا . ونوع يظهر به المراد من اللفظ ويسمى بيانا "[5]. وتظهر أهمية السياق في النص القرآني في تحديد المراد وتخصيص العام وتقييد المطلق ، قال الزركشي :" أما دلالة السياق فإنها ترشد إلى تبيين المجمل والقطع بعدم احتمال غير المراد وتخصيص العام، وتقييد المطلق ، وتنوع الدلالة ، وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم.وتعين قرينة السياق على تحديد جلالة الألفاظ القرآنية ؛ إذ يكسب

---

[1] ينظر: د. خلود جبار، السياق و أثره في الكشف عن المعنى دراسة تطبيقية في كتب معاني القرآن ، ط دكتوراه، بغداد، 2008 م:143-144.

[2] د.عائشة عبد الرحمن، الإعجاز البياني للقرآن الكريم، ص: 7/1

[3] ينظر : د.تمام حسان، البيان في روائع القرآن ،: 164/1.

[4] د. عدوية عبد الجبار، القرائن الدلالية للمعنى في التعبير القرآني ، إشراف د.كاصد الزبيدي، أطروحة دكتوراه ، كلية التربية للبنات –بغداد، 2006:20.

[5] الزركشي، البرهان في علوم القرآن :135/2.

السياق القرآني والاستعمال المخصوص الألفاظ دلالات جديدة غير معهودة :" فمن أهمله غلط في نظيره ، وغالط في مناظراته ، وانظر إلى قوله تعالى :" ذق إنك أنت العزيز الكريم " الدخان :4. كيف تجد سياقه يدل على أنه الذليل الحقير " [1].

والتفت النحاة إلى قرينة سياق الحال[2]، والموقف التي تدل على الظروف والأحوال الخارجية التي تحيط بالحدث اللغوي . كما أدركوا أن ثمة عناصر غير لغوية لها أثر في تحديد المعنى ، بل هي جزء من أجزاء منى الكلام ومنا :شخصية المتكلم وشخصية السامع وتكوينهما الثقافي ، وشخصيات من يشهد الكلام وعلاقتهم بالموقف اللغوي[3].

واتضحت فكرة المقام عند البلاغيين فكرا ومنهجا منظما [4].فكانت مدار البحث في مؤلفاتهم، ومنهم الجاحظ حيث أفرد مبحثا عن سياق المقام وهو " ما يجب لكل مقام من المقال " [5]، كما تتبع مراعاة المتكلم لأقدار المستمعين [6]. واعتمد المفسرون في توجيه دلالات النصوص القرآنية عدة قرائن سياقية تسهم في تحديد المعنى ومنها :" معنى المفردة ، وقرينة الحال ، والقرينة العقلية ، وتكون القرينة الفيصل في ترجيح دلالة دون أخرى من خلال النظر إلى القرائن التي فيه سواء أكانت محيطة بالنص مكتنفة إياه ، أم كانت متقدمة أو متأخرة عنه ، ولولا وجود القرائن السياقية لم نتوصل إلى المقصود من كثير من النصوص القرآنية . والواضح أن المفسرين وظفوا هذه القرائن للكشف عن الوحدة الدلالية للنص القرآني الكريم ، أما النحويون فلم يكونوا حديثي عهد بقرائن المقام وأحواله ، بل ظهر الاهتداء إليها مبكرا، فقد وظفوها للكشف عن الوحدة

[1] الزركشي، المصدر السابق :127/2.

[2] ينظر: د. نهاد الموسى، نظرية النحو العربي في ضوء مناهج علم اللغة الحديث ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط1400،1ه-1980م:85.

[3] ينظر: د. محمود السعران، علم اللغة، ص:252.

[4] ينظر: الخفاجي، مراعاة المخاطب في النحو العربي ، : 27-42.

[5] الجاحظ، البيان والتبيين :136/1.

[6] ينظر: الجاحظ، المصدر نفسه 138/1.

النصية القرآنية وهذا وعي متقدم سبقوا فيه غيرهم ، فكان هدفهم تفسير النص القرآني والكشف عن معانيه بكل الوسائل ، والنحو لم يكن الغاية ن بل كان وسيلة من وسائل الكشف عن النص. ولما كانت المعاني الأسس المعنوية التي بنى عليها النحاة نحوهم ، فلم يقتصر الأمر عندهم على اعتماد هذه القرائن في الاستدلال على المعاني ومقاصد المتكلمين فحسب بل سعوا إلى توظيف هذه القرائن في بناء الأحكام النحوية ، وإيضاح العلاقات بين أجزاء التركيب ، وتحديد المعاني الوظيفية لمفردات التركيب القرآني . ويتضح ذلك في مباحث الإضمار والتقديم والتأخير. وأقدم الإشارات الأولى لهذا الفهم المعنوي ما ذكره سيبويه عن قرينة سياق الحال ، فقد ربط بين فهم النص وتقدير العوامل المحذوفة بما يحيط به من أحوال وملابسات تؤثر في بنية النص ومثاله " إذا رأيت رجلا متوجها وجهة الحاج ، قاصدا في هيئة الحاج ن فقلت مكة ورب الكعبة. حيث كنت، أنه يريد مكة، كأنك قلت : يريد مكة والله"[1]، وقوله: " أو رأيت رجلا يسدد سهما قبل القرطاس فقلت : القرطاس والله، أي يصيب القرطاس وإذا سمعت وقع السهم في القرطاس قلت : القرطاس والله أي : أصاب القرطاس . ولو رأيت ناسا ينظرون الهلال وأنت منهم بعيد فكبروا لقلت : الهلال ورب الكعبة أي ك أبصروا الهلال "[2].فرؤية الحاج في هيئة الحج ، ورؤية الرجل في حال تسديد القرطاس ، ورؤية الناس المجتمعين لرؤية الهلال أغنت عن تقدير الفعل المحذوف ، واستدل بها على مراد المتكلم . كما اهتدى النحاة إلى أثر القرينة العقلية في دلالة الخطاب الإلهي وتوجيه الحكم النحوي . وتوقف النحاة عند نمط من الأساليب القرآنية التي تثير الإشكال في الفهم واللبس في المعنى ، والتي تحمل في ظاهرها معنى الدعاء الصادر عن الخالق عز وجل على عباده ، إذ كيف يدعو الخالق على الإنسان وهو في

[1] سيبويه، الكتاب :257/1.

[2] سيبويه، المصدر نفسه:257/1.

قبضته ورهن مشيئته ؟ ومن ذلك قوله تعالى :" قاتلهم الله أنى يؤفكون " [1] وأولها ابن عباس بأن القتل : اللعن ، قال : " لعنهم الله . وكل شيء في القرآن قتل فهو لعن " [2]. والتفت سيبويه إلى الإشارات المعنوية الدقيقة الموجبة لصرف العبارة عن ظاهرها ، وفرق بين دلالتي الدعاء الصادر عن الخلق والخالق ، واستند إلى قرينة العقل التي تمنع أن يكون الفعل صادرا عن الخالق عز وجل وهو القادر المقتدر ، وقال :" وأما قوله تعالى ك" ويل يومئذ للمكذبين " [3] و " ويل للمطففين"[4] فالمقصود ليس الدعاء ههنا لأن اللفظ به قبيح ، وإنما جاء القرآن على لغتهم وعلى ما يعنون وكلم العباد بكلامهم ، وقوله ويل للمطففين :أي هؤلاء ممن وجب هذا القول لهم في الشر والهلكة . وهنا ينبه سيبويه على أن أساليب الخطاب القرآني في خطاب البشر وتكليم العباد ، إنما جاءت على ما تعارفوا عليه تقريبا للفهم والإفهام . وعد ابن قتيبة هذه الأساليب من باب مخالفة ظاهر اللفظ معناه وأفرد لها بابا في كتابه تأويل مشكل القرآن ومنه " ومن ذلك الدعاء على جهة الذم الذي لا يراد به الوقوع ، كقوله الله عز وجل " قتل الخراصون "[5] ومن ذلك الجزاء عن الفعل بمثل لفظه والمعنيان مختلفان نحو قوله تعالى :" إنما نحن مستهزئون الله يستهزئ بهم " [6].أي يجازيهم جزاء الاستهزاء .ومنه أن يأتي الكلام على مذهب الاستفهام وهو تقريرومنه أن يأتي على مذهب الاستفهام وهو تقرير أو تعجب أو توبيخ أو يأتي الكلام على لفظ الأمر وهو تهديد .أو تأديب أو إباحة. واهتدى النحاة إلى قرينة تقارب ما يعرف حاليا بسياق الحال أو سياق المقام وهي

---

[1] التوبة :30 .

[2] الطبري، تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، تحقيق : د. عبد الله عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر، (د.ت) : 415/11.

[3] المرسلات :15.

[4] المطففين :1 .

[5] الداريات :10 .

[6] البقرة :14-15.

قرينة أسباب النزول ،فهي أعظم القرائن في فهم المعنى [1]، واستفاد النحاة من هذه القرينة في إيضاح مقاصد النص القرآني وكشف معاني النص القرآني ، فجعلوا هناك علاقة بين أسباب نزول الآيات وما تحيط بها من ظروف وملابسات بالحكم النحوي وعدوها قرينة خارجية تحيط بالنص من الخارج استعين بها في فهم النص وتوجيهه ، وقد فسر النحاة المتقدمون كثيرا من مواطن الحذف في القرآن الكريم ارتكازا على هذه .

لذا أولى النحاة بالمقام وأحواله وأولوا دور رئيس في توجيه الدلالة والحكم الإعرابي، وهو ما أكد عليه ابن هشام في توجيه المهتمين بالإعراب إلى أن المعنى الواضح يؤدي إلى معرفة الإعراب الصحيح، في قوله تعالى: (وإني خفت الموالي من ورائي) [2]، فتعلق الجار والمجرور بالاسم الموالي، ولا يصح تعلقه بالفعل؛ لأنه يبعده عن دلالة التركيب وسياق الموقف والحال المصاحب له ، وأن الخوف الحاصل هنا ليس من ورائه ، وإنما الخوف من ولايتهم بعده وسوء خلافتهم لذا وجب تعلقه بالموالي لصحة المعنى والإعراب ، قال : " فإن المتبادر تعلق ب خفت ، وهو فاسد في المعنى ، والصواب تعلقه بالموالي لما منه من معنى الولاية ، أي خفت ولايتهم من بعدي وسوء خلافتهم ، أو بمحذوف وهو حال من الموالي أو مضاف إليهم ، أي كائنين من ورائي ، أو فعل الموالي من ورائي ، وأما من قرأ خفت بفتح الخاء وتشديد الفاء وكسر التاء فمن متعلقة بالفعل المذكور.

إن الدلالات المستنتجة من هذه القرائن هي معان سياقية [3] ناتجة من تفاعل

[1] ينظر :الزركشي، البرهان في علوم القرآن :12/2.

[2] مريم :5.

[3] – ينظر: د.عودة خليل أبو عودة ، التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم، ص: 69.

المعنى المقالي مع المعنى ألمقامي [1]، وهي متوجة للمعاني الأول . فالسياق يحدد الدلالات السياقية بطريقة تفاعل المفردات في السياق المناسب لها الذي يضفي ع ليها معنى جديدا . لذا سوف نتطرق غلى بعض الظواهر النحوية التي بحثها النحو النص في الرآن الكريم في ضوء هذه القرائن ومنها :

ب-**الحذف والتقدير** :

أظهرت أعمال علمائنا القدماء "رفض النحو القرآني الحذف والتقدير في النص القرآني الكريم، فهو الكتاب المقدس المنزه عن الحذف والنقصان والزيادة والحشو. وكان هذا الرفض مبنيا على أسس معنوية قرآنية تنبه إليها القدماء في إطار تعمقهم في تحليل النص القرآني ودراسته ، لذا التجأوا إلى اعتماد عدة وسائل كاشفة عن العنصر المغيب تغييبا قصديا ؛ إذ ما من حرف أو كلمة في الخطاب الإلهي إلا ووضع لغاية مخصوصة وقصد إلهي سابق . وهي "اعتماد القرائن السياقية في الاستدلال على مقاصد النص وفي تسويغ الحذف "[2] .فقد بنوا أحكامهم على مراعاة حال المتكلم والمخاطب، والقرائن الحالية والمقامية التي ترتكز عليها في إيصاله الكلام وتلبية مراد المتلقي."[3]

وتوصل النحاة الأوائل إلى أنه لا يوجد حذف وإنما هناك استغناء لذا اعتمدوا دلالة الاستغناء عن ذكر العنصر المحذوف بناء على قرينة علم المخاطب ، وقرائن السياق والمقام ، فلم يجيزوا الحذف إلا فيما يستغنى عنه .

وقد وجد النحاة أن حذف المبتدأ والخبر جائز استغناء بعلم المخاطب ، واكتفاء بدلالة قرينة الحال المشاهدة ، قال المبرد " فأما حذف الخبر فمعروف جيد ،ومن ذلك قوله :"

[1]– تمام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها، ص:339.

[2]– د. خلود جيار، السياق و أثره في الكشف عن المعنى ، ص: 10.

[3]– د.هناء محمود إسماعيل، النحو القرآني في ضوء لسانيات النص،ص: 233.

وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كَلَّمَ بِهِ المَوْتَى بَلْ للهِ الأَمْرُ جَمِيعًا "[1]. لم يأت بخبر لعلم المخاطب ، ومثل هذا الكلام كثير ، ولا يجوز الحذف حتى يكون المحذوف معلوما بما يدل عليه من متقدم خبر ، أو مشاهدة حال .

واعتمد سيبويه على القرينة الحالية الدالة على المحذوف في باب ما ينتصب إضمار الفعل المتروك إظهاره من الأمر والتحذير ، فقد صرف الاستغناء برؤية الحال وما يجري عليه من الذكر عن ذكر الفعل ، لذا جاء حذف الفعل في هذه الأحوال كثيرا في كلامهم فصار المفعول الأول بدلا من اللفظ بالفعل [2].

وكان سيبويه رائدا في رصد أحوال المخاطب، وربطه بين الأحوال الاجتماعية والنفسية لكل من المتكلم والمخاطب، فبنى كثيرا من الأحكام النحوية بناء يتناسب وتلك الحالات والأوضاع [3]، فجاءت تلك الأحكام متساوقة ومنسجمة مع طبيعة اللغة . ومن ذلك تصوره قدرة المخاطب على الموازنة بين الأشياء التي يسمعها ، وبين الاستدلال بكل ما يوحي به النص من قرائن وإشارات. وهذا دليل على قدرة المخاطب على الاستدلال على الحذف ، ومن قوله : في باب التنازع واستنباطه أن الفعل الذي يلي الاسم هو العامل استنادا إلى معرفة المخاطب . فلم يعمل الآخر فيما عمل فيه الأول استغناء عنه . فوضع في موضع الخبر لفظ الواحد، لأنه قد علم أن المخاطب سيستدل به على أن الآخرين في هذه الصفة "[4]

---

[1] – الرعد: الآية: 31.

[2] – ينظر:سيبويه، الكتاب :275/1.

[3] – ينظر : د. كريم حسين، مراعاة المخاطب في الأحكام النحوية في كتاب سيبويه، ص: 20–28.

[4] – سيبويه الكتاب :74/1–75.

والحذف في القرآن الكريم " لعلم المخاطب بها كثيرة جدا ،وهي إذا أظهرت تم بها الكلام ، وحذفها أوجز وأبلغ " [1] لذا عد الحذف من الأساليب القرآنية البليغة فلم يجوزوه إلا بما يقتضيه السياق من علم المخاطب ، أو وجود أدلة سياقية دالة على المحذوف . فالعرب لا يحذفون شيئا إلا وأبقوا عليه دليل . وفصل ابن جني مواطن الحذف وشروطه، قال:" قد حذفت العرب الجملة، والمفرد، والحرف، والحركة وليس شيء من ذلك إلا عن دليل عليه، وإلا كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته. فأما الجملة فنحو قولهم في القسم ، والله لا فعلت، وتالله لقد فعلت ، وأصله أقسم بالله ، فحذف الفعل والفاعل وبقيت الحال من الجار والجواب دليلا على الجملة المحذوفة وكذلك الأفعال في الأمر والنهي والتحضيض"[2]. ومن ذلك ترك الفاعل لقرينة عرفية ، قوله تعالى :" حتى توارت بالحجاب "[3].أي الشمس قال الزجاج :" يعني الشمس ولم يجر للشمس ذكر ، وهذا لا أحسبهم أعطوا الفكر حقه فيه ؛ لأن في الآية دليلا يدل على الشمس وهو قوله : إذ عرضت عليه بالعشي والعشي في معنى : بعد زوال الشمس، حتى توارت بالحجاب، وليس يجوز الإضمار إلا أن يجري ذكره أو دليل ذكر بمنزلة الذكر "[4].

وقد يترك ذكر المفعول به اكتفاء بدلالة القصد والغرض؛ فقد يتعلق الغرض بمجرد الإعلام بوقوع الفعل من غير تعيين من أوقع عليه، أن إيقاع الفاعل للفعل، أو إسناد الفعل إلى فاعله، ولا يسمى حينها محذوفا بل متروكا لدلالة القصد عليه [5].

---

[1] إبن مضاء القرطبي، كتاب الرد على النحاة، ص: 79.

[2] إبن جني، الخصائص،ص: 360/2.

[3] ينظر: إبن جني، المصدر نفسه، ص : 32.

[4] الزجاج، معاني القرآن وإعرابه،: 248/4.

[5] ينظر:الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 168-169.

وانتهى ابن هشام إلى أن الحذف هو من مقتضيات صناعة النحو، وهو تقدير متعلمي التفسير والعربية [1]. كما تنبه النحاة على وجه من وجو الإعجاز في الخطاب القرآني وهو التوجه نحو المتلقي ، فالمنهج الكلي الشمولي لا يتحقق إلا بتحقيق التواصل مع المتلقي، والنص يبرز الفضاءات الذهنية والمعرفية المشتركة بين طرفي الكلام المتكلم والمخاطب [2] إذ يحاكي النص معتقدات المتلقي ويعمل على استثارتها ، فمن الممكن أن يصبح النص آخرا عند المتلقي بما يتناسب مع معارفه ومعتقداته . وقد أوجد الخطاب القرآني نمطا من النظم يمنح الحرية لمتلقيه في استكشاف دلالاته المتجددة ويوقظ الوعي وينبه الفكر إلى دلالاته الجمالية. وأبرز صور التوجه القرآني نحو المتلقي ترك الأجوبة في قوله تعالى :" وَلَوْ أَنَّ قُرْآنا سُيِّرَتْ بِهِ الجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أو كلم به الموتى بل لله الأمر جميعا "[3] فقد أبقى النص القرآني الجواب مفتوحا وتركه للمتلقي وهو السامع والقارئ للقرآن ليشكل الجواب بما توحيه دلالات النص [4].

لذا استدعى تغيير بنية الجملة والتعبير بالفعل الماضي لإيقاظ وعي المتلقي وتنبيهه ومنه قوله تعالى (وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقُوا رَبَّهُمْ إِلَى الجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ)[5]. واستدل الزمخشري على حذف جواب الجزاء بقرينة علم المخاطب وعدم قدرته على تخيل ما سيحدث قال ك " وإنما حذف لأنه في صفة ثواب أهل الجنة ، فدل بحذفه على أنه شيء لا يحيط به الوصف ، وحق موقعه ما بعده خالدين " كما أن في ذكر الواو دلالة على الجواب ، ووصف

[1] ينظر: الجرجاني، المصدر السابق، ص: 853.

[2] ينظر، د. محمد رضا مبارك، استقبال النص عند العرب، ص: 15.

[3] الرعد: الآية: 31 .

[4] ينظر: محمد رضا مبارك، المصدر السابق، ص: 15.

[5] الزمر: الآية: 73.

حال أهل الجنة ، فالأبواب كانت متفتحة لهم ومتشوقة إلى لقائهم لذا جيء بالواو. ومن ذلك نرى أن ترك الأجوبة أو الحذف في القرآن الكريم إنما يحسن في مواقع التهويل والتفخيم لقوة دلالة المعنى والسياق عليه "[1].

[1]– ينظر:إبن حازم القرطاجني، منهاج البلغاء، ص: 391.

خلاصة الفصل الثالث

يرى علماء نحو النص أن البحث النصي ما هو إلا امتداد لعدد من القضايا ذات العلاقة بموضوع البلاغة، وقد ذهب أحد الباحثين إلى ذكر عدد من الفرضيات التي تلتقي فيها قضايا البلاغة مع قضايا نحو النص نوجزها فيما يلي:

- إن البلاغة ونحو النص كلاهما يسعيان إلى إيجاد قواعد للنص. و تشترك البلاغة ونحو النص في أن كليهما يأخذ بعين الاعتبار سياق الحال؛
- كل منهما يحاول أن يقدم تفسيرا للنص اعتمادا على القرائن السياقية المختلفة. إلا ان التوجه البلاغي النحوي ، يتقبل عددا من التفسيرات في وقت واحد، غير أن نحو النص يحدد تفسيرا واحدا ارتكازا على معايير النصية؛
- كلاهما يتقاسم تقديم التفسير الجديد والمقبول دلاليا، ويحاول نحو النص أن يطور تلك المفاهيم والتصورات الواردة في البلاغة العربية بتضافر العلوم في التجريب والمنجزات النظرية لعلم النفس المعرفي؛ ويبرز الدور الكبير للمتلقي والسامع جليا في مؤلفات البلاغيين العرب، فالخطيب يجب أن يلم بالأحوال النفسية والشعورية للسامعين حتى يجعل خطبته ذات تأثير فيهم. ولكأنهم يفرضون على الخطيب المعرفة الجيدة بعلم النفس، حتى يستطيع ويتمكن التوافق وتحقيق التلاؤم بين كلامه والموضوع الذي يتحدث فيه. وقد فاقت عنايتهم بالسامع أي عناية أخرى، فالمتكلم مثلا لم ينل ولم يظفر هذه العناية باعتبار أن البلاغة مراعاة لمقتضى الحال. والحال عندهم هي حال المتلقي لا صاحب النص، ومنه اتجهت اهتماماتهم نحو المتلقي، ومحاولة ربط الطريقة في التعبير بالظروف الاجتماعية والدينية؛
- كما أن الأفكار والتصورات المذكورة آنفا في نحو النص تتفق وتلك النظرة الكلية عند علمائنا العرب القدماء لاسيما عند عبد القاهر الجرجاني، والتي انتهى إليها الدارسون المحدثون للتراث العربي من أن التركيب النحوي له معنى أول يدل

عليه ظاهر الوضع اللغوي، وله معنى ثان ودلالة إضافية تتبع المعنى الأول، وهذا المعنى الثاني وتلك الدلالة الإضافية هي الهدف والمقصد في البلاغة.

- إن التحليل النحوي عند العلماء العرب القدماء لم يقف عند حدود الجمل والكلمات بل يمتدّ إلى العبارة وما بعدها ويرتكز النص على الجملة ارتكازا شديدا ولا يمكن الفصل بينهما ،غير أن تجاوز نحو النص حدود الجملة في التحليل يسمح طرح إمكانات متعددة للفهم وفضاء أرحب للتفسير. وبحث النحاة القدماء النص، وأقاموا نحوهم على أسس نصية معنوية، فكان لهم فضل الاهتداء المبكر إلى مواطن الفصل والوصل، وتعلّق الكلام واتصال أوله بآخره، ومواضع الوقف وابتداء الكلام وانقطاعه واستئنافه. وكانت لهم نظراتهم الثاقبة العميقة، وفهمهم الدقيق لأنظمة الربط النحوي و التماسك. فلم يقتصر الأمر على ذلك، بل اعتمدوا على روابط خارجية غير لغوية وهي السياق والمتكلّم والسامع. وهذا يثبت ويؤكد أن دراسة النحاة القدماء لم تكن دراسة شكلية بل دراسة عميقة فلم يقتصروا على الروابط الداخلية وإنما تجاوزوا إلى الروابط الخارجية، ومنها إبراز دور المشاركين في العملية اللغوية التواصلية ووظيفة السياق في تفسير أبعاد النص. ويظهر ذلك في التحليل اللغوي للنص في كيفية اختيار المبدع لأدواته اللغوية مثل، الأدوات والضمائر، والأزمنة، والتكرارات، والحذف والمقابلات والجمل. أي الاهتمام بالعلاقات الداخلية و الخارجية.

الفصل الرابع

مفاهيم ومعايير نحو النص في مؤلفات علماء الإعجاز القرآني في القرن الخامس الهجري

توطئة

-مفهوم النص عند الجرجاني

-المبحث الأول:مايتصل بالنص في ذاته(معيارا السبك والحبك)

المبحث الثاني:ما يتصل بالمستوى المعجمي(التكرار والمصاحبةالمعجمية)

المبحث الثالث:ما يتصل بمستعملي النص (معاييرالقصدية،والتقبلية،والإعلامية)

المبحث الرابع:مايتصل بالسياق الخارجي محيط النص (معيارا المقامية ،والتناصية)

خلاصة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

توطئة:

تعتبر البلاغة الأرض الخصبة التي نشأ فيها علم النص، وإن بدايات نحو النص قد خاض غمارها الجرجاني قبل عشرة قرون، فألف وأحسن، وكتب فأجلى، وأسهب فأبان، وأسس ونظم ووصف التراكيب ونسيجها فحاز دقة الوصف، فاتضحت الرؤية عنده واضحة جلية، وخرجت من نطاق الكشف عن معاني النص القرآني،أوإعراب المشكل فيه، واتجه النحو القرآني نحو الدقة والشمولية متجاوزا كل الحدود التي رسمها النحاة، فمنهج الإمام عبد القاهر الجرجاني في النحو والأسلوب، إذ استقر النحو عنده فكرا نحويا خالصا ، فكانت بحوثه وليدة التفكير العميق، والمنظم لظاهرة الإعجاز، ومنها استدل على الظواهر النحوية القرآنية، وخصوصية الاستعمال القرآني للتراكيب النحوية، إذ يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني : " وينظر في الجمل التي تسرد فيعرف موضع الفصل فيها من موضع الوصل، ثم يعرف فيما حقه الوصل ، وموضع الواو من موضع الفاء ، وموضع الفاء من موضع ثم ، وموضع أو من موضع أم، وموضع لكن من موع بل . ويتصرف في التعريف والتنكير، والتقديم والتأخير في الكلام كله، وفي الحذف والتكرار، والإضمار والإظهار، فيضع كلا من ذلك مكانه ، ويستعمله على الصحة وما ينبغي له.[1].

ويظهر بوضوح القاسم المشترك الذي يجمع بينها ، وهي المحاولة المستمرة لإظهار أوجه الإعجاز، ومرتكزات ن متباينة ، مما أدى إلى التمايز حول العنوان، أو الاختلاف في اختياره ، فهذه الدراسات جاءت تحت عنوانين لا ثالث لهما ، إعجاز القرآن ، ونظم القرآن ، وهي تشترك حول الكشف عن الإعجاز القرآني ، ويمثل هذا أمرا عاما .

[1] الجرجاني، دلائل الإعجاز: 82.

وارتكازا على ما سبق، يتحدد العنوان الآخر نظم القرآن، الذي يدل بوضوح على المجال الأساسي لبحث قضية الإعجاز، وأن البحث في هذه القضية، إنما هو بحث بلاغي نحوي، منه المنطلق وإليه الرجوع.

و إن هذه المؤلفات يمكن أن تشتمل على معايير نصية وغيرها ، وإننا سنهتم بما ينتمي إلى هذا الجانب وسنقصي ما ليس منتميا إليه .

وتعتبر المعايير النصية من أهم المرتكزات التي اعتمدتها اللسانيات الحديثة ، والتي اقترحها " دي بوجراند" أساسا للنصية حيث يقول :"...وأنا أقترح المعايير التالية لجعل النصية"textuality"أساسا مشروعا لإيجاد النصوص واستعمالها...السبك (cohesion)، والالتحام(coherence)، القصد (intentionality)، الإعلامية(informativity...)[1] .

أ-مفهوم النص عند الجرجاني:

وقد تنبه الإمام عبد القاهر أن مجرد تتابع الألفاظ لا يشكل نصا " وإنك إن عمدت إلى الألفاظ فجعلت تتبع بعضها بعضا من غير أن تتوخى فيها معاني النحو لم تكن صنعت شيئا تدعى به مؤلفا، وتشبه ، وتشبه معه من عمل نسيجا أو وضع على الجملة صنيعا "[2]. وإن مجرد ضم الألفاظ بعضها إلى بعض أيضا لا يشكل نصا "إنه لو جاز أن يكون مجرد ضم اللفظ إلى اللفظ تأثير في الفصاحة لكان ينبغي إذا قيل (ضحك / خرج) أن يحدث من ضم خرج إلى ضحك فصاحة "[3]، بل ما يحصل من مجموع هذه الكلم كلها على مفهوم"إذن ليس للكلمة في انفرادها إلا مزية الرقم الثابت

[1] بوجراند، النص والخطاب والإجراء:69.

[2] الجرجاني، دلائل الإعجاز:371

[3] الجرجاني،المصدر نفسه:394

أما مزيتها الحقة ففي اجتماعها مع غيرها في صورة بيانية"[1] . ويشير عبد القاهر أنالنص يشكل كلا واحدا من خلال قوله " واعلم أن مثل واضع الكلام مثل من يأخذ قطعا من الذهب أو الفضة فيذيب بعضها في بعض حتى تصير قطعة واحدة "[2] ، أي أن النص يشكل وحدة دلالية ويؤكد ذلك من خلال تعليقه على بيت بشار بن برد:

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

فأنظر الآن ما تقول في اتحاد هذه الكلم التي هي أجزاء البيت؟

وهو نفس المفهوم الذي نجده عند هاليداي ورقية حسن في حديثهما عن الوحدة الدلالية في النص، كما يظهر عنده أيضا مصطلح النسيج ففي هذه القطعة نراه يتحدث عن ذلك " ولذلك كان عندهم نظيرا للنسج والتأليف والصياغة والبناء والوشي والتحبير وما أشبه ذلك"[3] ، وهذا لا يتحقق إلا عن طريق العلاقات التي تكون بين الكلم . وعبر عن ذلك بقوله لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض ، ويبنى بعضها على بعض ، وتجعل هذه بسبب من تلك[4].

ب-المفاهيم والتصورات الكبرى المؤسسة للإعجاز القرآني وعلاقتها بنحو النص

تطلب النظر إلى النصوص على تنوعها علما أطلق عليه نحو النص، وهو علم يعنى بتقديم تفسير أوسع ورؤية أكثر إقناعا، مما هي عليه في النحو نحو الجملة ، إذ يهتم بما هو أكثر شمولية وعمومية فيما يرتبط بالأشكال التي يتيحها النص.

[1] محمد عبد الواحد حجازي، أثر القرآن الكريم في اللغة العربية: السنة الثالثة – الكتاب الثالث والأربعون، سلسلة البحوث الإسلامية، مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، مصر، ذو القعدة 1391 هـــــ، ديسمبر 1971م ، 237

[2] محمد عبد الواحد حجازي، أثر القرآن الكريم في اللغة العربية:414

[3] الجرجاني، دلائل الإعجاز :49

[4] الجرجاني، hالمصدر نفسه:53.

وتجدر الإشارة إلى أن مصطلح النظم كان شائعا عند الباحثين في الإعجاز القرآني ، إلا أن عبد القاهر وسع المفهوم، وحاول أن يجعل منه نظرية تتطلب الفحص والدرس الأمر الذي أملى عليه في الدلائل أن يلح عليه ؛ لترسيخ فكرته حول هذه النظرية " النظم" أو لتعانق الجانب السطحي مع الجانب الدقيق لإظهارتلك الصورة التي تنطبع في النفس على ما ذهب إليه الخطابي والرماني . وفي محاولة الجرجاني تقدم تفسيرات جديدة روحية لتلك الأفكار الواردة لدى عبد الجبار،وقد حاول الجرجاني أن يقدم تفسيرا لمعنى الضم الذي ورد عند عبد الجبار بأنه توخي معاني النحو، وحين فسر عبد القاهر نص عبد الجبار علق عليه د. عبد الفتاح لاشين بقوله : أن الجرجاني نقل جزءا وترك آخرا . والذي يعنينا ما استعمله الجرجاني " النظم " خلافا للمعتزلة التي استعملت " اللفظ والمعنى " والذي يمكن أن نفيده من " النظم " إنما يشتمل على مصطلحين :

الأول: الجانب اللفظي ويتمثل في اللفظ، واللفظ إنما يتضمن حقيقة الجانب المتمثل في ظاهر النص .

الثاني :الجانب المعنوي، ويرتبط بشبكة من العلاقات المتداخلة ويؤدي تناسق هذين العنصرين إلى تناسق المضمون وتوازي المعنى .

ولعل هذه الرؤية لمفهوم النظم تتفق وما خلص إليه د. منير سلطان :أن النظم يؤدي إلى المعنى، وإلى معنى المعنى،أي المعاني الإضافية، والنظم ومعانيه ، إنما هي معاني النحو [1]، فإن المعنى المباشر، إنما يفاد من التركيب النحوي أي التتابعات الجملية، في حين يأتي المعنى الثاني أي المعاني الإضافية من النظم ، وبالتالي تتفق هذه الرؤية مع ما خلصنا إليه من أن النظم ، إنما يشتمل على الجانبين معا اللفظي والدلالي ، أو بتعبير آخر معاصر : السبك والحبك ، وقد

[1] منير سلطان، إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة، 137.

لمح د. درويش الجندي تلك العلاقة بين بنية السطح وبنية العمق ، فقال : ولما كان النظم اللفظي دليلا على النظم المعنوي ، وكانت الصورة المعنوية ، لا يمكن الاستدلال عليها ، إلا بالصورة اللفظية التي هي في حقيقة الأمر ظل لتلك الصورة المعنوية ، أطلق القدماء اللفظ ، ونسبوا إليه المزية ، وهم يعنون ما يدل عليه اللفظ من تلك الصورة المعنوية[1] ،وقد كان محور الإشكالعندهم، أيهما أصل الإعجاز : اللفظ أم المعنى أم كلاهما معا ؟، ومن ثم نرى الجرجاني يعرض لها من خلال طرح جديد يصلها بالجانب الروحي .

إن الذي أفاده عبد القاهر الجرجاني من الجاحظ إفادة صريحة أنه لا الألفاظ ولا المعاني لها قيمتها في نفسها ، وإنما القيمة الحقيقية في تفاعل هذين العنصرين معا ، ومن خلال ما أطلق عليه عبد القاهر بنظرية النظم" على أن يكونا مضمومين على طريقة " معاني النحو ".

وهذه الرؤية التي يمكن أن تنتمي في إطار المفهوم النصي لها ، أوردها د.غنيمي، ذلك أن الصياغة تكمن في علاقة الألفاظ بعضها ببعض ، وهو ما يطلق عليه الجرجاني بالمعنى الجزئي أي معاني النحو. أما ملائمة الصياغة لتصوير المعنى هو ما نطلق عليه الجانب الداخلي العميق.

وإن قضية النظم " التي اكتسبت معنى جديدا ، خلافا لما جاء قبله ن صحيح هو مسبوق إلى ذلك ، كما يقرر هو [2]، إلا أنه قد جعل منها نظرية عليها المعول،[3] في ربط البنية السطحية بالبنية العميقة ، وتبتدئ هذه الرؤية ، حين نقل عن المبرد فروق الخبر، حين سأله الكندي. ليتبين أن النظم مشتمل على الاثنين معا، وان اختلاف المعنى مترتب على اختلاف النظم، ومن ثم فهو كمال يقول أحد الباحثين

[1] د. درويش الجندي، نظرية عبد القاهر في النظم : 117.

[2] الجرجاني، المصدر السابق: 63.

[3] ينظر: د. البدراوي زهران، عالم اللغة عبد القاهر الجرجاني : 165-174.

: خلق من هذه الإشارات العابرة نظرية بلاغية كبرى ، احتوت البلاغة كلها ، حتى أصبحت تصب في النظم ، ولا تخرج عنه ، ولا ينبغي أن تدرس منفصلة دونه.

على أننا نلحظ أن عبد القاهر فيالدلائل يسوي بين النظم ومعاني النحو دون أن يجعل من معاني النحو وأحكامه مما بين الكلم حتى لا تراد في جملة ولا تفصيل ، خرجت الكلمة المنطوقة بضها في أثر بعض في البيت من الشعر ، والفصل من النثر عن أن يكون لكونها في مواضعها التي وضعت فيها موجب ومقتضى [1].

ما يمكن أن نعرفه، مثبتين على تلك الرؤية السابقة، أن النظم إنما يحتوي على عنصرين يكمل كل منهما الآخر ، ودليلنا على ذلك أن "معاني النحو " المعادل الموضوعي للنظم ، وهو يحتوي على عنصرين : الأول : عنصر معنوي يتمثل في المعاني .

الثاني : عنصر لفظي ، يتمثل في الجانب النحوي الظاهري .

وهكذا تتكامل وتتداخلالجمل من خلال هذين العنصرين، ويأتي الكلام متسقا، منتجا فيما أرى نظرية النظم التي خلص إليها.

وأرى بأن رؤية الجرجاني للنظم ليست سكونية، بمعنى أن معناه دينامي متحرك، فيأتي النظم في حروف الكلام ، يقول الجرجاني: وأما نظم الكلام ، فالأمرليس فيه كذلك، لأنك تقتضي في نظمها آثار المعاني، وترتيبها على حسب ترتيب المعاني في النفس ن فهو إذن نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض ، وليس هو النظم الذي معناه ضم الشيء إلى الشيء كيف جاءا واتفقا [2].وتؤكد هذه الرؤية لدى الجرجاني، أن النظم يؤدي " معاني النحو " غير أنه جعل من

[1] الجرجاني، دلائل الإعجاز: 303

[2] الجرجاني، المصدر نفسه: 40.

النظم نظرية أعم وأشمل من " معاني النحو "الأخص، وبالتالي يندرج تحته عدد من المعاني النفسية واللفظية ليؤكد بأن النظم يضم الجانبين معا.

وبالتالي فإن النظم يرتبط بالجانب التركيبي / الجملة أو ما فوق الجملة وما يتعلق بالفقرة وعلاقات الجمل بعضها ببعض ، ثم علاقة كل ذلك بالنص أو ما في حكمه.. ومن هنا نرى الجرجاني يعرفه بأنه " توخي معاني النحو في الكلم ، وأن توخيها في متون الألفاظ محال "[1]. وبالتالي فإن وجود النظم من خلال التركيب ، إنما يجعله ضمن شبكة من العلاقات الخارجية والداخلية ، تتفاعل فيما بينها لانسجام بنيات النص : واعلم أنك إذا رجعت إلى نفسك علمت علما لا يعترضه الشك ، أن لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض ، ويبنى بعضها على بعض وتجعل هذه بسبب من تلك [2]. ويلح الإمام في مواضع متفرقة على تقديم جوانب نيرة لتفسير معنى النظم ، محاولا في الوقت ذاته التأكيد على تلك المعاني التي يريد أن يثبتها في ذهن المتلقي.

وعبد القاهر في تحليله للعلاقات النحوية يميل إلى ربطها بالمتلقي ، بل يجعل مهمة الناظم هادفة إلى إيصال المعنى إلى السامع باعتبار تواجده في عملية النظم تواجدا ظاهرا وجليا فيقول :" وليت شعري هل يتصور وقوع قصد منك إلى معنى كلمة من دون أن تريد تعليقها بمعنى كلمة أخرى ، ومعنى القصد إلى معنى الكلم أن تعلم السامع بها شيئا لا يعلمه ، وملوم أنك أيها المتكلم لست تقصد أن يعلم السامع معاني الكلم المفردة التي تكلم بها ، فلا تقول خرج زيد

[1] الجرجاني، دلائل الإعجاز:276.

[2] الجرجاني، المصدر نفسه:12.

لتعلمه معنى (حرج في اللغة) ومعنى (زيد) كيف ، ومحال أن تكلمه بألفاظ لا يعرف هو معانيها كما تعرف"[1].

ويمكن تأكيد هذا المفهوم لدى عبد القاهر الجرجاني إذا ما رأيناه يربط الصياغة بالمتلقي ، ويجعل تغير هذه الصياغة مرهونا بالحالة الإدراكية له ، ويحتج على ذلك بالحوار الذي دار بين أبي العباس والكندي الذي قال : إني لأجد في كلام العرب حشوا ، فقال له أبو العباس : في أي موضع وجدت ذلك ؟ فقال : أجد العرب يقولون : عبد الله قائم ، ثم يقولون :إن عبد الله لقائم ، فالألفاظ متكررة والمعنى واحد .فقال أبو العباس : بل المعاني مختلفة لاختلاف الألفاظ ، فقولهم : عبد الله قائم إخبار عن قيامه ، وقولهم :إن عبد الله لقائم ، جواب عن سؤال سائل ، وقولهم :إن عبد الله لقائم : جواب على إنكار منكر قيامه ، فقد تكررت الألفاظ لتكرر المعاني [2]

ومجمل القول أن النظم لا يعني الاهتمام بحركات الإعراب ، بقدر ما يعني العلاقات المتبادلة بين الفعل والفاعل والمبتدأ والخبر ، ليس العلاقات الظاهرية ، وإنما العلاقات الداخلية ، الذي تتجلى في عالم النص ، ولم تقتصر العلاقة بين الجملة والأخرى ، وإنما بين الجمل بعضها ببعض وبين الفقرات ، كل ذلك في علاقة متناسقة منتظمة تجمع أطراف الكلام ، وتجسد ذلك في عدد من القرائن اللفظية التي ترتبط بجوانب تحتية بحتة ، كالتقديم والحذف والفروق في الخبر والحال ، ومواضع الربط ، وقضايا تتعلق بإنماوإن ، وقد وجه الجرجاني هذه القضايا توجيها فريدا وإبداعيا، غير أننا ينبغي أن نقرر أن رؤية الجرجاني ، في هذه التحليلات لم تكن نهائية .

[1] الجرجاني، دلائل الإعجاز: 73.

[2] الجرجاني،المصدر نفسه، ص: 375.

ويكشف الجرجاني في تلك العلاقات القائمة بين الجمل بقوله : والكلم ثلاث :اسم وفعل وحرف ، وللتعلق فيما بينهما طرق معلومة، وهو لا يعدو ثلاثة أقسام ، تعلق اسم وتعلق اسم بفعل ، وتعلق حرف بهما، فالاسم يتعلق بالاسم بأن يكون خبرا عنه ، أو حالا منه، أو تابعا له ، صفة أو تأكيدا أو عطف بيان أو بدلا، أو عطفا بحرف، أو بأن يكونالأول مضافا إلى الثاني، أو بأن يكون الأول يعمل في الثاني عمل الفعل، ويكون الثاني في حكم الفاعل له أو المفعول [1].

ويوضح الجرجاني في مثل هذا النص العلائق الخارجية والداخلية. وهناك رؤية لنا تثبت على أن النظم يضم اللفظ والمعنى معا، إذ البديع عنده لا يستقل باللفظ، وإنما يذوب داخل النظم.

فالجرجاني لا يرجع الإعجاز إلى قضايا جزئية ، فليس مرجعه إلى الكلمة ولا البديع .. الخ ، وإنما إلى كل ماهو عام إنه النظم.

إن ما قدمه الجرجاني، وعرف بنظرية النظم كما وضحت التحليلات السابقة ، فإن ثمة عددا من المفاهيم ، كالتلاؤم والنظم والتأليف والتآلف وانسجام النص، كلها قضايا مهمة تنتظم في عدد من العلاقات الظاهرة والخفية لحبك وسبك أجزاء النص عند عبد القاهر ومن تبعه في الإعجاز القرآني.

[1] الجرجاني، دلائل الإعجاز:المدخل.

ج-مفاهيم ومعايير النصية لدى الجرجاني:

عرف الأستاذ سعد مصلوح النص بأنه حدث تواصلي يلزم لكونه نصا أن تتوافر له سبعة معايير للنص مجتمعة،ويزول عنه هذا الوصف، إذا تخلف واحد من هذه المعايير[1].

وانطلاقا من هذا التعريف جعلت النصية مشروعا لإيجاد النصوص واستعمالها ، فهي بمثابة قواعد ،وقد استنبط كل من روبرت " دي بوجراند" و"دريسلر"(ROBERT DE BEAUGRANDE ET WOLFGANG DRESSLER) هذه المعايير وإن كانت إحدى هذه المعايير غير محققة فإن النص يعد غير اتصالي ، وهذه المعايير منها ما ، يتصل بالنص ومنها ما يتصل بالمتلقي .

[1] سعد مصلوح، نحو أجرومية للنص الشعري" دراسة في قصيدة جاهلية،ص :154..

المبحث الأول:مايتصل بالنص في ذاته:

1-1-معيار الانسجام "cohesion(التلاؤم /التأليف) ودورهما في حبك النص:

يختلف الدارسون العرب المهتمون ب"علم لغة النص" في قضية ترجمة المصطلحين الأجنبيين" "cohesion)و(coherence) ويمكن أن يصنف هذا الاختلاف بحسب الجدول الآتي[1] :

المصطلح	الترجمة بالعربية	الباحث
cohesion	السبك	سعد مصلوح، محمد العبد، تمام حسان
	التضام	تمام حسان، إلهام أبو غزالة
	التماسك	محمد خطابي، فالح بن شبيب العجمي
	الربط النحوي	سعيد بحيري
coherence	الحبك	سعد مصلوح، محمد العبد
	الانسجام	محمد خطابي، صلاح فضل
	التماسك	سعيد بحيري
	التناسق	فالح بن شبيب العجمي
	الاتساق	تمام حسان
	التقارن	إلهام أبو غزالة

وذكر بعض الدارسين ترجمة الالتحام للمصطلح(cohesion)، وذكر الترجمة ذاتها للمصطلح الآخر"coherence"[2]. ومما يستوجب التنبيه إليه أن علماءنا القدماء كانوا على وعي بمعياري وأساسي النصية، الذي يهتم أحدهما بالناحية الشكلية للخطاب

[1]ينظر: د.أشرف عبد البديع عبد الكريم، الدرس النحوي النصي في كتب إعجاز القرآن:108.

[2]ينظر: د.أشرف عبد البديع عبد الكريم ، المرجع نفسه:141.

أو النص، ويعني الآخر بالناحية الدلالية، فضلا عن دعوتهم إلى وجوب الانسجام بين الناحيتين الشكلية والدلالية[1].

وهو أحد أهم المعايير النصية التي وقف عندها علماء النص، ويعد مبحث العلاقات الدلالية التي تربط بين وحدات النص الجزئية لتشكيل الوحدة النصية الكلية لنص ما ، من أهم مباحث الحبك المعنوي للنص.وعبد القاهر الجرجاني في تناوله لوجوه ربط أجزاء الكلام ، أورد مصطلح المزاوجة على رأس الوجوه التيس يتحد بواسطتها الكلام، ولا تحدث قطيعة بينهما.وإذا كان الاتساق هو ذلك الترابط الشكلي والأفقي للنص، فإن الجرجاني قد كان سابقا إليه ، وذلك من خلال نظريته للنظم ، إلا أن ذلك الترابط لم يكن معروفا عنده بمفهوم الاتساق ، فالمتأمل في فكر الجرجاني وذلك من خلال مؤلفاته يجد أنه لا يتحدث عن الاتساق جملة وإنما يبينه من خلال مراحل سنحاول تقصيها فيما يلي:

المرحلة الأولى : وهي التعليق فهو يشترطه في الكلم لكي تؤدي معنى يجب أن تتعلق في ما بينها وتكون بينها روابط تجمعها ، فيقول :" معلوم أن ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض وجعل بعضها بسبب من بعض"[2]،إذن فإم إنتاج جملة أو نص يكون بضم الكلمات بعضها إلى بعض بشرط أن تكون متعالقة فيما بينها ، بحيث تكون الثانية بسبب من الأولى والأولى تستدعي الثانية ، وهنا يكمن التماسك ؛ فتشكل لنا وحدة موحدة..

المرحلة الثانية: وتكون بترتيب الألفاظ في النظم (النص) حسب ترتيب معانيها في النفس؛ حيث يقول في ذلك:" واعلم أن ما ترى أنه لابد منه من ترتيب الألفاظ وتواليها على النظم الخاص ليس هو الذي طلبته بالفكر، لكنه شيء يقع بسبب الأول ضرورة

[1] ينظر: محمد العبد، حبك النص، بحث منشور في فصول،العدد59 ربيع 2002م:62.

[2] الجرجاني، دلائل الإعجاز : المدخل.

من حيث أن الألفاظ إذا كانت أوعية للمعاني فإنها لا محالة تتبع المعاني في مواقعها ، فإذا وجب لمعنى أن يكون أولا في النفس،. وجب للفظ الدال عليه أن يكون مثله أولا في النطق "[1]، ومن هنا فإن الجرجاني يؤكد على تعلق المعاني فيما بينها وترتيبها في النفس ثم تأليفها على شكل نص ، يكون مرتبا وفق ترتيب المعاني في الذهن.

هذا الترتيب الذي يقول به الجرجاني هو أساس التماسك بين الألفاظ في التركيب ، سواء أكان جملة أم نصا كبيرا . حيث أن هذا التماسك الذي يتحدث عنه الإمام ليس تماسكا معجميا ، أو دلاليا فقط ن وإنما هو تماسك ناتج عن تفاعل النحو مع الدلالة ، وهو ما يسوغ ما يصنعه الكتاب حين يجعلون المبتدأ في أول السطر ثم يأتي الخبر لاحقا آخر السطر ،أو ربما في سطر ثان، وهذا ما يساهم في اتساق النص.

المرحلة الثالثة: وهي توخي معاني النحو في " الكلم" وهذه المرحلة تمثل النقطة الجوهرية التي ركز عليها الجرجاني في جل نظريته الاعجازية ، والتي تكمل المرحلتين السابقتين وبدونها فلا معنى لهما في رأي الإمام حيث تكون من خلال إعمال وإتباع معاني النحو وقوانينه ، فيقول:" واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو ، وتعمل على قوانينه وأصوله ، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها ، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها "[2]، فهو هنا يؤكد على دور معاني النحو في إحداث اتساق النص، ولتوضيح ذلك يضرب لنا مثالا من خلال قول بشار بن برد:

[1] الجرجاني، دلائل الإعجاز:43

[2] الجرجاني،المصدر نفسه :64.

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه[1]

ويعلق عليه عبد القاهر بقوله :"وانظر هل يتصور أن يكون بشار قد أخطر معاني هذه الكلم بباله أفرادا عارية من معاني النحو التي تراها فيها ، وأن يكون قد وقع "كأن" في نفسه من غير أن يكون قصد إيقاع التشبيه منه على شيء ، وأن يكون فكر في منار النقع من غير أن يكون أراد إضافة الأول إلى الثاني ، وفكر في فوق رؤوسنا من غير أن يكون أراد أن بيف فوق إلى الرؤوس، وفي الأسياف من دون أن يكون أراد عطفها بالواو على مثار وفي الواو من دون أن يكون أراد العطف بها ، وأن يكون كذلك فكر في الليل من دون أن يكون أراد أن يجعله خبرا لكأن ، وفي تهاوى كواكبه من دون أن يكون أراد أن يجعل تهاوى فعلا للكواكب ثم أن يجعل الجملة صفة لليل "[2]، من خلال هذا النص الثمين الذي أورده الجرجاني في تحليله لبيت بشار فإنه يعتمد على النحو و ويبين دوره في إحداث تماسك أجزاء البيت ، وهذا التماسك هو ما يبحث فيه النحو النصي في ظل الاتساق.

والتماسك مصطلح مترجم عن الانجليزية (cohesion)، وقد وقع في ترجمته بعض التعارض والاختلاف كالعادة في عملية انتقال المصطلحات العلمية مترجمة إلى العربية؛ فيترجمه محمد الخطابي إلى الاتساق [3] في حين يترجمه تمام حسان إلى السبك [4].، وينقله أحمد عفيفي مترجما إلى ثلاث مصطلحات معطوفة بأوالتنويع هي: "السبك ، أو الربط ،أو التضام .وإلى هنا قد يكون الأمر مقبولا في هذه الفوضى المصطلحية ، ولكن أحمدعفيفي ينقل مصطلحا آخر هو (coherenc)إلى الحبك أو

[1] الجرجاني، لمصدر نفسه:315.

[2] الجرجاني، المصدر نفسه :315

[3] محمد خطابي : لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ،ص:5و6

[4] روبرت دي بوجراند،النص والخطاب والإجراء:10.

التماسك، أو الانسجام،أو الاتساق"[1] وهنا تتداخل ترجمة المصطلحين، بل أنالمصطلح الأول الذي عرف بالتماسك أو الاتساق قد انتقلت ترجمته إلى المصطلح الثاني.

ومنه فلابد لكل نص من أن يتوافر فيه شرط التماسك الدلالي كي يمكن وصفه بالنصية ، بل إن مقاربة هذا التماسك هي الخطوة الفعلية في تحليل النص " ذلك أن التماسك الشكلي بروابطه المتعددة لا يمكن أن يكفي وحده ، ولا يمكن أن يشكل تماسكا،أو وحدة في الخطاب"[2].والسبك أو التماسك الذي تحدثه العناصر اللغوية (كلمة – عبارة–جملة) في النص بوصفها عناصر معجمية . ويتم ذلك عن طريق علاقتين نصيتين هما: التكرير reiteration)(، والتضام(collocation) [3]

وتخضع عوامل الربط بين الجمل والعبارات التي يتركب منها الكلام شعرا ونثرا لما يتطلبه السياق، أو الموضع، ومن هذا الذي يشتمل عليه السياق : المعنى والموضوع . يقول: واعلم أن ليست المزية واجبة لها في نفسها ، ومن حيث هي على الإطلاق ، ولكن تعرض بسبب من المعاني والأغراض التي يوضع لها الكلام، ثم بحسب موقع بعضها من بعض، واستعمال بعضها مع بعض .فالتنكيرلا يروق في كل مقام ، والتقديم لا يروق في كل مقام ، وليس من فضل أو مزية لشيء من ذلك إلا بحسب الموضع ، وبحسب المعنى"[4] وقد يظن القارئ أن ما أتي به الجرجاني يخص الألفاظ التي يعني بها التراكيب .لأن الحكم في نظره ، وهل هو مبين أو غير مبين ، لا يعتمد على النظر في الألفاظ المفردة ، فالألفاظ المفردة موقعها المعجم ، وإنما يقوم على "النظر في الجمل التي تسرد ن ليعرف موضع الفصل منها من

---

[1] أحمد عفيفي، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي:58

[2] ا د. جمعان بن عبد الكريم ،النص –المداخلة أنموذجا –دراسة لسانية نصية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الأولى 2009: 223.

[3] د.أحمد عزت يونس، العلاقات النصية في لغة القرآن الكريم، دار الآفاق العربية، القاهرة ، مصر،ط1 2014م : 87.

[4] الجرجاني، دلائل الإعجاز الجرجاني: 64-65.

موضع الوصل ، ثم يعرف ما حقه الوصل موضع الواو من موضع الفاء ، وموضع الفاء من موضع ثم ، وموضع أو من موضع أم ، وموضع لكن من موضع بل . ويتصرف في التعريف والتنكير ، والتقديم والتأخير في الكلام كله ، وفي الحذف والتكرار والإضمار ، والإظهار ، فيضع كلا من ذلك مكانه ، ويستعمله على الصحة ، وعلى ما ينبغي له "[1].

ويؤدي التأمل في هذا القول إلى الكشف على أنه يعتبر العلاقات الواقعة بين الجمل علاقات وليدة السياق ، والمعنى. وكأنه بذلك يؤكد أن الأدوات تستمد وظيفتها في الربط من مضمون الخطاب. وهو مضمون يتأسس على فهم المعاني الجزئية المبثوثة في النسيج اللفظي الذي يضم بعضه إلى بعض كما تضم خيوط الإبرسيم بعضها إلى بعض، وفقا لغرض الحائك، ووفقا لما تفرضه عليه غايته من الثوب . يقول " حال الكلم في ضم بعضها إلى بعض ن وفي تخير المواقع لها ، كحال الإبرسيم سواء ، لا يكون الضم فيها ضما ، ولا الموقع موقعا ، حتى يكون قد توخى فيها معاني النحو. وإنك إن عمدت إلى ألفاظ فجعل تتبع بعضها بعضا من غير أن تتوخى فيها معاني النحو، لم تكن صنعت شيئا تدعي به مؤلفا، وتشبه معه بمن عمل نسجا ، أو صنع ، على الجملة ، صنيعا ، ولم يتصور أ ن تكون قد تخيرت لها المواقع "[2].

وهذه الأفكار والآراء، إذا نحن دققنا فيها النظر، رأيناه لا يأخذ الكلام المبين باعتباره متناثرا، وإنما هو نسيج محكم، يتحكم فيه الموضوع ، ويتحكم فيه المعنى ، وهو الذي يجعل الجمل المؤلفة له آخذا بعضها برقاب بعض .فلا يمكن في رأيه أن ينطق المتكلم بالألفاظ والمعاني بعضها في إثر بعض من غير أن يتعلق المتأخر منها بالمتقدم ، أو المتقدم منها بالمتأخر . والتعليق الذي يربط الجملة بالأخرى

[1] الجرجاني ، دلائل الإعجاز،ص: 283.

[2] الجرجاني، المصدر نفسه:360.

تعليق نابع من المعنى ، مثلما تقدم ، لا من اللفظ من حيث هو لفظ . إذ لو كانت الألفاظ يتعلق بعضها ببعض من غير مراعاة للمعنى، لوجب ألا يفترق حالها في الائتلاف عن حالها في الاختلاف[1]

وهذه دلائل منطقية يذكرها الجرجاني لإقناعنا بأن الكلام الواضح لا ترسل الجمل فيه إرسالا من غير قواعد تجعل المتقدم منها مرتبطا بسبب من المتأخر. وهو في باب الفصل والوصل من كتابه سالف الذكر ، وفي أبواب أخرى ، يتطرق لأدوات تجعل من هذه الجمل جملا متداخلة مثل حلقات السلسلة. ولا بد في كل من الأدوات التي يلجأ إليها الناظم ، أو الناثر ، أو المتكلم ، من أن يسوقها سوقا يراعي فيه وحدة الغرض. وقد تطرق تبعا لذلك للعطف من حيث هو أداة ربط . وتطرق إلى الإحالة بالضمير ، وإلى الموصول ، والقطع والاستئناف ، أي ترك العطف ن والتنكير أي ترك التعريف ن والإضافة والتكرار ، بأنواعه ، وتغيير الرتبة بتقديم ما حقه التأخير ن والحذف الذي له من الأثر ، في ربط الجمل، مثل ما للذكر، واستخدام فاء الجزاء لربط جملتين تتعلق إحداهما بالأخرى .

ويقول الجرجاني:" فأما أن تتصور في الألفاظ أن تكون المقصودة قبل المعاني بالنظم والترتيب وأن يكون الفكر في النظم الذي يتواصفهالبلغاء فكرا في نظم الألفاظ ...فباطل من الظن ووهم من يتخيل إلى من لا يوفي النظر حقه"[2]. إن كلام الجرجاني واضح بما لا يقبل الشك والتأويل حول طبيعة التركيب المعنوية ، خصوصا وأنه ينظر إلى معنى التركيب على أنه وحدة متماسكة وبنية منتظمة لا انفصام فيها، فالمفهوم " من مجموع الكلم معنى واحد لا عدة معان وهو إثباتك زيدا فاعلا ضربا لعمرو في وقت كذا وعلى صفة كذا ولغرض كذا ، ولهذا المعنى تقول

[1] الجرجاني ، دلائل الإعجاز:172.

[2] الجرجاني، المصدر نفسه : 34.

إنه كلام واحد"[1].وحين تكون طبيعة التركيب معنوية ، فما هي علاقة التركيب بالألفاظ؟ أو كيف يتم نقل المعنى المرتب في النفس، المؤلف وحدة متماسكة إلى الآخرين ؟ فيقول الجرجاني :" إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك لم تحتج إلى أن تستأنف فكرا في ترتيب الألفاظ بل تجدها تترتب لك بحكم أنها خدم للمعاني وتابعة لها ولاحقة بها "[2]، وأن العلم بمواقع المعاني في النفس ، علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها في النطق"ف"الألفاظ أوعية للمعاني "[3]فالعلاقة بين المعاني والألفاظ علاقة توحد وتماسك واحتواء .

ويعتبر الجرجاني أن الكلام معنى قائم في النفس في تحديد المزية التي يقوم عليها الإعجاز ، فيرفض أن تكون في اللفظ ليخلص إلى نتيجة مفادها أن المزية" من حيز المعاني دون الألفاظ ، وأنها ليست لك حيث تسمع بأذنك ، بل حيث تنظر بقلبك وتستعين بفكرك ، وتعمل رويتك وتراجع عقلك ، وتستنجد في الجملة فهمك "[4].والجدير بالذكر هنا أن الجرجاني فسر لنا البلاغة العربية تفسيرا دقيقا يربطها بالمعنى اللغوي لكلمة بلاغة وتوجز في القدرة على التعاطي مع اللغة بطواعية متناهية ، بعيدا عن كل ما علق بها من تفاسير تتأسس على التنميق والتحسين الخارجي.

ولم يكتف الجرجاني بجعل السر والمزية من حيز المعاني، ولكنه قدمها في الوجود وفي المقام الأول .ذلك "أنك إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك لم تحتج إلى أن تستأنف فكرا في ترتيب الألفاظ بل تجدها تترتب لك بحكم أنها خدم

[1] الجرجاني، دلائل الإعجاز: 316-317.

[2] ا لجرجاني، المصدر نفسه:44

[3] الجرجااني، المصدر نفسه:43.

[4] الجرجاني، المصدر نفسه:51.

للمعاني وتابعة لها ولاحقة بها ، وأن العلم بمواقع المعاني في النفس ، علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها في النطق "[1]

الوصل والفصل :

يعد الفصل والوصل من مظاهر اتساق النص وانسجامه . وهي ظاهرة ذات إمكانات أسلوبية كبيرة لاعتمادها على الأدوات الرابطة التي يطلق عليها حروف المعاني . والتي تجاوز بها البلاغيون ما تؤديه من وظيفة نحوية إلى قضايا أخرى تتصل بالمقام والسياق. وذلك من خلال قدرتها البينة على الربط بين الجمل والمفردات فالجرجاني فقد جعل مسألة الوصل والفصل محكومة بمجموعة من المبادئ والأسس التي تجعل من هذه الظاهرة تجليا حقيقيا لاتساق النص، وأول هذه الأسس الأساس النحوي . فالجرجاني ينطلق من مجموعة من القواعد والضوابط النحوية التي شكلها النحاة من أجل تقييد وضبط العطف(كامتناع ذكر الواو بين الوصف والموصوف ، أو بين التأكيد والمؤكد ، أو امتناع ى عطف جملة على أخرى لا محل لها من الإعراب ، وتمييزهم بين عطف المفرد على المفرد وعطف الجملة على الجملة ، واستثماره لهذه المعطيات قصد مقاربة الفصل والوصل بلاغيا ، فالجرجاني ينظر إلى حالتي فصل الجمل انطلاقا من المفرد معمما أساسه على كل الجمل وصلا وفصلا ، وحين ينفلت عطف الجملتين من قاعدة المفرد يجتهد لتبريره بمبدأ غير نحوي، وأما الأساس الثاني الذي ينطلق منه ، فهم مجموعة من المبادئ المعنوية مثل معنى الجمع ، والتضام النفسي بين الجملتين ، والتضام العقلي ، ومن الأسس كذلك قياس الشرط والجزاء ، وكذلك التأكيد وهو رابط غير شكلاي ، ووفقا له يعد تأكيد جملة لأخرى وسيلة مهمة من وسائل الخطاب رغم أن كيفية الاتصال معنوية غير معتمدة على رابط شكلي . ومن أمثلته في القرآن الكريم الآية من سورة لقمان :"

[1] الجرجاني، دلائل الإعجاز:44

وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقرا "[1] 1 فإن التشبيه الثاني لم يعطف على الأول" لأن المقصود من التشبيه هو التوكيد" [2] . فهذا هو الرابط في نظر الجرجاني ، ومن المبادئ التي تحكم فصل النص أو وصله هو صيغة ذلك الخطاب .فإن كانت الصيغة متماثلة حكاية أو خبرا وصل ، وإن كانت غير متماثلة فصل. ومن دواعي فصل الكلام عن كلام آخر سابق وجود سؤال مقدر غير واضح في سطح النص، والذي يدعو إلى تقدير هذا السؤال هم بنية النص على شكل زوج مكون من سؤال مقدر وجواب ظاهر جلي. يقول الجرجاني :" وجاء ذلك والله أعلم على تقدير السؤال والجواب كالذي جرت به العادة بين المخلوقين "[3]. وغني عن البيان أنه لم يربط رابط شكلي مابينالسؤالالمقدر والجواب في النص القرآني السابق، ولكن النص مع ذلك منسجم بالنسبة للمتلقي. ويختتم الجرجاني وصفه للفصل والوصل بقوله :" وإذا عرفت هذه الأصول والقوانين في شأن فصل الجمل ووصلها ، فاعلم أنا حصلنا من ذلك على أن الجمل على ثلاثة أضرب :

أ-جملة حاله مع التي قبلها حالا لصفة مع الموصوف، والتأكيد مع المؤكد فلا يكون فيها العطف البتة.

فأداة العطف عند عبد القاهرمن الروابط التي لا يمكن الاستغناء عنها في وصل الجمل بعضها ببعض. وقد فرق بين الواو -وهي من أهم حروف العطف- والفاء التي توجب، فضلا عن الإشراك في الحكم ، الترتيب . وثم التي توجب الترتيب مع التراخي.وأو التي تفيد التخيير. ولكن وبل وكل منهما تفيد الاستدراك والإضراب. لكن الواو التي وظيفتها إشراك ما بعدها من الكلم في حكم ما قبلها ، لها من الاستعمال ما لا يطرد وهذا المعنى ، فنحن نقول مثلا : زيد قائم وعمرو قاعد والجملة الثانية ،

---

[1] لقمان: الآية1

[2] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز:179.

[3] الجرجاني، المصدر نفسه:186.

دون شك، معطوفة على التي قبلها مع أنها لا تشاركها في الحكم ، أو أن عمرا لا يشارك زيدا في القيام ، وهذا المثال لا يخلو من لطائف يدق إدراكها إلا على من وهب الفهم الثاقب " فنحن لا نقول ذلك حتى يكون عمرو بسبب من زيد ، وحتى يكونا كالشريكين أو النظيرين . وبحيث إذا عرف السامع حال الأول ، عناه أن يعرف حال الثاني [1] .

ولتوضيح ذلك يضرب الجرجاني مثلا لا يستقيم فيه العطف ، وهو قول أبي تمام الشاعر :

لا والذي هو عالم أن النوى صبر ، وأن أبا الحسين كريم [2]

فهذا المثال لا وجه فيه لصحة العطف، لأنه لا مناسبة بينكرم الممدوح أبي الحسن ومرارة النوى ، ولا تعلق لأحدهما بالآخر . وليس يقتضي الحديث بهذا الحديث بذاك[3]. والغريب ر الذي تنبه إليه عبد القادر ما جاء في كلامه على عطف الجملة على جملة أخرى بينهما جملة أو اثنتان تفصلان بين المعطوف، والمعطوف عليه ، وذلك فيه من تلاحم الجمل ما لا يخفى ، لأنه يجعل الكلام كأنما إفراغ السبيكة ، لا تستطيع أن تستغني عن شيء منه .

يرى عبد القاهر أن الجمل في العربية ثلاثة أنواع هي :

1-نوع تكون فيه علاقة الجملة الثانية بالأولى كعلاقة الصفة بالموصوف، وهذا النوع لا يحسن فيه العطف . لأن الشيء لا يعطف على نفسه .

[1] أبو تمام الطائي، ديوان أبي تمام بشرح التبريزي، دار المعارف،ذخائر العرب ، مصر ، بدون تاريخ ، 290/3.

[2] دلائل الإعجاز:173.

[3] البرقوقي، شرح ديوان أبي الطيب المتنبي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1986، 338/3.

2-ونوع ، حال الجملة الثانية فيه مع التي قبلها كحال الاسم يكون غير الاسم الذي قبله، إلا أنه يشاركه في حكم ، ويدخل معه في معنى ، مثل أن يكون كلا الاسمين فاعلا ، أو مفعولا ، أو مضافا إليه ، فيكون حقها العطف.

3-ونوع ثالث ، الجملة فيه ليست في شيء من الحالين ، وحق هذا النوع ترك العطف البتة ، لأن العطف لا يكون إلا فيما له حال بين الحالين .

ولا يفتأ الجرجاني يؤكد أن العطف لا يروق في كل سياق ، ولا يعذب في كل حين ، وقد يستحسن تركه والاستغناء عنه على ما فيه من الضرورة . وقد لا يؤدي تركه إلى افتراق الجمل والعبارات وتجريدها من الترابط، بل يبدو الكلام خاليا من العطف أشد ترابطا منه في وجوده .

ويعتبر الجرجاني ظاهرة الفصل والوصل أصعب وأدق مبحث في البلاغة كلها فيقول :" واعلم أنه ما من علم من علوم البلاغة أنت تقول إنه فيه خفي غامض ودقيق صعب إلا وعلم هذا الباب وأخفى وأدق وأصعب ..."[1]، والجرجاني خص لهما بابا في كتابه أسماه : باب الفصل والوصل ، وإن كان الجاحظ سبقه إلى ذلك في تعريفه للبلاغة بأنها " معرفة الفصل من الوصل"[2]، إلا أن الجرجاني تناول هذه القضية بطريقة علمية مضبوطة ومحددة مدركا بذلك مواضع الفصل والوصل ، ومفصلا أحكام كل منهما مستشهدا بالقرآن الكريم، وكلام العرب شعره ونثره[3].

حيث فرق الجرجاني بين الفصل والوصل من خلال معرفة مواطن ترك العطف (الفصل)، وذكره (الوصل) حيث قال :"اعلم أن العلم بما ينبغي أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض أو ترك العطف فيها

---

[1] الجرجاني، دلائل الإعجاز،:239.

[2] الجاحظ (ت225ه)، البيان والتبيين ، ج1:91.

[3] كريمة صوالحية، التماسك النصي في ديوان أغاني الحياة لأبي القاسم الشابي : ، دراسة أسلوبية-، مذكرة ماجستير إشراف عبد السلام ضيف، جامعة الحاج لخضر، باتنة ، :2010-2011م:14.

والمجيء بها منثورة تستأنف واحدة منها بعد أخرى من أسرار البلاغة"[1]؛ واضح من هذا النص أن الفصل والوصل لا يجتمعان في جملة واحدة فالوصل قائم على العطف، أما الفصل فقائم على الاستئناف[2].

ويفصل الجرجاني في ذكر أدوات الربط بقوله :" وينظر في الجمل التي تسرد فيعرف موضع الفصل فيها من موضع الوصل، ثم يعرف فيما حقه الوصل موضع الواو من موضع الفاء، وموضع الفاء من موضع ثم، وموضع أو من موضع أم ، وموضع لكن من موضع بل "[3].

وقد فرق الجرجاني بين أدوات العطف فيقول :" واعلم أنه إنما يعرض الإشكال في الواو دون غيرها من حروف العطف، وذلك لأن تلك تفيد مع الإشراك معاني: مثل أنم الفاء توجب الترتيب من غير تراخ، وثم توجبه مع تراخ وأو تردد الفعل بين شيئين ، لأحدهما لا بعيته ..وليس للواو معنى سوى الإشراك في الحكم الذي يقتضيه الإعراب الذي أتبعت في الثاني الأول. فإذا قلت جاءني زيد وعمرو لم تفد بالواو شيئا أكثر من إشراك عمرو في المجيء الذي أثبته لزيد والجمع بينه وبينه "[4].

وإذا كان الوصل يعني ضم الوحدات اللغوية أو التراكيب إلى بعضها بوساطة روابط العطف ، فإن الفصل ليس فك عملية الضم والتلاحم لشمل الوحدات اللغوية مؤلفة أساليب لغوية بغية تحقيق عملية التواصل اللغوي،إذ

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز :232.

[2] محمد سالم أبو عفرة، ا لسبك في العربية المعاصرة:141.

[3] عبد القاهر الجرجاني، المصدر السابق :123.

[4] الجرجاني، دلائل الإعجاز: 23.

أن بعض حالات الفصل يشتمل على قرينة التضام والترابط العطفية فهو وصل بغير العطف[1].

حيث انطلق الجرجاني من الأساس النحوي الذي يعني مجموعة مكن القواعد والقيود النحوية التي بلورها النحاة من أجل ضبط العطف كتمييزهم بين عطف المفرد على المفرد وبين عطف الجملة على الجملة...الخ، فقد قصد الجرجاني مقاربة الوصل مقاربة بلاغية غير أننا سنورد هذا الأساس موجزا غير مفصل [2]. وهذه القواعد تتمثل في :

أ-عطف المفرد على المفرد:

حيث يقول الجرجاني :" واعلم أن سبيلنا أن ننظر إلى فائدة العطف في المفرد ثم نعود إلى الجملة فننظر فيها ونتعرف حالها ، ومعلوم أن فائدة العطف في المفرد أن يشرك الثاني في إعراب الأول ، وأنه إذا أشركه في إعرابه فقد أشركه في حكم ذلك الإعراب ، نحو أن المعطوف على المرفوع بأنه فاعل مثله، والمعطوف على المنصوب بأنه مفعول به أو فيه أو له، شريك له في ذلك"[3]، فهو يرى أن فائدة وصل البنى المفردة (المفردات) بأنها تعمل على مشاركة المعطوف للمعطوف عليه في الوجه الإعرابي و الوظيفة النحوية ، كأن يكون الأول فاعلا أو مفعولا أو اسما مجرورا ، فتتخذ البنية الثانية من البنية الأولى حالته الإعرابية والوظيفية كما في نحو :جاءني زيد وعمرو، فأفاد مورفيم العطف (الواو) إشراك عمرو في فعل المجيء

[1] ينظر: أحمد عبد الستار الجواري، نحو المعاني، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، طبعة جديدة، 2006 م:101.

[2] ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص:10.

[3] عبد القاهر الجرجاني، المصدر نفسه ، ص: 232، 233.

المسند إلى زيد ، فكما أن عنصرزيد يؤدي وظيفة الفاعل من الناحية الشكلية والدلالية وهكذا حال عمرو[1].

وينبه الجرجاني إلى أن عملية الوصل لا تتم عشوائيا أو جزافا ، وإنما قوامها وجود صلة وثيقة أو دلالة مشتركة بين الطرفين المشاركين في عملية الوصل هذه ، وباضمحلال هذه الصلة تفسد عملية الوصل وتفقد طاقته الجمالية والدلالية، ويستدل بذلكأن الجرجاني يشترط لعملية الوصل وجود جامع بالتوافق أو التخالف ما بين جهتي المعطوفوالمعطوف عليه كالصداقة أو الأخوة أو الخصومة أو غيرها .

ب-**عطف الجملة على الجملة:**

أما عطف الجملة على الجملة عند الجرجاني فياتي على ضربين:

أ- الضرب الأول: أن يكون للجملة الأولى المعطوف عليها موضع من الإعراب ، وإذا كانت كذلك كان حكمها حكم المفرد، فلا يكون للجمل موضع من الإعراب حتى تكون واقعة موقع المفرد، وإذا كانت الجملة الأولى واقعة كذلك ، كان عطف الثانية عليها جاريا مجرى عطف المفرد على المفرد، ومن ثم يكون وجه الحاجة إلى الواو، ظاهرا والإشراك بها في الحكم موجودا .من ذلك قولنا : مررت برجل خلقه حسن وخلقه قبيح ، وبذلك تكون الجملة الثانية قد أشركت في حكم الجملة الأولى ، وذلك الحكم كونها في موضع جر بأنها صفة للنكرة .

ب- الضرب الثاني: وذلك أن تعطف على الجملة العارية الموضع من الإعراب جملة أخرى كقولك: زيد قائم وعمرو قاعد والعلم حسن والجهل قبيح. لاسبيل لنا إلا أن ندعي أن الواو أشركت الثانية في إعراب قد وجب للأولى بوجه من الوجوه.وإذا كان كذلك فينبغي أن تعلم المطلوب من هذا العطف والمراد منه ولم لم يستو الحال بين

[1] دلخوش جار الله حسين، الثنائيات المتغايرة في كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، دار دجلة، الأردن، ط2008،1م:220.

أن تعطف وبين أن تدع العطف فتقول: (زيد قائم، عمرو قاعد)[1]، وهذا لا يعني أن الجمل التي لها محل من الإعراب لا تخضع لما تخضع له الجمل الأخرى التي ليس لها محل من الإعراب بل هي خاضعة لما تخضع له وما يجري على هذه من أحكام الفصل والوصل يجري على الظاهر ، وهو وقوعها موقع المفرد فإذا أردنا إشراك الجملة الثانية الأولى في حكمها الإعرابي عطفنا بالواو مع مراعاة المناسبة أو الجهة الجامعة التي تسوغ العطف[2].

ب- ثم يمضي الجرجاني في كلامه مبرزا حرف الواو ، وما له من أثر في المعنى عند إبقائه أو حذفه تضفيه في عطف الجمل بعضها ببعض ، فنراه يقول :"إذا كان المخبر عنه في الجملتين واحدا كقولنا: هو يقول ويفعل ، ويضر وينفع، ويسيء ويحسن، ويأمر وينهى، ويحل ويعقد، ويأخذ ويعطي، ويبيع ويشتري، ويأكل ويشرب ، وأشباه ذلك، ازداد معنى الجمع في الواو قوة وظهورا ، وكان الأمر صريحا ، وذلك أنك إذا قلت : هو يضر وينفع، كنت قدأفدت بالواو أنك أوجبت له الفعلين جميعا وجعلته يفعلهما معا . ولو قلت : يضر ينفع من غير واو لم يجب ذلك، بل قد يجوز أن يكون قولك: ينفع رجوعا عن قولك: يضر وإبطالا له[3].

ويؤكد الجرجاني أن وقوع الفعلين في مثل هذه العلاقة يزيد الاشتباك بين الجملتين ويزيد الاقتران والامتزاج بينهما؛ لأنه إذا كان للجملة محل من الإعراب قوي شبههما بالمفرد، فيكون العطف عليهما أحكم وأوقع ، فيقول:" وإذا وقع الفعلان في مثل هذا في الصلة، ازداد الاشتباك والاقتران حتى لا يتصور تقدير إفراد في أحدهما عن الآخر ذلك في مثل قولك:(العجب من أني أحسنت وأسأت ويكفيك ما قلت وسمعت،

[1] عبد القاهر الجرجاني،دلائل الإعجاز:233.

[2] بسيوني عبد الفتاح فيود، علم المعاني –دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني، مؤسسة المختارللنشر،2004م:353.

[3] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز:235.

وأيحسن أن تنهى عن شيء وتأتي مثله).وذلك أنه لا يشبه على عاقل أن المعنى على جعل الفعلين في حكم فعل واحد[1] ، ومن البين في ذلك قول الشاعر من بحر البسيط:

لا تطمعوا أن تهينونا ونكرمكم وأن نكف الأذى عنكم وتؤذوننا[2]

فالمتأمل في هذا البيت،فإنه يرى ثلاث جمل معطوفة بعضها على بعض، فالوصل الأول قوله:(أن تهينونا ونكرمكم)، والوصل الثاني يكون في عطف جملة أن نكف الأذى عنكم على جملة أن تهينونا، والوصل الثالث يكون في عطف جملة وتؤذوننا على جملة ونكف الأذى عنكم.

ثم يطرق الجرجاني بعد هذه الأنواع إلى قضية جديدة خاصة بعطف الجملة بالفاء لا على التي قبلها مباشرة بل على جملة بينها وبين الجملة المعطوف عليها جملة أو جملتان، فيقول الجرجاني:"اعلم أن مما يقل نظلر الناس فيه من أمر العطف أنه قد يؤتى بالجملة ، فلا تعطف على ما يليها ولكن تعطف على جملة بينها وبين هذه التي تعطف جملة أو جملتان"[3].

فإذا أمعنا النظر في هذا النص الثري ، فإننا نلحظ أنه يشير إلى العطف بين الجمل، وهذا لا يكون إلا متوالية لا تقل عن ثلاث جمل على فرض أن الجملة المعترضة واحدة لا أكثر ولعل في هذا إشارة هامة إلى اختراق حدود الجملة الواحدة إلى متوالية من الجمل تشكل جزءا من النص[4].

ومثل لذلك بقول المتنبي من بحر الوافر:

---

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز:235.

[2] القاسم الحسن بن بشر الآمدي(ت370ه)، المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم:تح:كرنكو، دار الجيل،ط1411،1ه-1991:41.

[3] الجرجاني،المصدر السابق:252.

[4] محمد سالم أبو عفرة، السبك في العربية المعاصرة، -بين المنطوق والمكتوب-مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط1ه-2010م:141.

تولوا بغتة فكأن بينا تهيبني ففاجأني اغتيالا

فكان مسير عيسهم ذميلاوسير الدمع إثرهم انهمالا[1]

حيث يشرح الجرجاني البيتين بقوله:" قوله فكان مسير عيسهم معطوف على تولوا بغتة دون ما يليهمن قوله: ففاجأني ،لأنا إن عطفناه على هذا الذي يليه،أفسدنا المعنى من حيث إنه يدخل في معنى كأن ،وذلك يؤدي إلى أن لا يكون مسير عيسهم حقيقة، ويكون متوهما كما كان تهيب البين كذلك؛ وهذا أصل كبير ، والسبب في ذلك أن الجملة المتوسطة بين هذه المعطوفة أخيرا وبين المعطوف عليها الأولى، ترتبط في معناها بتلك الأولى"[2].

ويتضح مما سبق أن فكرة الوصل بين المفردات أو الجمل التي اعتنى بها الجرجاني هي فكرة نحوية في أساسها ؛ لأنها ترتكز على أسلوب نحوي معروف بالترابط النحوي عند علماء لسانيات النص المحدثين، حيث فصل الجرجاني في أدوات الفصل اللفظية بذكر معاني كل أداة ، والتي جعلها علماء النصي من أهم الآليات التي تساهم في الانسجام النصي ، وكذلك الجرجاني نراه قد أولى هذه الآلية عناية كبيرة وذلك بذكر أضرب العطف وأهم الأدوات التي تسهم في الوصل وبالتالي تشارك في نظم الكلام والتماسك النصي.

1-2-الإحالة

لعل أول من أشار إلى الإحالة " بوصفها مصطلحا لغويا أو نحويا في التراث العربي هو ابن رشيق القيرواني (ت 456ه) بقوله : "ومن التضمين ما يحيل الشاعر فيه إحالة ، ويشير به إشارة ؛ فيأتي به كأنه نظم الأخبار أو

[1] المتنبي، ديوانه، دار بيروت للصناعة والنشر ، بيروت، لبنان ، دط،1403ه-1983م:139.

[2] عبد القاهرالجرجاني، دلائل الإعجاز:252.

شبيه به .. فهذا النوع من أبعد التضمينات كلها ، وأقلها وجودا ،، وذلك نحو قول أبي تمام (ت 231ه) :

لعمرو مع الرمضاء، والنارتلتظي أرق وأخفى منك في ساعة الكرب

أراد البيت المضروب به المثل وهو :

المستجير بعمرو عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار [1]

ومنه فمن التماسك في النصوص عامل الإحالة وتتنوع الإحالات بوصفها روابط دلالية تجري على ألسنة أبناء اللغة ، إذ يستعمل المتكلمون إحالات الضمائر ، وأسماء الإشارة ، والأسماء الموصولةوغيرها.والإحالة علاقة دلالية، لذا فهي تخضع لقيد دلالي هو وجوب تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه،وتعتبر الإحالة من الأدوات التي تكسب القول رونقا، ذلك لما تحدثه من اتساق في النص عند حذف الكلمة وتعويضها بالضمير، وعلى الرغم من أهميتها إلا أن الجرجاني لم يفرد لها فصلا كباقي الظواهر اللغوية التي تناولها ، ولكن .هذا لا ينفي أنه أشار إليها حيث نجده يعبر عنها في قوله :"جاءني زيد وهو مسرع أو وهو يسرع"[2]، حيث من خلال المثال ن فالضمير هو أغنى المتلقي عن تكرار كلمة زيد مرة أخرى ، ولذلك جاء التركيب بضم الثاني إلى الأول في الإثبات فيقول ذلك أنك إذا أعدت ذكر زيد فجئت بضميره المنفصل المرفوع، كان بمنزلة أن تعيد اسمه صريحا ، كأنك تقول جاءني زيد وزيد مسرع[3]، فقد أدى حذف زيد وتعويضه بالضمير هو إلى تجنب التكرار ، وهذا ماساهم في تماسك الجملتين، وفي هذا دلالة على أن الجرجاني كان على تنبه سابق لما قدمه اللسانيون المعاصرون في ما يخص الإحالة ودورها في إحداث التماسك النصي.ولم تخل

[1] ابن رشيق (أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق د. محمد قرقزان، دار المعرفة ، بيروت، ط1988،1م، 708/2.

[2] الجرجاني، دلائل الإعجاز:64

[3] ينظر:الجرجاني،دلائل الإعجاز:166

آراء وأقوال الجرجاني من الإشارة إلى ظاهرة الإحالة النصية من خلال تطرقه لنظرية النظم :" فعلى الرغم من أن صاحب كتاب الدلائل لم يفرد باب للإحالة مثلما أفردبابا للفصل والوصل ، إلا أنه عرض لهذه الأداة عرضا سريعا عندما مثل بقولهم قولهم جاءني زيد وزيد مسرع . فهي من حيث الدلالة واللفظ نظير وعقب على ذلك مؤكدا أن الضمير هو أغنى عن تكرار زيد ، يقول : وذلك أنك إذا أعدت ذكر زيد ، فجئت بضميره المنفصل المرفوع ، كان بمنزلة أن تعيد اسمه صريحا ، كأنك تقول جاءني زيد وزيد مسرع. وهذا المثال شبيه جدا بالمثال الذي وقفت لديه رقية حسن:

-اغسل، وانتزع نوى ست تفاحات، ضعها في طبق مقاوم للنار.

وقد علقت على هذا المثال بالقول : فالضمير في ضعها هو الرابط الذي يضم الجملة الثانية إلى الأولى في وحدة تفيد العلم بطلب معين، وإذا وضع المتكلم كلمة تفاحات بدلا من الضمير ، فإن الرابط هنا هو تكرار كلمة تفاحات عوضا عنه ، والإحالة عند الجرجاني من الأدوات التي يؤدي استخدامها إلى تحسين الكلام ، ولا يقتصر دورها على الربط، فيقول البحتري من بحر الطويل الآتي:

بلونا ضرائب من قد نرى فغما إن رأينا لفتح ضريبا

هو المرء أبدت له الحادثات عزما وشيكا ورأيا صليبا [1]

فاستخدام الضمير هو في بداية البيت الثاني-فضلا عن انه ربطه بالأول – أضفى على المعنى فيه شيئا من القوة [2].

ويقول الجرجاني "المفعول إذا قدم فرفع بالابتداء وبني الفعل الناصب كان له عليه وعدي إلى ضمير فشغل به كقولنا في ضربت عبد الله ،وعبد الله ضربته ، فقال

[1] البحتري ، ديوان البحتري، ،تح، عبد الرحمن البرقوقي، مطبعة هندية بمصر، ط1911م، ج1: 51.

[2] إبراهيم خليل، في نظرية الأدب وعلم النص: 234.

: وإنما قلت : عبد الله فنبهته له ثم بنيت عليه الفعل ورفعته بالابتداء "[1]؛ ففي هذا القول يبين الجرجاني أهمية عودة الضمير إلى سابق وهو اسم العلم عبد الله وهو ما يطلق عليه علماء لسانيات النص بالإحالة القبلية، ويمثل الجرجاني كذلك في هذه المسألة بقوله تعالى :" إنه لا يفلح الكافرون "[2]، وبقوله تعالى :"فإنها لا تعمى الأبصار "[3]،حيث يقول الجرجاني في شرح هاتين الآيتين :" إن الشيء إذا أضمر ثم فسر كان ذلك أفخم له من أن يذكر من غير تقدم إضمار ...فخامة وشرفا وروعة لا نجد منها ى شيئا في قولنا: فإن الأبصار لا تعمى، وكذلك السبيل أبدا في كل كلام كان فيه ضمير قصة "[4]؛ وفي هذا الكلام أيضا بيان لأهمية الإحالة بضمير القصة الذي يحيل إحالة بعدية .

وكذلك الإحالة بضمير الشأنالتي تتبين من خلال ذكره لخصائص إن في التأكيد:"...ومن خصائصها أنك ترى لضمير الأمر والشأن معها من الحسن واللطف مالا تراه إذا هي لم تدخل عليه بل تراه لا يصلح حيث صلح إلا بها [5]، ومثاله قوله تعالى :" أنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين" [6]، وقال في موضع آخر " أو ليس قد جاء ضمير الأمر مبتدأ به معرى من العوامل في قوله تعالى :" قل هو الله أحد" الاخلاص1"[7].

وأعطى الجرجاني أهمية كبيرة للاسم الموصول الذي أدرجه في فصل عنونه ب"فصل في الذي خصوصا" الذي اعتبره علماء لسانيات النص أداة من أدوات الإحالة الاتساقية، ويقول الجرجاني :" اعلم أن لك في الذي علما كثيرا وأسرارا جمة وخفايا

---

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز:160.

[2] المؤمنون:الآية 117.

[3] الحج: الآية 46

[4] الجرجاني، المصدر السابق:161.

[5] الجرجاني، دلائل الإعجاز:314.

[6] يوسف: الآية: 90.

[7] الجرجاني، دلائل الإعجاز:315.

إذا بحثت عنها وتصورتها اطلعت على فوائد تؤنس النفس ، وتثلج الصدر بما يفضي بك إليه من اليقين، ويؤديه إليك من حسن التبيين"[1]

ولقد ربط الجرجاني اسم الموصول الذي بمعرفة السامع لها مسبقا حيث يقول :"...لا تصل الذي إلا بجملة من الكلام قد سبق من السامع علم بها وأمر قد عرفه له نحو أن ترى عنده رجلا ينشده شعرا فتقول له من غذ : ما فعل الرجل الذي كان عندك بالأمس ينشدك الشعر ؟ هذا حكم الجملة بعد (الذي)إذا أنت وصفت به شيئا فكان معنى قولهم: إنه اجتلب ليتوصل به إلى وصف المعارف بالجملة ؛ أنه جيء به ليفصل بين أنم يراد ذكر الشيء بجملة قد عرفها السامع له وبين أن لا يكون الأمر كذلك "[2]، ومنه فان الجرجاني يرى أن اسم الموصول الذي هو من أدوات الربط التي تربط الجملة في كلام قد سبق للسامع علم بها.

ومع أن الإحالة بواسطة الضمير من عوامل الربط التي تفيد الكلام تماسكا وتناسقا، وتنفي عنها لتكرار، وتجنبه التشتت، إلا أنها لا تروق عنده في كل مقام، ولا تعذب في كل مساق فقد تؤدي مع اضطراب التقديم والتأخير ، إلى فساد في القول ، وهجنة في البيان وفتور،إن لم نقل ضعفا في المعنى [3]، حيث يقول الجرجاني :"إن الفساد والخلل كانا من أن تعاطي الشاعر ما تعاطاه من هذا الشأن على غير الصواب ، وصنع في تقديم أو تأخير أو حذف أو إضمار أو غير ذلك ما ليس له أن يصنعه ، وما لا يسوغ ولا يصح"[4]، ومثل لذلك بقول أبي الطيب المتنبي من بحر الكامل :

الطيب أنت إذا أصابك والماء أنت إذا اغتسلت الغاسل [5]

[1] عبد القاهرالجرجاني، دلائل الإعجاز:212.

[2] عبد القاهر،الجرجاني، المصدر نفسه:213.

[3]إبراهيم خليل، في نظرية الأدب وعلم النص:234،235

[4]عبد القاهر الجرجاني ، المصدر السابق :123

[5] المتنبي، ديوان المتنبي:180.

أي الطيب أنت طيبه إذا أصابك، والماء أنت الغاسل له إذا اغتسلت، أي إذا أصابك الطيب فأنت طيب له، وإذا اغتسلت بالماء فأنت الغاسل له،أي أنت أطيب من الطيب وأطهر من الماء[1]

ومنه وعلى الرغم من أن الجرجاني لم يصرح بلفظ الإحالة بصريح العبارةإلا أنه تطرق إلى مفهومها وأنواعها ووسائلها وذلك من خلال تحليله لبعض الآيات القرآنية والشواهد الشعرية ، حيث أنه لم يكن يصرح بذلك فلقد جاءت آراؤه ضمنية ومن خلال إظهار أهم الآراء التي جاء بها الجرجاني يتضح لنا أن الجرجاني أدرج في كتابه الدلائل لبعض أنواع الإحالة مثل الإحالة القبلية والبعدية، وكذلك تطرق إلى أهم وسائل الإحالة من ضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة.

التقديم والتأخير :

ويعد تغيير الرتبة أحد عوامل السبك النصي عند الجرجاني .فإذا قدم الشاعر أو الناثر، أو المتكلم الظرف ثم أخر العامل فيه ، فذلك يجعل من الكلام المتقدم والمتأخر قطعة متماسكة من القول ، تقوم على الإفادة من ذاكرة المتلقي الذي يختزن ثم يسترجع ، رابطا بين المعمول وهو الظرف ، والعامل فيه وهو الفعل .، وهذا يتجلى واضحا من عرضه لبيتي إبراهيم بن العباس في مدح محمد بن عبد الملك الزيات :

فلو إذ نبا دهر ، وأنكر صاحب وسلط أعداء ، وغاب نصير

تكون عن الأهواز داري بنجوة ولكن مقادير جرت وأمور[2]

وهو في رأيه أكثر انسجاما واتساقا مما لو قال :" فلو تكون عن الأهواز داري بنجوة إذ نبا دهر لأنه في هذه الحال يضعف أثر الكلمات ويشحب المعنى .

[1] إبراهيم خليل، في نظرية الأدب وعلم النص:235.

[2]البيتان لإبراهيم بن العباس في مدح محمد بن عبد الملك الزيات ، أوردهما عبد العزيز الميمني في كتابه الطرائف الأدبية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، بدون تاريخ :132.

فتقديمه للظرف جعل القارئ يتلهف شوقا لمعرفة بقية الكلم ، وما كان هذا الشوق ، ولا تلك اللهفة ، إلا لموقع الظرف من التقديم وموقع العامل من التأخير .إذ يفرض نظام اللغة العربية الحفاظ على رتبة أجزاء الكلام ولا تتغير المواقع إلا بموجب قواعد تسمح بها اللغة كقواعد التقديم والتأخير ، وقد عده الجرجاني من مقومات نظريته في النظم فنبه على أهميته قائلا :"هو باب كثير الفوائد ، جم المحاسن ، واسع التصرف ، بعيد الغاية،لا يزال يفتر لك عن بديعة ، ويفضي بك إلى لطيفة ، ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أن قدم فيه شيء وحول اللفظ عن مكان إلى مكان"[1]

وساق أمثلة كثيرة من هذا النوع من التقديم والتأخير منها قول إبراهيم بن العباس من بحر الطويل :

فلو إذ نبا بك دهر وأنكر صاحب وسلط أعداء وغاب نصير

تكون عن الأهواز داري بنجوة ولكن مقادير جرت وأمور[2]

يقول الجرجاني في معرض تحليله لهذه الأبيات :" فأنك ترى ما ترى من الرونق والطلاوة ومن الحسن والحلاوة ثم تتفقد السبب في ذلك فتجده إنما كان من أجل تقديمه الظرف الذي هو إذ نبا على عامله الذي هو تكون ، وأن لم يقل : فلو تكون على الأهواز داري بنجوة إذ نبا دهر"[3]

ويعد تغيير الرتبة أحد عوامل الربط عند الجرجاني ، فإذا قدم الشاعر أو الناثر ، أو المتكلم الظرف ثم أخر العامل فيه، وهو الفعل ، فذلك بجعل من الكلام المتقدم والمتأخر قطعة متماسكة من القول ، تقوم على الإفادة من ذاكرة المتلقي الذي يختزن ثم يسترجع ، رابطا بين المعمول وهو الظرف، والعامل فيه وهو الفعل [4]

---

[1] عبد القاهرالجرجاني، دلائل الإعجاز :143.

[2] عبد القاهر الجرجاني، المصدر نفسه:126.

[3] عبد القاهرالجرجاني، دلائل الإعجاز :126.

[4] إبراهيم خليل،في اللسانيات ونحو النص،ص:229.

والتقديم عند الجرجاني على وجهين هما :أ/تقديم على نية التأخير : كتقديم الخبر على المبتدأ، والمفعول على الفاعل كقولك :منطلق زيد وضرب عمرا زيد، فالخبر منطلق في الجملة الأولى لم يتغير حكمه الإعرابي رغم تقديمه والمفعول عمرا في الجملة الثانية لم يتغير وصفه الإعرابي رغم تقديمه.

ب/تقديم لا على نية التأخير: وذلك أن تجيء إلى اسمين يحتمل كل واحد منهما أن يكون مبتدأ ويكون الآخر خبرا له، فتقدم تارة هذا على ذاك، وأخرى ذاك على هذا [1] .ومنه فكلما غيرت لفظا من مكانه سواء بتقديمه وتأخيره يؤدي ذلك إلى تغير الحكم الإعرابي من خلال السياق الذي توضع فيه الجملة وقصد المتكلم.

ويعد تغيير الرتبة أحد عوامل السبك والربط عند الجرجاني .فإذا قدم الشاعر أو الناثر، أو المتكلم الظرف ثم أخر العامل فيه ، فذلك يجعل من الكلام المتقدم والمتأخر قطعة متماسكة من القول ، تقوم على الإفادة من ذاكرة المتلقي الذي يختزن ثم يسترجع ، رابطا بين المعمول وهو الظرف ، والعامل فيه وهو الفعل .، وهذا يتجلى واضحا من عرضه لبيتي إبراهيم بن العباس في مدح محمد بن عبد الملك الزيات :

فلو إذ نبا دهر، وأنكر صاحب وسلط أعداء ، وغاب نصير

تكون عن الأهواز داري بنجوة ولكن مقادير جرت وأمور [2]

وهو في رأيه أكثر انسجاما واتساقا مما لو قال :" فلو تكون عن الأهواز داري بنجوة إذ نبا دهر لأنه في هذه الحال يضعف أثر الكلمات ويشحب المعنى . فتقديمه للظرف جعل القارئ يتلهف شوقا لمعرفة بقية الكلم ، وما كان هذا الشوق ، ولا تلك اللهفة ، إلا لموقع الظرف من التقديم وموقع العامل من التأخير .

[1] عبد القالهر الجرجاني، المصدر السابق:144،143.

[2] البيتان لإبراهيم بن العباس في مدح محمد بن عبد الملك الزيات ، كتاب الطرائف الأدبية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، دت: 132.

وردت مجموعة من التصورات والمفاهيم عند الباحثين في الإعجاز القرآني تعبر عن مفهوم الحبك المستعمل في نحو النص، وقد ذكرنا سابقا بعض المفاهيم الأساسية .

وكان لعبد القاهر الجرجاني فضل التفصيل والاستفاضة في الحديث عن النظم الذي كان عبد الجبار الهمذاني قد أجمله واختصره ، حتى أرجع إليه الباحثون الفضل والمزية كلها في توطيد أركان تلك النظرية .يستفسر الإمام عبد القاهر في مطلع "دلائل الإعجاز":" هل يقع في وهم ، وإن جهد ، أن تتفاضل الكلمتان المفردتان ، من غير أن ينظر إلى مكان تقعان فيه من التأليف والنظم ؟... وهل تجد أحدا يقول : هذه اللفظة فصيحة إلا وهو يعتبر مكانها من النظم ، وحسن ملاءمة معناها لمعاني جاراتها ، وفضل مؤانستها لأخواتها "؟[1]. ويقرر هذا المذهب في الصفحة الأولى من أسرار البلاغة" أيضا :" الألفاظ لا تفيد حتى تؤلف ضربا خاصا من التأليف ، ويعم دبها إلى وجه دون وجه من التركيب والترتيب، فلو عمدت إلى بيت شعر أو فصل نثر فعددت كلماته عدا كيف جاء واتفق ، وأبطلت نضده ونظامه الذي عليه بني ، وفيه أفرغ المعنى وأجري وغيرت ترتيبه الذي بخصوصيته أفاد ما أفاد، وبنسقه المخصوص أبان المراد...أخرجته من كمال البيان إلى محال الهذيان "[2].إنه يسوق البرهان ليقنعنا بما لا يقبل الشك بوجهة نظره التي تشكل جانبا مهما من الأساس المكين الذي يقوم عليه رأيه في الإعجاز .كيف لا؟ وهو يسألنا " هل تشك إذا فكرت في قوله تعالى "" وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين "[3] فتجلى لك منها الإعجاز، وبهرك الذي ترى وتسمع .إنك لم تجد من المزية الظاهرة والفضيلة القاهرة ، إلا لأمر يرجع إلى ارتباط هذه الكلم بعضها ببعض "[4].إنه يحل النظم محل إفراد الألفاظ قاعدة أساسية يقوم عليها

---

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز: 36.

[2] عبد القاهرالجرجاني، أسرار البلاغة:3.

[3] هود:الآية11.

[4] عبد القاهرالجرجاني، دلائل الإعجاز:37.

البيان العربي . وتعد هذه النقلة مساهمة أساسية في عملية الكشف عن مكامن الإبداع في النصوص الأدبية . فلا قيمة للفظة في وضعها المعجمي السكوني ؛ لأنها لا تحمل دلالة واضحة ومحددة ولكن السياق هو الذي يحدد دلالتها بقدر ما تسهم في تحديد دلالته ، ويعطيها بقدر ما تعطيه. وبعد أن يطمئن الجرجاني إلى ثبوت وجهة نظره هذه ، يرى أن القول بفصاحة المفردات صار باطلا .ويزيد عبد القاهر تأكيدا لنظريته فيقول :" لا يتصور أن يتعلق الفكر بمعاني الكلم إفرادا ومجردة من معاني النحو "[1].

لقد قلب الجرجاني المعادلة والنظرية التي أخذ بها عبد الجبار، مغيرا ضم الألفاظ بترتيب المعاني الموجودة في النفس، فأسس هذا التبديل الركن الأساس الثاني الذي تأسست عليه نظريته الإعجازية بما يتناسب وتوجهاته الفكرية مكتشفا ومبدعا لنوع جديد في التأليف لم يسبقه إليه أحد .فيقول :" إن الألفاظ إذا كانت أوعية للمعاني فإنها لا محالة تتبع المعاني في مواضعها ، فإذا وجب لمعنى أن يكون أولا في النفس وجب للفظ الدال عليه أن يكون مثله أولا في النطق، فأما أن تتصور في الألفاظ أن تكون المقصودة قبل المعاني بالنظم والترتيب.أو أن تحتاج بعد ترتيب المعاني إلى فكر تستأنفه لأن تجيء بالألفاظ على نسقها فباطل "[2] .فبقدر ما يحمل هذا الكلام الإيمان بالإبداع في مستوى المعاني ، فإنه يحمل بالمقابل إيمان عميقا بآلية التفكير اللفظي .ويسارع الجرجاني للإجابة عن القواعد التي ترتب بموجبها المعاني من خلال مؤلفه "دلائل الإعجاز" فيقول:"ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض ، وجعلت بعضها بسبب من بعض ، والكلم ثلاث : اسم وفعل وحرف، وللتعلق فيما بينها طرق معلومة ، وهو لا يعدو ثلاثة أقسام :

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز:314.

[2] الجرجاني، المصدر نفسه: 43.

تعلق اسم باسم ، وتعلق اسم بفعل وتعلق حرف بهما "[1] . ثم لا يلبث أن يسمي العنوان الذي تنضوي تحته وجوه التعلق السالفة الذكر ." فهذه هي الطرق والوجوه في تعلق الكلم بعضها ببعض ، وهي كما تراها معاني النحو وأحكامه"[2]فإن الجرجاني جعل من النحو عمود الفصاحة وأساسها ويقول لا:"ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو "[3]وعزا الصواب والخطأ إلى معاني النحو التي قد أصيب بها موضعها ، أو عوملت بخلاف هذه المعاملة [4].

فالنظم كما تصور الجرجاني هو كيفية تركيب الكلام انطلاقا من الجملة البسيطة ليصل إلى نظم القرآن في تراكيبه الصوتية والدلالية والنحوية والبلاغية الأسلوبية ، فالنظم باختصار يعني "تأليف الحروف والكلمات والجمل تأليفا خاا يسمح للمتكلم والسامع أن يرتقيا بفضل بديع التركيب إلى مدارك الإعجاز في المعاني علما بأن المعاني تملأ الكون وتعمر الفضاء واختيار تركيب من التراكيب في النص كاختيار مسلك من المسالك في البر والبحر قد يؤدي بالسالك يعني المتكلم إما إلى الوصول إلى الغاية التي يقصدها في برا النجاة أو إل الضلال والهلاك "[5] والنظم كالبناء والنسج يتم في معاقد النسب والشبكة تبرم الخيوط التي تذهب طولا ، ومعاقد الشبكة تبرم الخيوط التي تذهب عرضا ، فإذا نسجت خيوط الطول في خيوط العرض حصل النظم [6].وأكد الجرجاني على موقع المفردة من السياق ، ونظر في المفردة قبل دخولها التأليف، وحسن تلاؤم

[1] الجرجاني،دلائل الإعجاز:43.

[2] الجرجاني، المصدر نفسه:42

[3] الجرجاني، المصدر نفسه :64.

[4] الجرجاني، المصدر نفسه:65.

[5] د.عبد الله خضر حمد، لسانيات النص القرآني– دراسة تطبيقية في الترابط النصي–، دار القلم .للطباعة والنشر والتوزيع .لبنان (دت) : 73

[6] محمد الصغير بناني، المدارس اللسانية فيالتراث العربيوفي الدراسات الحديثة، دار الحكمة، 2001: 25

معناها لمجاوراتها وانسجامها في ائتلاف النظم [1].فالألفاظ تستمد دلالاتها من انسجامها مع مجاوراتها في السياق .وبعد أن فرض عبد القاهر الجرجاني نظريته في النظم والسياق بدأ بتطبيقها على نص القرآن الكريم ، لإثبات سر الإعجاز القرآني في النظم ، وارتباط الكلم بعضه ببعض ، وحسن تلاؤم الألفاظ في سياقاتها في قوله تعالى :" وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين " هود :44، ويذهب الجرجاني إلى التحليل العميق ويؤكد ترابط عناصر النص وانسجامها مع السياق . فاللفظة لا تؤدي دلالاتها ى وهي مفردة مثل ما تؤديه وهي في النظم ، والنظر في ما قبلها وبعدها . وإن مبدأ العظمة في أن نوديت الأرض ، ثم أمرت ، ثم في أن كان النداء ب يا دون أي نحو : يا أيتها الأرض ، ثم إضافة الماء إلى الكاف دون أن يقال : ابلعي الماء ثم أن أتبع نداء الأرض ، وأمرها بما هو من شأنها ، ونداء السماء وأمرها كذلك بما يخصها ، ثم أن قيل (وغيض الماء) ، فجعل الفعل على صيغة (فعل) الدالة على أنه لم يغض إلا بأمر آمر ، وقدرة قادر ، ثم تأكيد ذلك وتقريره بقوله تعالى (وقضي الأمر) ثم ذكر ما هو فائدة هذه الأمور وهو (استوت على الجودي)، ثم إضمار السفينة قبل الذكر ، كما هو شرط الفخامة والدلالة على عظم الشأن ، ثم مقابل (قيل) في الخاتمة ب(قيل) في الفاتحة"[2]. وإن ما يزيد روعة هذه الأنماط من الأساليب الدلالات والإيحاءات التي تحيط بالنص القرآني ، وهذه الهيبة لا تتأتى من توالي الألفاظ في النطق وإنما من تآلف ألفاظها ، وتناسق مفرداتها مع السياق [3]

[1]ينظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز:90.

[2]الجرجاني، دلائل الإعجاز:91-92

[3]ينظر: الجرجاني، المصدر نفسه:92،95..

كما تتبع الجرجاني مواقع (إن) ليستنبط دلالات جديدة مستنبطة من السياق القرآني منها : إنها تفيد ارتباط الكلام وانسجامه ، حتى كأن الكلامين أفرغا إفراغا تاما ، والنماذج كثيرة في التنزيل الكريم[1].منها قوله تعالى :"يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم" [2] وقوله عز وجل :(يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور)[3]. ومن خصائص إن واجتماعها مع ضمير الشأن أنه يعطي دلالات جديدة ، ولطيفة مستوحاة من السياق القرآني :" ومن خصائصها أنك ترى لضمير الأمر والشأن معها من الحسن والألطف ما لا تراه إذا هي لم تدخل عليه، بل تراه لا يصلح حيث صلح إلا بها ، وذلك في مثل قوله تعالى :(إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين)[4].ومن دلالات تقديم الاسم في القرآن الكريم تنبيه السامع إلى بعض الأساليب التي تنزل منزلة التمثيل والتشبيه، ومنه قوله تعالى :"أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمى" [5]".

وحاول الجرجاني أن يدخل في أدق تفاصيل التركيب ليدرس ويحلل ما يقدمه التعريف والتنكير ، من دلالة ، أو بالأحرى تحديد الدلالة التي فرضت التنكير أو التعريف .ففسر لنا الفرق بين زيد منطلق وزيد المنطلق قائلا :" اعلم أنك إذا قلت زيد منطلق كان كلامك مع من لا يعلم أن انطلاقا كان لا من زيد ولا من عمرو ، فأنت تفيده ذلك ابتداء وإذا قلت : زيد المنطلق ، كان كلامك مع من عرف أن انطلاقا كان إما من زيد وإما من عمرو ، فأنت تعلمه أنه كان من زيد دون غيره "[6]

ويكاد عبد القاهر الجرجاني يعد المخاطب الركيزة الأساسية في سياقات التعريف والتنكير، وإن كان هذا لا ينفي وجود المتكلم في الصياغة باعتباره مصدرها ،

---

[1] ينظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز:96

[2] الحج:الآية: 1.

[3] لقمان:الآية: 17.

[4] يوسف الآية::90.

[5] الزخرف :الآية40.

[6] الجرجاني، دلائل الإعجاز:136

ودراسة عبد القاهر في هذا المجال لم تخرج عن تحليل أنماط النظم جاء فيها أحد طرفي الإسناد معرفا أو منكرا ،أو جاءا معا معرفين، واتصال ذلك بالجانب النفسي في ترتيب المعنى .

-دور أداة التعريف(أل)في الاتساق النصي عند الجرجاني:

يرى الجرجاني في لام التعريف أداة تتجاوز مايراه النحاة من تحويلها النكرة إلى معرفة ، فهي تتعدى ذلك إلى الربط بين الجمل ربطا يشبه الإحالة بالضمير ، من حيث أنها تذكر السامع أو القارئ بشيء سبق ذكره، أو شيء معروف في الذهن جرى الكلام عليه أو الإشارة له في السياق.

وقد أورد أمثلة لابن البواب من مجزوء الوافر:

وإن قتل الهوى رجلا فإني ذلك الرجل[1]

وقد جمع فيه بين اسم الإشارة ذلك ولام التعريف في الرجل، وهما في رأيه من مظاهر الإحسان والإجادة فيه[2].

ومنه بعد الإنهاء من إيراد أهم الآليات النصية التي ذكرها أو لمح إليها الإمام الجرجاني، يتبين من خلال كلامه عن إعجاز القرآن الكريم في نظمه وحديثه عن الأدوات التي تساهم في التماسك والاتساق النصي التي اهتم بها علماء اللسانيات النصية المحدثين بعده، فالجرجاني سبق هؤلاء العلماء إلى التفطن إليها ، ومن الملاحظ كذلك أن الجرجاني قد فصل في بعض الآليات التي أدرجها في فصل كامل مثل آلية الحذف والوصل، والبعض الآخر من الآليات أشار إليها من غير إدراجها في

[1] ينظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز:131.

فصل كامل،إلا أنه أشار إليها في تحليله لبعض الشواهد سواء من القرآن الكريم أو من كلام العرب شعره ونثره.

-إنما ودورها في الاتساق النصي :

تعد إنما من أدوات القصر التي تتضمن في طياتها أسرار النظم التي أولاها الجرجاني أهمية بالغة بالكشف والتناول، فتناولها حينما تدخل على الجملة وربط بينها من حيث إفادة الاختصاص وبين ما وإلا من جهة أخرى، وقد بدأ الجرجاني حديثه في فصل إنما بنص لأبي علي الفارسي ذكره في الشيرازيات:" يقول ناس من النحويين في نحو قوله تعالى :"قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون"[1] ، على معنى : ما حرم ربي إلا الفواحش، قال : وأصبت ما يدل على صحة قولهم في هذا قول الفرزدق من بحر الطويل:

أنا الذائد الحامي الذمار وإنما يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلي[2]

على معنى ما يدافع عن أحسابهم إلا أنا أو مثلي، فليس يخلو هذا الكلام من أن يكون موجبا أو منفيا ، فاو كان المراد به الإيجاب لم يستقم، ألا ترى أنك لا تقول: يدافع أنا ولا يقاتل أنا وإنما تقول :أدافع وأقاتل، إلا أن المعنى لما كان : ما يدافع إلا أنا، فصلت الضمير كما تفصله مع النفي إذا ألحقت معه إلا حملا على المعنى [3] .وجعل الجرجاني مورفيم إنما لا يستخدم سياق خبر لا ينكره المخاطب ولا يجهله أو ما ينزل هذه المنزلة، ويمثل لذلك بنحو:إنما هو أخوك وإنما هو صاحبك القديم مبينا أن تمثل هذا النظام التركيبي المنطوي على إنما لا يوجه إلا إلى من يعلم مضمون

[1] الأعراف 33.

[2] الفرزدق، ديوانه:561.

[3] الجرجاني، دلائل الإعجاز:325،326

الخبر الموجه أو جانبا منه ولا يجهله ولا يدفع صحته بل يقره، والغرض منه تنبيه المخاطب إلى أمر ما كمراعاة حق الأخ وحرمة الصاحب[1].

-الربط باسم الموصول :

و يعد الاسم الموصول من الأدوات التي تربط وتزيد التلاحم النحوي بين ما تقدم ذكره ، وما يراد من المتكلم أن يعلم به ، أو يضمه إلى ما سبق من العلم به .ففي قول القائل : ما فعل الرجل الذي كان عندك بالأمس ؟ الشيء المعلوم هو أن الرجل كان عند من سئل بالأمس ، والشيء غير المعلوم هو ما صدر عنه من فعل ، وهذا ما يراد العلم به وضمه إلى ما هو معروف من أمره. وقد جاء الاسم الموصول ، في رأي عبد القاهر ، للربط بين الشيئين ، كقول القائل : مررت بزيد الذي أبوه فلان ، فقد وصل الاسم الذي بين الخبرين المرور بزيد، وكونه فلان أباه [2].وبالرجوع إلى الجملة السابقة فعل الأمر .

1. الرجل كان عندك بالأمس .

وقد رأى عبد القاهر في الاسم الموصول ضربا من التعريف تارة وتارة ضربا من الإحالة بالضمير . وتلك في رأينا لفتة ذكية منه اختص بها ، وانماز عن غيره من الناس".[3]

كما حاول الكشف عن سر الواو في تركيب الجملة الحالية، فوجد "أن كل جملة وقعت حالا ثم امتنعت من الواو فذاك لأجل أنك عمدت إلى الفعل الواقع في صدرها فضممته إلى الفعل الأول في اثبات واحد، وكل جملة جاءت حالا ثم امتنعت الواو ، فذاك لأنك مستأنف بها خبرا وغير قاصد إلى أن تضمها إلى الفعل الأول في

[1] الجرجاني،دلائل الإعجاز:328،327.

[2] البحتري، ،ديوان البحتري، تحقيق عمر فاروق الطباع ، دار الأرقم ، بيروت ،ط1،(دت) 121/1.

[3] إبراهيم محمود خليل، في اللسانيات ونحو النص:235.

الإثبات"[1]، ثم أتى بشواهد كثيرة تدلل على صحة ما ذهب إليه [2]. ولا تقل مباحث الجرجاني في دراسة الوصل والفصل أهمية وقيمة عن سائر مباحثه في استنطاق الفروق الدقيقة بين التراكيب الجملية .فهاهو يكشف لنا سر البلاغة في الواو التي تعطف على الجملة التي لا محل لها من الإعراب جملة أخرى فيقول :" إذا قلنا : زيد قائم وعمرو قاعد، فإنا لا نرى ههنا حكما نزعم أن الواو جاءت للجمع بين الجملتين فيه، فإنا نرى أمرا آخر نحصل معه على معنى الجمع وذلك ألا تقول : زيد قائم يتضح لنا أنها مؤلفة ، أساسا ، من اثنتين ، هما : وعمرو قاعد: حتى يكون عمرو بسبب من زيد حتى يكونا كالنظيرين والشريكين وبحيث إذا عرف السامع حال الأول عناه أن يعرف يعرف حال الثاني "[3] والأمر الذي جعل الجرجاني يتناول هذه النقاط هو في إطار دراسة النظم الذي يعده الجرجاني سر الإعجاز القرآني الوحيد، ومما يجدر ذكره ،أن الجرجاني الذي استطاع أن يكتنه سر الدلالة في إثبات واو أو حذفها ، فإنه استطاع اكتناه سر التعديل الداخلي الذي يصيب التركيبمن خلال الوصل والفصل.

-الربط بالتكرير:

ويعد التكرار عند الجرجاني من معاني النحو التي تبث في النظم (الكلام) الانسجام والتساق والتناسق . وقد يكون التكرار جزئيا ، أي يكتفي فيه الناظم بتكرير جزء –فونيم– مثلا ، كقول البحتري :

فكالسيف إن جئته صارخا وكالبحر إن جئته مستثيبا[4]

[1] الجرجاني، دلائل الإعجاز:136.

[2] ينظر:الجرجاني، المصدر نفسه:164-165.

[3] الجرجاني، دلائل الإعجاز: 172-173.

[4] البحتري،ديوان البحتري: 156.

يعلق الجرجاني على البيت قائلا : إن الشاعر ربط بالعطف (الفاء) وكرر الكاف مع حذفه المبتدأ ، لأن المعنى –لا محالة– هو كالسيف، ثم كرر الكاف في قوله :و كالبحر . وهذا سبب جلي لمحاسن النظم فيه . يضاف إلى ذلك تكراره للشرط المتضمن جوابه ، إن جئته صارخا ، إن جئته مستثيبا ، وردا في الشطرين من البيت [1]. وبما أن التكرار أنواع منه الجزئي مثلما مر ومنه الكلي ، وهو الذي تتكرر فيه جملتان أو أكثر باللفظ والمعنى ، ومنه ما يكون تكرارا في المعنى لا في اللفظ. فتكراره : إن جئته صارخا وإن جئته مستثيبا ، مختلفان في اللفظ وإن اتفقتا في المعنى، لأن كلتيهمامعناهما إن جئته طالبا المساعدة . وقد يكون التكرار تكرارا محضا كتكراره كلمة العواذل في البيت الثاني من بيتي جندب بن عمار :

زعم العواذل أن ناقة جندب بجنوب خبت عريت وأجمت

كذب العواذل، لورأينا مناخنا بالقادسية ، قلن : لج ، ودلت [2]

فلو قال القائل كذبن مكان كذب العواذل لكان من الناحية النحوية الخالصة مصيبا غير مخطئ.ولكنه تعمد أن يكرر كلمة العواذل التي ذكرت في أول البيت السابق فأفاد كلامه قوة ن لكونه مستأنفا من حيث وضعه وضعا لا يحتاج فيه إلى تذكر ما قبله ، وأتى ما به مأتى ما ليس قبله كلام.وقد سبقت الإشارة إلى رقية حسن في أن التكرار يساعد على ربط الجملة بتلك التي سبقتها.

ويكرر الجرجاني الإشارة غلى ما في الاستئناف من قدرة على الربط بين أجزاء الكلام ن وجمله وعباراته . فتكرار الشاعر السابق لكلمة العواذل في البيت الثاني

[1] البيتان لجندب بن عمار بن طيء ذكرا في حماسة أبي تمام تحقيق عبد المنعم صالح ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ،ط1،1987 .

[2] البحتري، ديوانه: 68.

تكرار حسن لكونه مستأنفا من حيث وضعه الوضع الذي لا يحتاج معه المتلقي لتذكر ماسبق.والأديب قد يقول كلاما ، ثم يستأنف بعده كلاما آخرا يكون عطفا على السابق ، أو فيه شيء مما سبق قبلا

-الحذف :

يعد الحذف ظاهرة لغوية كثيرة الانتشار في غالب اللغات؛"حيث يميل الناطقون إلى اسقاط بعض العناصر اللغوية التي يمكن فهمها من سياق الكلام ،وإن وقوعها في العربية أكثر وضوحا لميلها إلى الإيجاز والاختصار"[1]، تناول علماء العربية القدماء لظاهرة الحذف لظاهرة الحذف وأعطوها اهتماما كبيرا لما لها من أثر عظيم في تماسك النص، ولا يخفى على أحد أن العربية لغة إيجاز "فتميل العربية إلى الإيجاز والاختصار"[2]، والحذف أحد وسائل تحقيق ذلك "فلقد عنى النحاة والنقاد والبلاغيون بظاهرة الحذف ، وعدوها من أسباب صفاء العبارة ،وقوة الإيحاء ،وسبك البناء ،ولأهمية الحذف في اللغة مال العرب إلى الإيجاز في الكلام"[3]، وهم بهذا لا يختلفون عن علماء اللسانيات النصية الحديثة الذين أولوا هم أيضا هذا المبحث اهتماما كبيرا ، يقول الجرجاني في هذا الصدد:" هو باب دقيق المسلك ، لطيف المأخذ، عجيب الأمر ، شبيه بالسحر ،فإنك ترى به ترك الذكر ،أفصح من الذكر ، والصمت عن الإفادة ، أزيد للإفادة ، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق ، وأتم ما تكون إذا لم تبن"[4]، وعلى نحو هذا فقد بين لنا الجرجاني ما للحذف من أثر في تماسك الكلام ، وما يستحق الذكر هنا أنه قسمه إلى أنواع نذكر حذف المبتدأ وحذف المفعول به والأمثلة على ذلك كثيرة.

---

[1] نادية رمضان النجار، اللغة وأنظمتها بين القدماء والمحدثين. دار الوفاء،الإسكندرية،مصر1997 :183

[2] نادية رمضان النجار،المرجع نفسه:184.

[3] عبد الخالق فرحان شاهين، المعايير النصية في التراث العربي، جامعة الكوفة،2012، رسالة ماجستير:104.

[4] الجرجاني، دلائل الإعجاز:112.

وخص الجرجاني الحذف في فصل أسماه القول في الحذف واستهل الحديث عنه بقوله:" هو باب دقيق المسلك ، لطيف المأخذ ، عجيب الأمر ، شبيه بالسحر فإنك ترى به ترك الذكر ، أفصح من الذكر ، والصمت عن الإفادة ،أزيد للإفادة "[1] .

فقوله هذا يكشف لنا عن القيمة الجمالية للحذف،وينبهعلى أهميتها وأنها بمثابة المفصل في تحديد المعنى . ويؤكد أهمية الحذف عند الجرجاني ما ذهب إليه أبو عفرة بقوله :" لفت نص عبد القاهر الجرجاني هذا نظر بعض اللغويين المحدثين إلى أهمية ظاهرة الحذف ، وصعوبتها في الوقت نفسه"[2]، كما يقول الدكتور سعيد بحيري :" ونلحظ ابتداء أنه قد حلل مسائل محدودة في هذا الباب ، وربما لم يهدف من تلك المعالجة إلا الإشارة إلى مواضع تخفى على القارئ المتمرس، أو لم يهتد إلى أسرارها من تصدي لبيان الوجوه والفروق في مسائل الحذف، وتعليل مبدأ (ترك الذكر أفصح من الذكر). وهذا يعني أن عبد القاهر يرفض مسلك السابقين؛ إذ لا قيمة لوصف الظاهرة فحسب بل تكمن القيمة الفعلية في إطار رؤيته الخاصة للنظم في النفاذ من التأليف أو الصياغة إلى معرفة علة أو سبب اختيار الحذف، وترك الذكر"[3].

ثم أخذ الجرجاني يستعرض الأمثلة والشواهد المدعمة لرأيه في الحذف وابتدأ ذلك بما أنشده سيبويه من بحر البسيط قوله:

اعتاد قلبك من سلمى عوائده وهاج أهواءك المكنونة الطلل

ربع قواء أداع المعصرات به وكل حيران سار ماؤه خضل [4]

---

[1] الجرجاني، دلائل الإعجاز:170.

[2] محمد سالم أبو عفرة، السبك في العربية المعاصرة: 117.

[3] سعيد حسن بحيري ، دراسة لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة:247.

[4] سيبويه، الكتاب، ج1:281.

يقول الجرجاني في شرح هذا البيت :"قال أراد ذاك ربع قواء أو هو ربع"[1]، ومثل أيضا يقول عمر بن ربيعة من بلحر البسيط:

هل تعرف اليوم رسم الداروالطللا كما عرفت بجفن الصيقلالخللا؟

دار لمروة ، إذ أهلي وأهلهم بالكنسية نرعى اللهو والغزلا[2]

و يقول الجرجاني :" كأنه قال : تلك دار "[3].ونوع هذا الحذف في هذين البيتين هو حذف اسمي حيث حذف اسم الإشارة ذاك وتلك ، حيث ساهم هذا الحذف في ربط البيت الأول بالبيت الثاني وذلك لاجتناب التكرار.

أشار الجرجاني إلى بعض أنواع الحذف التي تنوعت مواضعه في سياق التراكيب التي منها :

-حذف المبتدأ:

يقول الجرجاني :" ومن المواضع التي يطرد فيها حذف المبتدأ، القطع والاستئناف ، يبدؤون بذكر الرجل ويقدمون بعض أمره ، ثم يدعون الكلام الأول ويستأنفون كلاما آخر ، وإذا فعلوا ذلك ، أتو ا في أكثر الأمر بخبر من غير مبتدأ"[4]، ومثل الجرجاني بقول الشاعر عمرو بن معد يكرب من بحر الطويل :

وعلمت أني يوم ذا ك منازل كعبا ونهدا

قوم إذا لبسوا الحدي د تنمروا حلقا وقدا [5]

---

[1] الجرجاني، دلائل الإعجاز:170.

[2]ديوان عمر بن ربيعة (93ه)، تح عبدالرحمن المصطاوي، دار المعرفة، لبنان،ط1، 2007م:245.

[3]عبد القاهر الجرجاني،دلائل الإعجاز :171.

[4]الجرجاني، دلائل الإعجاز:171.

[5]أبو تمام حبيب بن أوس الطائي، ديوان الحماسة، مطبعة التوفيق، مصر، 1322ه،ج1:41.

أي هم قوم ، فالحذف قد جاء في مقطع جديد من مقاطع المعنى ، إذ بعد أن ذكر الشاعر في البيت الأول كعبا ونهدا ، هكذا من غير إشارة إلى ماهم عليه من العدة والقوة ، واستأنف حديثا آخر أو جزءا جديدا من المعنى ، فذكر عدتهم وبنى هذا الاستئناف على الحذف لقوة الدلالة عليه[1].

والمبدأ الذي يقوم عليه الحذف عند الجرجاني هو اعتماد المتكلم على التلميح لا على التصريح ودليل ذلك البيت المعروف من بحر الخفيف :

قال لي كيف أنت قلت عليل سهر دائم وهم طويل [2]

وقد تناول علماء البلاغة بالدرس مجموعة من السياقات، ومنها سياق الحذف والذكر، وتدرك القيمة الحقيقية والكبيرة لسياق الحذف والذكر من خلال السياق العام كسياق الإطناب أو التطويل، أو الإيجاز، وقد تناول الجرجاني هذه السياقات في جانبها التطبيقي وحاول رصد المجال الذي وقع فيه أنماط الحذف، وربط ذلك بنظريته في النظم ، ونجد عنده ربط نسق الذكر والحذف بطبيعة المتكلم في تحليله لقوله تعالى :" واسأل القرية".ويرى أن فهم الحذف فيها يعود إلى غرض المتكلم ، فلو كان المتكلم خارج سياق النص القرآني لاختلف الفهم ، ولكن لأنها جاءت في معرض الوعظ والتذكير فإنها تفضي إلى فهم مختلف [3].ويربط عبد القاهر سياقات الحذف ببعض الموضوعات كما في وروده بشكل معتاد عند ذكر الديار ، ويذكر سياقات أخرى يطرد فيها حذف المبتدأ ، وحذف المفعول ، ويربطها بحاجة المتكلم وبطبيعة التركيب وصلة اللفظة بغيرها ، وفي هذا قد يساوى الفعل المتعدي بالفعل اللازم

[1] تراث حاكم الزيادي، أثر الدرس الدلالي عند عبد القاهر الجرجاني، دار صفاء ، عمان،الأردن،2014.144

[2] هذا البيت مجهول القائل وهو موجود في كتاب : محمد بن علي الحنفي التهانوي (ت1158ه)، موسوعة كشاف الاصطلاحات الفنون والعلوم، تح:عليدرحروج، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت، لبنان ،ط1996،1م،ج1،ص175.

[3] عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة :367.

باعتبار السياق الذي يرد فيه .كقولنا يحل ويعقد ، ويأمر وينهى ، ويضر وينفع [1].وقد يعود اختلاف السياق عنده إلى الدلالة أو إلى طبيعة الصياغة ومقتضياتها ، أو لأن الحذف يدل عليه الحال ، فالسياق عند عبد القاهر هو نقطة البدء ، وليس الكلمة ، ويعتبر أن البحث عن السياق يأتي قبل البحث عن الألفاظ وعلاقاتها .[2]وأورد عبد القاهر بعض سياقات الذكر مؤكدا دور السياق في تركيب الصياغة.وقد حدد الإمام عبد القاهر سياق الحذف وما يجب أن يشترط فيهوهو الاحتراز عن العبث ، وهو سياق يعتمد بالدرجة الأولى على ظهور المتلقي بينا في عملية التوصيل ، وذلك أن ما قامت عليه القرينة ن وظهر عند المخاطب ح فذكره يعد نوعا من العبث بسقوط عنصر الإفادة ، وذلك برغم كون المحذوف يمثل ركنا أساسيا في الكلام ، كأن يكون فاعلا أو مبتدأ في مثل قولنا : حضر .وشمس ،أي هو حضر ، وهذه الشمس [3]ن ونماذجه كثيرة ومتنوعة.ومن أسباب الحذف عند الجرجاني أيضا ضيق المقام عن إطالة الكلام : وهذا السياق في الغالب يتصل بالمتكلم في مجال الإبداع، وعلاقته بالموقف النفسي الذي يعايشه ،كأن يكون في حالة توجع وألم ، نحو قول الشاعر :

قال لي كيف أنت ؟قلت :عليل سهر دائم وحزن طويل

أي قلت : أنا عليل [4].ويمتد هذا السبب إلى مجال الأسلوب الإخباري كأن يخشى فوات فرصة .

وعند الاستئناف يشترط الإمام عبد القاهر الحذف، وهي طريقة في الربط أفضل من الاعتماد علىالذكر . يقول عبد القاهرفي تعليل ذلك وتفسيره ما ينم على رأي مصيب ، وبصيرة نافذة :" الحذف باب دقيق المسلك ، لطيف المأخذ، عجيب الأمر ،

[1] عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة :367.

[2] عبد القاهرالجرجاني دلائل الإعجاز:188.

[3]الجرجاني، دلائل الإعجاز: 188

[4] الجرجاني، المصدر نفسه:188

شبيه بالسحر ،فإنك ترى فيه ترك الذكر أفصح من الذكر ، والصمت عن الإفادة،وقد اطرد حذف المبتدأ مع القطع والاستئناف ، يبدؤون بذكر الرجل ، أو الرجال ، ويقدمون بعض أمورهم أو أمره، ثم يدعون الكلام ويستأنفون آخر .وإذا فعلوا ذلك أتوا في أكثر الأمر بخبر من غير مبتدأ ، مثال ذلك قول عمرو بن معدي كرب:

وقلت إني يوم ذاك منازل كعبا ونهدا

قوم إذا لبسوا الحديد تنمروا حلقا وقدا [1]

فقد ذكر قبيلتين هما كعب ونهد ، ثم استأنف الكلام بعد ذكرهما ، فأخبر بأنهم يشبهون النمور إذا لبسوا ملابس القتال والحرب ، ولم يقل : هم قوم [2].والمبدأ الذي يقوم عليه الحذف هو اعتماد المتكلم على التلميح لا على التصريح ، ودليل ذلك البيت المعروف:

قال لي : كيف أنت ، قلت عليل سهر دائم ، وهم ثقيل [3]

يعلق على ذلك تعليقا يحيل فيه إلى السياق الخارجي، اعتمادا على خبرة المتلقي بسياق الكلام نظما ونثرا . . ولما كان في العادة أن يقال للرجل كيف أنت ويقول : أنا عليل ، أن يسأل ثانية ك مابه ؟ وما عليه؟ قدر كأنه قيل له ذلك فأتى بقوله " سهر دائم وهم ثقيل " على سبيل الحذف مع الاستئناف ن لأن تقديره : بي، أو حالي سهر دائم وهم ثقيل "[4]. والحذف (deletion) عند بعضهم ، من قواعد التماسك النحوي التي أشار إليها ، وتناولها بالتوضيح، والتمثيل ، كل من فان ديك [5] ورقية حسن

---

[1] الجرجاني، دلائل الإعجاز: 71.

[2] ينظر:القزويني، كتاب الإيضاح، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ،ط4، 1975:109.

[3] الجرجاني، دلائل الإعجاز: 71.

[4] ينظر فان ديك،علم النص 81-83 .

[5] ينظر:بيوجراند، النص والخطاب والإجراء ترجمة تمام حسن :345.

وآخرون. وهو لا يقتصر عندهما على كلمة أو مفردة أو مركب اسمي (مبتدأ) وإنما قد يكون حذف جملة كاملة ، فيؤدي حذفها إلى ربط أجزاء من الخبر ، وجعل الجمل المتعددة كالجملة الواحدة ، لاتستطيع التفريق بين أجزائها ، أو أن تميز إحداها عن الآخر ."وعند الإمام عبد القاهر يؤكد استقراء الأمثلة التي عمد فيها المتكلم إلى الحذف بدلا من الذكر أنه –فيما يروق فيه الحذف– خير من الذكر . وإضمار المحذوف في النفس أولى وآنس من النطق به. وذلك قول يحيلنا الجرجاني فيه من النص إلى الخطاب ، وما يتصل به من أوضاع ، وأحوال ن تستقر في نفس القائل ، ووجدانه ، وفي المتلقي ومدى تقبله ، وحجم اهتمامه بما يقرأ ، أو يسمع "[1]

فيرى الإمام الجرجاني في الحذف بابا دقيق المسلك، لطيف المأخذ ، عجيب الأمر بالسحر ." فإنك ترى به الذكر أفصح من الذكر ، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة ، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق ، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن "[2] فكيف يحدث الحذف في نظرة الإمام الجرجاني ؟ يستعرض الرجل الكثير من شواهد الحذف ليعلق عليها قائلا :" تأمل الآن هذه الأبيات كلها ... وانظر موقعها في نفسك ...إذا أنت مررت بموضع الحذف منها ...ثم تكلف أن ترد ما حذف منها ...فإنك تعلم أن الذي قلت كما قلت ، و؟أنرب حذف هو قلادة الجيد"[3]، فتذوق الجمال وسر الإعجاز القرآني يكمن هنا .حيث يقول بعد الآية :" قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون"ا[4]. ويقول : كان القصد فيه أن يثبت المعنى في نفسه فعل للشيء وأن يخبر بأن من شأنه أن يكون منه أو لا يكون منه فإن الفعل لا يعدى هناك، لأن تعديته تنقض الغرض وتغير المعنى "[5].

---

[1].د.إبراهيم محمود، خليل اللسانيات ونحو النص،ص:235.

[2] الجرجاني، دلائل الإعجاز:112.

[3] الجرجاني،االمصدر نفسه: 116.

[4] الزمر: الآية:39.

[5] الجرجاني، دلائل الإعجاز:119.

1-10-حذف المفعول به:

يذهب التحويليون إلى أن المفعول كثيرا ما يحذف إن كان مفهوما مكن السياق[1]، ومن هنا فلابد للأفعال الواردة في هذه القاعدة أن تكون متعدية؛ لكون المفعول لابد منه لوقوع الفعل عليه، من هنا يؤكد الجرجاني أن الحذف يعتمد على آلية التذكر والاسترجاع في تفسيره لظاهرة تتكرر كثيرا ، وهي حذف المفعول به، والتخلي عنه، مع ضرورة ذكره، وكونه ركنا رئيسا في الجملة الفعلية المرتكزة على مكون فعلي متعد. فهوعلى وفق النظريةالمسماة بنظرية المحور عند التوليديين التحويليين يحتل منزلة المتلقي الذي يقع عليه أثر الفعل الذي ينفذه الفاعل [2]. وعلى الرغم من ذلك كله ، يحذف كثيرا أذا كان الكلام السابق ، أو السياق يدلا نعليه دلالة حالية ، أو دلالة لفظية . يقول مشيدا بهذا النوع من الحذف ، وبأثره الجلي في تماسك الكلام وترابط الجمل نوع منه أن تذكر الفعل ، وفي نفسك له مفعول مخصوص ، قد علم مكانه، إما لجري ذكره ، أو دليل الحال عليه ، إلا أنك تنسيه نفسك ، وتخفيه ، وتوهم أنك لم تذكر ذلك الفعل، إلا لأن تثبت نفس معناه من غير أن تعديه إلى شيء .ومثاله قول البحتري :

شجو حساده، وغيظ عداه أن يرى مبصر، ويسمع واع [3].

والمعنى أن يرى مبصر محاسنه ، ويسمع واع أوصافه وأخباره [4].وحذف المفعول به لدلالة الحال عليه كثير جدا .

ومن الحذف نوع طريف كالاكتفاء بجملة جواب الشرط مع حذف جملة الفعل، فكأن المصرح به ، وهو الجواب ن يتضمن الإيحاء بالمحذوف ن وفي ذلك من التلاحم

---

[1] د.نادية رمضان النجار،ا:للغة وأنظمتها بين القدماء والمحدثين،ص: 188:

[2] أبو تمام، ديوان البحتري:31/2.

[3] الجرجاني، دلائل الإعجاز:122.

[4] الجرجاني، دلائل الإعجاز: 121.

ما لا يخفى على ذي نظر . وقد سماه عبد القاهر الإضمارعلى شريطة التفسير . فبدلا من أن يقول القائل :أكرمني عبد الله وأكرمت عبد الله ، وفي ذلك جملتان ، يقول :أكرمني وأكرمت عبد الله. وهذا طريق معروف ، ومذهب ظاهر ، وفيه إذا طلب الشيء من معدنه ما ينم على دقيق الصنعة ، وجليل الفائدة ، كقول البحتري :

لوشئت لم تفسد سماحة حاتم كرما، ولم تهدم مآثر خالد[1]

لأن التقدير : لوشئت لم تهدم مآثر خالد ، فحذف جملة فعل الشرط لدلالة المتقدم على المحذوف . وكذلك تأويل الشطر الأول على أن الأصل فيه : لو شئت ألا تفسد سماحة حاتم لم تفسدها . فاكتفى بالجواب على التفصيل في فعله .

وقد قسم الجرجاني حذف المفعول به إلى قسمين هما:

القسم الأول : حذف المفعول به لإثبات معنى الفعل لا غير ، ومثال ذلك قول الناس: فلان يحل ويعقد ، ويأمر وينهى ، ويضر وينفع ، المعنى في ذلك على إثبات المعنى في نفسه للشيء على الإطلاق وقوله تعالى :" قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب "[2] ، وقوله تعالى :" وأنه هو أغنى وأقنى "[3]؛ المعنى هو الذي منه الإحياء والإماتة والإناء ، وهكذا كل موضع كان القصد فيه أن يثبت المعنى في نفسه فعلا لشيء وأن تخبر بأن من شأنه أن يكون منه أو لايكونإلا منه ، فإن الفعل لا يعد هناك، لأن تعديته تنقص الغرض وتغير المعنى [4]

القسم الثاني : أما القسم الثاني " هو الذي يكون فيه للفعل مفعول مقصود قصده معلوم إلا أنه يحذف من اللفظ لدليل الحال عليه، وينقسم إلى جلي لا صنعة فيه ،

---

[1] الجرجاني، المصدر نفسه: 124.

[2] الزمر:الآية09

[3] النجم: الآية 48.

[4] ينظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز:177.

وخفي تدخله الصنعة "[1]، ويمثل الجرجاني لقسمي الحذف الجلي والخفي " بقولهم : أصغيت إليه ؛ وهم يريدون أذني ، وأغضيت عليه ؛ والمعنى جفني ، أما الثاني ذكر الجرجاني نوعين له هما :

1- أن يذكر الفعل وفي النفس له مفعول مخصوص قد علم مكانه، إلا أنك تنسيه نفسك وتخفيه ،وتوهم أنك لم تذكر ذلك الفعل إلا لأن تثبت نفس معناه من غير أن تعديه إلى شيء أو تعرض فيه لمفعول [2]. ومثاله قول البحتري من بحر الخفيف:

شجو حساده وغيظ عداه أن يرى مبصر ويسمع واع [3]

ويحلل الجرجاني البيت بقوله :" المعنى لا محالة أن يرى مبصر محاسنه ، ويسمع واع أخباره وأوصافه، ولكنه حذف المفعول من ذلك وكأنه يريد أن يصرف العلم بذلك من نفسه ، ويدفع صورته عن وهمه ، ليحصل له معنى شريف وغرض خاص"[4]، ومما لا شك فيه أن الجرجاني في ذلك يقر أنه لا مفر للمنشئ في مثل هذه المواضع إذا أراد الإمتاع الفني بجمال التعبير من أن يتحاشى المحذوف ليس في الذكر الخارجي فحسب ، بل في الجانب النفسي لأن هيئة العبارة وجمال الأسلوب يرومان منه ذلك[5].

2-أن يكون للفعل مفعول معلوم مقصود قصده قد علم أنه ليس لهذا الفعل مفعول سواه بدليل الحال أو ما سبق من الكلام إلا أن المنشئ يطرحه ويتناساه ويدعه يلزم ضمير النفس لغرض أن تتوافر العناية على إثبات الفعل للفاعل ، ومن أمثلة قول عمر بن معد يكرب من بحر الطويل :

---

[1] الجرجاني، لمصدر نفسه:178.

[2] ديوان البحتري: ج2:322

[3] الجرجاني، دلائل الإعجاز :178

[4] الجرجاني، دلائل الإعجاز :178.

[5] تراث حاكم الزيادي، الدرس الدلالي عند عبد القاهر الجرجاني:248.

فلو أن قومي أنطقتني رماحهم نطقت ولكن الرماح أجرت[1]

أجرت فعل متعد ، ومعلوم أنه لو عداه لما عداه إلا إلى ضمير المتكلم، نحن " ولكن الرماح أجرتني " وأنه لا يتصور أن يكون هاهنا شيء آخر يتعدى إليه ، لاستحالة أن يقول لا:(فلو أن قومي أنطقتني رماحهم، ثم يقول : ولكن الرماح أجرت غيري).إلا أنك تجد المعنى يلزمك أن لا تنطق بهذا المفعول [2] .

ومن خلال النظر إلى مجال الحذف عند الجرجاني يلحظ عليه أنه فصل في أنواعه بذكر حذف المبتدأ وحذف المفعول به وجعله أساسا في تحقيق تماسك النص لكونه يجنب تكرار الكلمات ويربط بين أجزاء النص هذا من جهة ومن جهة أخرى يجعل للسامع دورا كبيرا بإشراكه في نسج النص ، وذلك بسد الفجوات من خلال تقدير المحذوف.

[1] ديوان الحماسة :أبو تمام حبيب بن أوس الطائي ، ج1:37.

[2] دلائل الإعجاز:179.

المبحث الثاني:المستوى المعجمي

الترابط المعجمي عند الجرجاني:

و هي ظاهرة مهمة من ظواهر تحقيق الاتساق النصي ، والتيلم يكن لها باب واضح في الدلائل ، لكنها توجد في ثنايا مباحث الكتاب ، فالترابط المعجمي يهتم بأدوات الترابط المعجمية من تكرار وتضام .

أ-التكرار عند الجرجاني:

ويعد التكرار عند الجرجاني من معاني النحو التي تبث في النظم والاتساق، وبما أن التكرار أنواع منه الجزئي ومنه الكلي (التام)؛ والكلي ينقسم إلى تكرير جملتين أو أكثر باللفظ والمعنى ، أو تكرار في المعنى لا في اللفظ.

فالتكرار التام يظهر من خلال تعليق الجرجاني على قوله تعالى :" وقيل يا أرض ابلعي مائك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين" [1].يقول:..ثم مقابلة قيل في الخاتمة بقيل أفترى لشيء من هذه الخصائص التي تملؤك بالإعجاز روعة ...أم كل ذلك لما بين معاني الألفاظ من الاتساق العجيب" ؟[2]؛ فكما هو واضح من مقابلة الجرجاني بين اللفظتين تمت وفق العلاقة القائمة بين قيل المذكورة في الفاتحة ، وقيل المذكورة في الخاتمة ، وهذا من باب الإحالة القبلية بين العنصر السابق والعنصر اللاحق تكرارا تاما بإعادة لفظة قيل ، والذي يسهم في اتساق أجزاء النص وتناغمها رغم تباعد طرفيها.

ومثاله أيضا قوله تعالى :" وما أبريء نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم"[3].

---

[1] هود:الآية:44.

[2] الجرجاني، دلائل الإعجاز:94.

[3] يوسف ، الآية :53.

حيث يرى الجرجاني أن الألفاظ تتكرر بتكرر المعاني ففي المثال تكرر المعنى الذي هو التوكيد بتكرر إن في قوله: إن النفس لأمارة، وإن ربي غفور رحيم.وكذلك تكرار كلمة العواذل في البيت الثاني من بيتي جنذب بن عمار من بحر الكامل:

زعم العواذل أن ناقة جندب بجنوب خبت عريت وأجمت

كذب العواذل لو رأينا مناخنا بالقادسية قلن لج وذلت [1]

حيث يقول الجرجاني في تحليل هذين البيتين :" أنه لما أعاد ذكر العواذل ظاهرا كان ذلك أبين وأقوى لكونه كلاما مستأنفا من حيث وضعه وضعا لا يحتاج فيه إلى ما قبله"[2]، أي أن الجرجاني يشير في هذا القول أن تكرار كلمة العواذل التي ذكرت في أول البيت السابق كان ذلك أبين وأقوى من حيث التماسك النصي بين البيت الأول والثاني.

ويكرر الجرجاني الإشارة إلى ما في الاستئناف من القدرة على الربط بين أجزاء الكلام وجمله وعباراته؛ فتكرار الشاعر لكلمة العواذل في البيت الثاني تكرار حسن لكونه مستأنفا من حيث وضعه الوضع الذي لا يحتاج معه السامع لتذكر ما سبق [3].

والتكرار الجزئي : فيكتفي فيه الناظم بتكرير جزء فونيم حيث مثل الجرجاني بقول البحتري من بحر المتقارب:

فكالسيف إن جئته صارخا وكالبحر إن جئته مستثيبا[4].

ويقول في تحليله: "إن الشاعر ربط بالعطف الفاء وكرر الكاف مع حذفه المبتدأ لأن المعنى لا محالة هو كالسيف، ثم تكرير الكاف في قوله وكالبحر ، وهذا سبب واضح لمحاسن النظم فيه"[5].أي أن السبب واضح لمحاسن التماسك فيه.

---

[1] أبوتمام الطائي، ديوان الحماسة، ج1:82.

[2] الجرجاني، دلائل الإعجاز:243.

[3] إبراهيم خليل نظرية الأدب وعلم النص ::241.

[4] ديوان البحتري،ج1،51.

[5] الجرجاني، دلائل الإعجاز:126.

ومنه فالتكرار عند الجرجاني يعد عاملا مهما من عوامل الربط والتماسك المعجمي لما له من تأكيد المعنى وإبرازه.

ب-المصاحبة المعجمية:

تحدث الجرجاني على آلية التضام من خلال حديثه على ظاهرة العطف بالواو فهاته الآلية تبرز العطف تبريرا تداوليا -حسب فهمنا- ينظر في الخطاب هنا من زاوية التلقي ؛ أي من خلال علاقة المتلقي بالخطاب[1]، حيث يضرب الجرجاني لتوضيح هذه الآلية المثال التالي:"عمرو قائم وزيد قاعد والعلم حسن والجهل قبيح"[2].حيث يظهر التضام في هذيم المثالين من خلال علاقة التضاد القائمة في المثالين وهي: (القائم والقاعد)، (العلم والجهل)، و(الحسن والقبيح).

3-المبحث الثالث:مايتصلبمستعمليالنص:(القصدية-المقبولية-الإعلامية).

أ-القصدية :

وللقصد في المعاجم العربية القديمة أكثر من دلالة لغوية ، إلا أننا سنقف عند المعنى الذي يهمنا في طرحنا هذا .يقول الخليل (ت 175ه) (ق ص د): يستعملان فقط ، قصد : القصد، استقامة الطريقة)[3]، ويضع الخليل القصد في مقابل الخطل فيقول : (والخطل من السهام الذي يذهب يمينا وشمالا لا يقصد قصد الهدف)، وفي الشأن ذاته يقول أبو نصر الجوهري : (القصد : إتيان الشيء ، تقول : قصدته ،

[1] محمد خطابي، لسانيات النص : 103.

[2] الجرجاني، دلائل الإعجاز:233.

[3] الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تحقيق ك د. مهدي المخزومي ، ود. إبراهيم السامرائي ك مادة قصد : 54/5.

وقصدت له ، وقصدت إليه بمعنى)[1]، وبهذا المعنى استعمله الإمام عبد القاهر في إشارته إلى أن التجنيس الأحلى والأحسن هو (ما وقع من غير قصد من المتكلم إلى اجتلابه وتأهب لطلبه)[2]، وجاء في لسان العرب ك(سمي الشعر التام قصيدا ، لأن قائله جعله من باله ، فقصد له قصدا ن ولم يحتسه حسيا على ما خطر بباله ، وجرى على لسانه ن بل روي فيه خاطره ، واجتهد في تجويده، ولم يقتضبه اقتضابا)[3].

وإن العرب القدماء قد سبقوا بزمن طويل الغربيين في مسألة العناية بقصد المتكلم ، ولم يعرف عن القدماء أنهم اختلفوا في ذلك، لأن القصد لديهم مفتاح فهم النص ، ولا يمكن فهم النص إذا لم يؤخذ مقصد التواصل بعين الاعتبار ، فمن غايات الاستعمال اللغوي سواء أكانت عادية أم أدبية ، الاتصال والإفهام[4]

لم يشر المهتمون بالإعجاز القرآني إلى هذا المعيار مباشرة ، ومن ثم لم يرد له تعريف يحدد جوانبه وخصائصه .غير أن الثابت والمتفق عليه أن عمل الباحثين في الإعجاز ، إنما هو قائم على تقديم تفسير أوسع لجوانب من النص القرآني ، وهو جهد يرتكز على كشف / شرح وتفسير لمقاصد الحكم في كتابه ن وبالتالي فإن عملهم ، إنما اهتم بتبيين قصدية المولى تعالى، وهذا استنباط ضمني جلي نتج عنه عدم وجود نقاش صريح.

ويرى علماء النص أنه هذا المعيار، يقع ضمن المعايير الأربعة الأساسية لتحقق النصية وهو : اعتقاد المنشئ أن سلسلة الأحداث القولية التي ينتجها يمكن أن تشكل نصا مسبوكا ..يكون أداة لتحقيق مقاصد المنشئ كأن ينقل معرفة أو يحقق هدفا

[1] الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، مادة قصد: 442/1.

[2] الجرجاني، أسرار البلاغة :7.

[3] ابن منظور، لسان العرب : مادة (قصد): 353/3.

[4] ينظر:د. يحيى رمضان القراءة في الخطاب الأصولي:143.

جرى توصيفه في إطار خطة موضوعة [1]. وقد عبر النقاد والبلاغيون القدماء عن القصد بألفاظ كثيرة منها ، الغرض والحاجة ، والمراد ، والفائدة ، وغيرها ، بل ربما كان مصطلح البلاغة عندهم مرادفا للقصد ، وربما كان المراد من قولنا علم البلاغة علم المقاصد [2] وتتجلى العناية بمبدإ القصد في كثير من الأقوال الواردة في المؤلفات القديمة ، منها ما يذكره الجاحظ عن قائل الشعر ، إنه لم يقصد إلى الشعر ، فلا يعد قوله شعرا ، فيقول :" ولو أن رجلا من الباعة صاح : من يشتري باذنجان ؟ ، لقد كان تكلم بكلام في وزن مستفعلن مفعولات، وكيف يكون هذا شعرا ، وصاحبه لم يقصد إلى الشعر ؟، ومثل هذا المقدار من الوزن قد تهيأ في جميع الكلام ، وإذا جاء بالمقدار الذي يعلم أنه من نتاج الشعر ، والمعرفة بالأوزان والقصد إليها كان ذلك شعرا " [3].

وللنص القرآني نظامه المعجز والخاص، فبناء الآية القرآنية بناء مترابط ومتكامل الأجزاء ، فالتقديم والتأخير، والذكر والحذف والإطالةوالإيجاز والإطناب لا يكون إلا بما يستدعيه المقام والموقف ، والقصد الإلهي [4]والقصد مصطلح مهم جدا عند الجرجاني ، عليه تبنى نظرية النظم فهو من أكثر العلماء الذين رددوا هذا المصطلح ، بل كان محور مدار نظريته ، بوصف العدول عن التركيب الأصل هو لبيان قصد المرسل ، بالاستجابة للسياق تداوليا[5]. واتضح ذلك عند الشيخ عبد القاهر الجرجاني فقد جاء بحثه أسلوبيا استند فيه إلى تحليل النص القرآني من وجهة نظر أسلوبية خالصة حينما وجه التحليل الدلالي للعبارة بديلا عن التقسيم الخارجي (الشكلي)، وبحث علاقات النص التركيبية في السياق ، وتعاضدها في إنتاج الدلالة

---

[1] اختلف الباحثون العرب في ترجمة مصطلح"intentionality"فترجمه كل من : د. تمام حسان بالقصد.

[2] ينظر: مصطفى ناصف، اللغة والتفسير و التواصل:11.

[3] الجاحظ،البيان والتبيين :289/1.

[4]ينظر:د فتحي عامر، فكرة النظم بين وجوه الإعجاز::141

[5]عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب ،دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان،ط2004:1م:201

المتكاملة ، فأكمل ما بدأ به النحاة، ولم يقف عند الجانب الشكلي والظاهري في تعليل التقديم بالعناية والاهتمام والاتساع [1]، بل اهتم واعتمد النظر في الفروق الدلالية والمعنوية لهذه الأساليب بحسب سياقاتها في النص القرآني الكريم .ومن ذلك تفريقه بين دلالتي تقديم الاسم ، وتقديم الفعل ، ومجيء هزة الاستفهام للتقرير بالفعل ، والتقرير بالفاعل كما في قوله تعالى :" قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم" [2].فالاستفهام بالهمزة مع الفعل يكون لمن أنكر ، وتوبيخ لفاعله عليه[3]، لذا بنيت أنماط التراكيب القرآنية وفقا لهذه الدلالات واستنبط الجرجاني من التقرير بالهمزة دلالة إنكار حدوث الفعل من أصله ، ويربطه بنصوص أخرى من التنزيل ، قال :" واعلم أن الهمزة فيما ذكرناه قرير بفعل قد كان وإنكار له لم كان ، وتوبيخ لفاعله عليه ، ولها مذهب آخر وهو أن يكون لإنكار أن يكون الفعل كان من أصله.

ولقد كان الجرجاني مدركا بأنه لا يمكن لأي متكلم أن يتحدث من دون أن يكون له قصد من وراء حديثه حيث أن مصطلح القصد كان محور نظريته في النظم، حيث يوصف سبب العدول ،عن التركيب الأصلي هو لبيان قصد المرسل،بالاستجابة للسياق تداوليا[4] حيث أكد على القصد في عدة مواضع من كتابه ، فيقول :"...فاعلم أن الفروق والوجوه كثيرة ليست لها غاية تقف عندها ، ونهاية لا تجد ازديادا بعدها، ثم اعلم أن ليست المزية واجبة لها في أنفسها ومن حيث هي على الإطلاق، ولكن تعرض بسبب المعاني والأغراض التي يوضع لها الكلام" [5]، وعلى نحو هذا فإنه يركز من خلال هذا القول على القصد في الكلام ، حيث يؤكد ذلك من خلال الفروق والوجوه ، والتي يقصد بها الوجوه والفروق في الخبر ، والشرط

[1] ينظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز:135.

[2] الأنبياء: الآية62.

[3] ينظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز:135 وما بعدها.

[4] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب–مقاربة لغوية تداولية–،ص:201،

[5] الجرجاني، دلائل الإعجاز: 69

والجزاء ، والحال . هذه العناصر التي يعدها من معاني النحو والتي تتعدد وتختلف حسب قصد المتكلم.

فمثلا في قوله : جاءني زيد مسرعا ، وجاءني يسرع ، وجاءني وهو يسرع أو هو يسرع ، وجاءني وقد أسرع ، وجاءني وقد أسرع "[1]، فإنه يعرض لنا عدة تراكيب تؤدي إلى نفس المعنى عموما ، وهو مجيء زيد وإسراعه ،إلا أنه يرد هذا التعدد في المعنى إلى القصد الذي يتوخاه المتكلم من كلامه، فنلاحظ في قوله :" جاءني زيد مسرعا وجاءني يسرع" إثباتا لمجيء زيد مع السرعة في مجيئه ، من دون الفصل بين مجيء زيد وسرعته في المجيء .

أما في قوله :"جاءني وهو مسرع وجاءني وهو يسرع"، فنلاحظ أنه أضاف الواو وضمير الغائب هو ، وفي هذا دلالة على الاستئناف في إثبات السرعة بعد المجيء لزيد منفردا ومنفصلا عن الإسراع ، وكأن بين المعنيين فصل .فالملاحظ لهذاالمثال ومقارنته بالأول يستشف الفرق بينهما ؛ حيث يكمن الفرق في القصد والغرض الذي يريده المتكلم من خلال حديثه.

أما فيما يخص قوله :" جاءني قد أسرع وجاءني وقد أسرع "، فالتركيب الأول يكون للإخبار (القصد) عمن اعتاد المجيء بسرعة والسامع يعلم ذلك ، ولا يشك في هذا المجيء السريع أما التركيب الثاني ،فيكون لسامع يشك في المجيء بسرعة فيضع له المتكلم واو الحال بالإضافة إلى أداة التحقيق قد قصد تأكيد المجيء مع السرعة، وعلى نحو هذا فإن الجرجاني قد راعى القصدية في الكلام بدقة كبيرة ، وبالتالي فإنه قد سبق علماء النصية المحدثين في هذه الجزئية.

إذ أن الإمام عبد القاهر الجرجاني ، فيرى أن توفر القصد في الخطاب ، يعد من الأمور البديهية ، ويفهم هذا من قوله :" وكان مما يعلم ببداهة العقول ، أن الناس

[1] الجرجاني، دلائل الإعجاز: 64.

إنما يكلم بعضهم بعضا ، ليعرف السامع غرض المتكلم ومقصوده "[1]ن وقد ألح عبد القاهر على أن النظم " الذي يتواصفه البلغاء ، وتتفاضل مراتب البلاغة من أجله "[2] ليس إلا توخي معاني النحو ، ويمكن القول : إن عبد القاهر يجعل قصد المتكلم أساسا تقوم عليه نظرية النظم ، وقد تكررت الإشارة إلى هذا المعنى في فقرات كثيرة من كتابه دلائل الإعجاز ، ونقتصر على واحدة منها ، يقول فيها : " وأمر النظم في أنه ليس شيئا غير توخي معاني النحو فيما بين الكلم ، وأنك تراب المعاني أولا في نفسك ، ثم تحذو على ترتيبها الألفاظ في نطقك"[3]ففي هذه الفقرة القصيرة نجد الإشارة إلى القصد في موقعين هما :

الأول : إن النظم ليس شيئا غير توخي معاني النحو.

والآخر: إن المعاني تترتب في النفس أولا ، وبعد ذلك تترتب في النطق.

أما الموقع الأول ن فقد وردت فيه كلمة " توخي " التي تحمل الدلالة على القصد في المعاجم العربية وبناء على هذا يكون معنى توخي في هذا الموقع هو القصد ، فتكون عبارة عبد القاهر المذكورة آنفا بهذا النحو :أمر النظم في أنه ليس شيئا غير قصد معاني النحو بين الكلم .

أما الموضع الآخر: فقد طبق عبد القاهر ما اعتقده في أن المعاني تترتب في النفس أولا ، وترتب المعاني في النفس ، هو المحدد للوظائف النحوية للألفاظ عند النطق بها ، وبعبارة أخرى، أن ترتيب المعاني في نفس المتكلم يتم على وفق غرض المتكلم وقصده ، لتحديد الوظائف النحوية للألفاظ التي يتألف الكلام أما ما قاله في مجال الزيادة فلا يختلف اثنان عن قوله في مجال الحذف ، فالزيادة في الكلام تؤدي إلى المجاز إذا حصل معها تغيير في الحكم الإعرابي ن ففي قوله تعالى : " ليس كمثله شيء " يقول عبد القاهر :" إن الجر في المثل مجاز لأن أصله

[1] الجرجاني، دلائل الإعجاز :530.

[2] الجرجاني، دلائل الإعجاز:51.

[3] الجرجاني، المصدر نفسه :454.

النصب ، والجر حكم عرض من أجل زيادة الكاف ن ولو كانوا إذ جعلوا الكاف مزيدة لم يعملوها لما كان الحديث المجاز سبيل على هذا الكلام"[1]

وفسر الجرجاني الكثير من الأساليب القرآنية بقرينة علم المخاطب ، إذ أن تقدير الجواب يجري بما تعارف عليه الناس " فقد خوطبوا بما يتعارفون عليه"[2].كما أن ترك ذكر الفعل حينما يكون السؤال مذكورا فيه دلالة على إرادته في الجواب[3].فالمعنى والقصد هما العامل في نصب الأولى ورفع الثانية[4].وقد يترك ذكر المفعول به بدلالة القصد والغرض: فقد يتعلق الغرض بمجرد الإعلام بوقوع الفعل من غير تعيين من أوقع عليه،أو إيقاع الفاعل للفعل ، أو إسناد الفعل إلى فاعله، ولا يسمى حينها محذوفا بل متروكا لدلالة القصد عليه[5]. كما تتنوع أساليب النظم بتنوع مقاصد المتكلمين وسياقات الكلام ، يقول الجرجاني "...ولكن تعرض بسبب المعاني ، والأغراض التي يوضع لها الكلام ، ثم بحسب موضع بعضها من بعض ، واستعمال بعضها مع بعض .."[6].ففي النص القرآني نجد تحكم القصد الإلهي في النظم القرآني ، فما من حرف أو كلمة وضعت واستعملت إلا لمقصد إلهي وقرار سابق. وعني النحو القرآني بتوجيه الأحكام النحوية بحسب مقاصد النص وأغراضه. وكان علماء الإعجاز يحاولون الوصول إلى معاني الإعراب ودلالات النص ومقاصده .

إن النظم يتجاوزالدلالة الأولى وهي دلالة اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة إلى الدلالة الثانية وهي دلالة المعنى الظاهر على معنى آخر على سبيل الاستدلال؛ أي يصل المخاطب من خلال هذه الطريق إلى ذلك المعنى ، فيتقابل مع

---

[1] الجرجاني، أسرار البلاغة، ص334-335،.

[2] الجرجاني، دلائل الإعجاز:237.

[3] ينظر: الجرجاني، المصدر نفسه:237.

[4] ينظر: كريم حسين ناصح، نظرية المعنى في الدراسات النحوية، دار صفاء –عمان ،ط1-2006م :88.

[5] ينظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز:168.

[6] الجرجاني، المصدر نفسه:121.

غرض أو قصد المتكلم [1].لذلك يستدل المرسل إليه بلغة الخطاب الظاهرة ، ليفهم الخطاب في قصده الباطني أو المضمر وعلى هذا يتضح أن الجرجاني لا يعني المعنى الظاهر في حد ذاته ،وإنما يجعله سلما يرقى به إلى المعنى غير الظاهر ، أو بعبارة أخرى لا يريد المعنى الذي يحدده الوضع اللغوي ، بل المعنى الذي قصده المتكلم [2]، ولهذا عقد الجرجاني فصلا " في اللفظ يطلق ويراد به غير ظاهره"[3].

فعبد القاهر يعطي أهمية بالغة لقصد المتكلم في العملية التواصلية حيث يقول تحقيق القول على البلاغة والفصاحة ، والبيان والبراعة :" وكل ما شاكل ذلك مما يعبر به عن فضل بعض القائلين على بعض من حيث نطقوا وتكلموا ، وأخبروا السامعين عن الأغراض والمقاصد وراموا أن يعلموهم ما في نفوسهم ، ويكشفوا لهم عن ضمائر قلوبهم "[4]، فالقصدية أساس العملية التواصلية ؛ لأن اللغة وجدت للتواصل التي يتبادل المتكلمون والسامعون من خلالها الأغراض والمقاصد.

وقد تحدث الجرجاني عن القصد فيس عدة مواضعمن بينها "...ليس من فضل ومزية ، إل بحسب الموضع ، وبحسب المعنى الذي تريد والغرض الذي تؤم"[5].

ويقول في موضع آخر:"...لا يكون ترتيب في شيء حتى يكون هناك قصد إلى صورة وصنعة إن لم يقدم فيه ما قدم ولم يؤخر ما أخر، وبدئ بالذي ثني به أو ثني بالذي ثبث به لم تحصل لك تلك الصورة وتلك الصنعة، وإذا كان كذلك فينبغي أن ينظر إلى الذي يقصد واضع الكلام أن يحصل له من الصورة والصنعة "[6]

---

[1] سعيد حسن بحيري، دراسات لغوية في العلاقة بين البنية والدلالة:212.

[2] سعيد بحبري، دراسات لغوية بين البنية والدلالة:210.

[3] الجرجاني، دلائل الإعجاز:110.

[4] الجرجاني، المصدر نفسه:92.

[5] الجرجاني، المصدر نفسه:128.

[6] الجرجاني، دلائل الإعجاز:354.

فصناعة الكلام بحث يقتفي آثار المعاني ، ورصد الأغراض والمقاصد، ومراعاة السياق بما يشمل عليه من ظروف وملابسات وهذا ما أوضحه ى بقوله:"...وإذا نظرتم في الصفة مثلا فعرفتم أنها تتبع الموصوف، وأن مثالها ولك (جاءني رجل ظريف) و(مررت بزيد الظريف)، هل ظننتم أن وراء ذلك علما ، وأن ههنا صفة تخصص وصفة توضح وتبين...كقولهم (أمس الدابر)، فلقد حاول الجرجاني التنبيه على أثر المعطيات السياقية في إنتاج التراكيب اللغوية وما يتتبعه من أغراض ومقاصد ، إلى جانب ملاحظة حال السامع وهيأته ، وغيره من خلال التطبيقات المختلفة في الأساليب اللغوية من تقديم وتأخير ، وحذف، ونفي وإثبات واستفهام ...وغيرها.

ب-معيار : المقبولية (acceptability)

يرتبط مبدأ القبول بما يعرف في النقد القديم بالاستحسان وعدم الاستحسان في الشعر، والمؤانسة والوحشة، ومما قاله عبد القاهر في هذا الصدد:" وما يشهد لذلك أنك ترى الكلمة تروقك وتؤنسك في موضع ،ثم ترها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر"[1].

وهو يرمي إلى مفهوم المقبولية في الدراسات النصية والتي بها يحقق النص نصيته.

وتعتمد المقبولية على العلاقة بين المتلقي والمرسل ، فلابد على المتلقي أن يبتعد عن الغموض، فضلا عن إنتاجه كلاما منظوما أو منثورا متمتعا بقوانين النحو ، ذلك كي يجد الخطاب مكانا في نفس المتلقي ، مما يحقق غرض القبول لديه ، إلا أن الجرجاني لم يركز على أهمية المتلقي في مقبولية القول ، وإنما لمح إلى ذلك في حديثه عن سوء النظم ، حيث بيت الفرزدق الآتي مما فسد وساء نظمه:

[1] الجرجاني، دلائل الإعجاز:81.

وما مثله في الناسإلاممكا أبو أمه حي أبوه يقاربه[1]

فالمتلقي يجد صعوبة في فهم وتأويل هذا التركيب إلى درجة تجعله ينصرف عنه ، وهذا يعني رفض المتلقي للنص أو البيت ، مما جعل الجرجاني يعد بيت الفرزدق من النظم الفاسد[2].

كما نجد تلميحا آخر في حديثه عن الحسن في التأليف ، وما يتركه في نفس المتلقي من استحسان وأريحية ، فيقول :" فإذا رأيتك قد ارتحت واهتززت واستحسنت فانظر إلى حركات الأريحية ...واعمد إلى قول البحتري:

بلونا ضرائب من قد نرى فما إن رأينا لفتح ضريبا

هو المرء أبدت له الحادثات عزما وشيكا ورأيا صليبا

فكالسيف إن جئته صارخا وكالبحر إن جئتهمستثيبا[3]

حيث يعلق الجرجاني على هذه الأبيات قائلا :" فإذا رأيتها قد راقتك وكثرت عندك ، ووجدت لها اهتزازا في نفسك"[4]، فكل هذه الألفاظ التي جاء بها الجرجاني تدل على تقبلية المتلقي ، ذلك لما يجده من حسن ومتعة .

يترتب هذا المعيار على مدى قوة الانسجام والارتباط بين المعيار الأول والثاني ، ويؤدي فيرأييإلى قبول النص اللغوي ، أما إذا حدث خلل بين هذين المفهومين ، فإن عواقب ذلك ليست ايجابية من حيث قبول النص ؛ لان هذا يؤدي إلى تصورات

---

[1] الجرجاني، دلائل الإعجاز:65.

[2] ينظر: التماسك النصي بين اللغتين العربية والانجليزية دراسة تقابلية في الربط النحوي، جامعة اليرموك، أطروحة دكتوراه،2002:7

[3] الجرجاني، دلائل الإعجاز:67.

[4] الجرجاني، المصدر نفسه:67.

خاطئة ، حيث تكمن أهمية البلاغة في الكشف عن المعاني الإضافية وراء الصياغات اللغوية..

ومنه فان هذا المعيار ناتج عن المعيار الأول والثاني ، ولا شك أن هذه المعايير تعمل متضافرة للوصول إلى الغاية المرجوة من النص القرآني ، وهي إيصال أفكاره فيما يتعلق بجوانب العقيدة وتثبيتها وجوانب أخرى متعلقة بالأمور الحياتية .

وقد نتج عن ذلك أن وضوح وجلاء هذا المعيار ، يعتمد على وضوح المعايير السابقة عليه ن فكلما كان النص مسبوكا محبوكا ، أدى إلى وصول قصد المنتج ن الأمر الذي يؤدي إلى قبول المتلقي للنص كلية وعدم رفضه. وهذا الموقف يجسده القرآن الكريم بشكل واضح.

ومن هنا فان الإمام الجرجاني قد تفطن إلى قضية القصد في القرن الخامس الهجري ، والتي يعدها اللسانيونالنصيون المعاصرون عنصرا ركينا وأساسا مكينا من عناصر نصية النص وتماسكه.

ج-الإعلامية(informativity)

يعد معيار الإعلامية من المعايير التي تصنف في ما يتصل بخارج النص، حيث "تتعلق بإمكانية توقع المعلومات الواردة في النص أوعدم توقعها على سبيل الجدة.... وكلما بعد احتمال ورود بعض العناصر ارتفع مستوى الكفاءة الإعلامية، وعلى هذا لابد أن يحمل النص دلالات يريد المبدع إيصالها للمتلقي عن طريق النص اللغوي"[1]، وعلى نحو هذا فإن الإعلامية تتجلى في ما يخبئه النص من مفاجأة للمتلقي ، وبالتالي فإنها تبحث في أوجه الغرابة في القول، وكلما ابتعد القول عن المألوف كلما تحققت فيه الإعلامية أكثر ، وهذا ما أشار إليه الجرجاني في قوله :" وإنما كان

[1] أحمد عفيفي، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة الزهراء،ط1،2001:86.

أعجب ، لأن عمله أدق ، وطريقه أغمض، ووجه المشابكة فيه أغرب "[1]، فنلاحظ أنه يشير هنا ألى الغرابة والغموض، وهذا ما يساهم في عدم توقع المتلقي لما قد يتضمنه المعنى مما يشرك في شحذ أفق التوقع لديه وحثه للبحث عن المعنى الحقيقي مما يعزز غاية الإعلامية.

يبدو أن ما ذهب إليه الشيخ الجرجاني في قوله السابق الذكر ، يتطابق مع ما يدعو إليه أصحاب لسانيات النص المعاصرون ، ولكن الإمام كان سباقا إلى هذا الانجاز والانتباه ، والفارق الزمني الكبير شاهد على ذلك.

لم يتوقف الجرجاني عند هذا القول ، بل أشار إلى هذه القضية في عدة مواضع أخرى كثيرة فيقول :"..أنت تراه لا يقدم شعرا حتى يكون قد أودع حكمة وأدبا ، واشتمل على تشبيه غريب ومعنى نادر..."[2]، وعلى نحو هذا نستشف من قوله أنه يريد من المتكلم أن يورد في كلامه ما هو غريب وعجيب، حتى يخيل للسامع أنه لم يسمع هذا القول أو هذا الكلام من قبل أبدا ، مما يثير الدهشة والروعة والمتعة ، وهذا ما يهم معيار الإعلامية.

وما يمكن ملاحظته في كتاب دلائل الإعجاز أنه يقوم على مبدأ الإخبارية وهو ما يظهر في الأسلوب الذي اتبعه منذ البداية بتعريف القارئ بمتضمن خطاب كتابه من أجل حث القارئ / المتلقي على الاطلاع على الخطاب بكامله.

[1] الجرجاني، دلائل الإعجاز:96.

[2] الجرجاني، المصدر نفسه:252.

المبحث الرابع : مايتصل بالسياق الخارجي محيط النص(السياق المقامي-التناصية)

أ-المقامية(السياق المقامي) (situationalit)":

لقد شاعت عدة مقولات عند العرب قديما تفيد أن إنتاج النصوص لابد له من مراعاة المقام ، فعلى سبيل المثال قولهم :" مراعاة الكلام لمقتض الحال "، وقولهم :" لكل مقام مقال " ، فقد كان المقام معروفا عندهم ، ومثالنا على ذلك تعدد مقامات الشعر عندهم من مدح وفخر وهجاء وغير ذلك" أما الجانب العرفي المقامي أي مايخص انتماء المتخاطبين إلى مجتمع خاص وثقافة خاصة فما يقال في خطاب في مجتمع آخر .فكل ما يخص عملية التخاطب كأي تعامل وتبادل بالكلام مثل الأفعال الإنشائية كالأمر والنهي والدعاء وغيرها والإيقاعية فأغلبها عرفي ولو من حيث الصورة . وقد يخص ذلك اعتقادات المتخاطبين وأفكارهم ونواياهم وتصورهم للعالم (حدد هذا جيدا العالم المتميز فرنسيس جاك "(f.jaques)[1]، وعلى الرغم مما لهذا الموضوع من أهمية بالغة فإن الجرجاني لم يفرد له بابا خاصا ، إلا أنه كان أعمق من ذلك حيث لم يتحدث عنه مباشرة ، بل بينه من خلال حديثه عن السياق اللغوي الذي يمثل المرتكز الأساس في دلائل الإعجاز ، فيقول:" فينبغي أن ينظر في الكلمة قبل دخولها في التأليف وقبل أن تصير إلى الصورة التي بها يكون الكلم إخبارا ، وأمرا ونهيا، واستخبارا وتعجبا، وتؤدي في الجملة معنى من المعاني التي لا سبيل إلى إفادتها إلا بضم كلمة إلى كلمة وبناء لفظة على لفظة ، هل يتصور أن يكون بين اللفظتين تفاضل في الدلالة حتى تكون هذه أدل على معناها الذي وضعت له من صاحبتها على ما هي موسومة به"[2]، وعلى نحو هذا فإن الجرجاني أقصر على السياق اللغوي للوصول إلى المقام ، وكأن الحديث عن المقام كان عنده ة شيئا بديهيا لابد لأي

[1] د.عبد الرحمن الحاج صالح ، الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، سلسلة علوم اللسان عند العرب، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2013 : 228

[2] الجرجاني، دلائل الإعجاز:35

متكلم مراعاته؛ فهو يرى بأن على المتكلم أن يراعي السياق أثناء نظمه للكلام ، وذلك عبر تخيره للألفاظ المناسبة للسياق، وفق مقد المتكلم ومراده.

كما نجده يمثل للسياق اللغوي في قوله:" فاعمد إلى أي كلام شئت ، وأزل أجزاءه عن مواضعها وضعها وضعا يمتنع معه دخول شيء من معاني النحو فيها ، فقل في " قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ": من نبك قفا حبيب ذكرى ومنزل.ثن انظر هل يتعلق منك بكلمة ما "[1]، ومن هنا فالسياق اللغوي المنظوم (التأليف) يلعب دورا كبيرا في الدلالة على المراد والقصد اللذين يرتبطان بالسياق العام.

ما يمكننا القول هنا أن الإمام الجرجاني قد تنبه للسياق، ونظر إليهنظرة عميقة تنم عن فكره ونظرته الثاقبة" وقد رأينا عبد القاهر الجرجاني يتخطى البحث في النظم إلى إيضاح العلائق التي تربط الجملة بالأخرى، متجاوزا مهمة النحو التقليدي التي تقوم على التنظير للجملة مستقلة عما عداها من جمل ، وعن الوظائف الاتصالية للكلام المطرد"[2].

يمثل القول في أسباب النزول ألصق مباحث علوم القرآن بما نحن فيه من استقراء العلاقة بين النص والمقام ، فهو دال كاشف عن هذه العلاقة ن وبصور متعددة تشمل السياقين: اللغوي والمقامي. وتشير كتب علوم القرآن إلى أن كل آية أو مجموعة من الآيات نزلت عند سبب خاص استوجب نزولها ، وأن هذه الآيات التي نزلت دون سبب خارجي قليلة جدا. وقد أدرك علماء الإعجاز القرآني أن السبب أو المناسبة المعينة هي التي تحدد الإطار الواقعي الذي يمكن فهم الآية أو الآيات من خلاله ،وأدرك العلماء العرب الأوائل أن قدرة المفسر على فهم النص على فهم النص لا بد أن تسبقها

[1] الجرجاني، دلائل الإعجاز:314.

[2] إبراهيم محمود خليل، في اللسانيات ونحو النص : 237.

معرفة بالوقائع التي أنتجت هذه النصوص. وإن معرفة أسباب النزول لم تكن مجرد ولع برصد الحقائق التاريخية التي أحاطت بصياغة النص ، بل هدفت إل فهم النص واستخراج دلالته فإن "العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب كما يقولون "[1]، ويعبر ابن عاشور في تفسيره (التحرير والتنوير) إلى تلازم الأغراض والمعاني في القرآن الكريم ، بحسب ترتيب الآية الكريمة " ذلك فيه من المناسبة في المعاني وانسجام في نظم الكلام"[2]. وأما الزمخشري فإننا نلاحظ أنه وإن لم يصرح بمصطلح المناسبة فإنه كان يستعمل صيغا تدل على ذلك دلالة واضحة من مثل :"فإن قلت : من المأمور بقوله : "وبشر " قلت (...) وغن قلت : علام عطف هذا الأمر ، ولم يسبق أمر ولا نهي يصح عطفه عليه ؟ قلت : وقد يتم بصيغة تقريرية كقوله :" وذلك إشارة إلى إحياء القتيل ،أو إلى جميع ما تقدم من الآيات المعدودة "[3]

ب-التناصية "intertextuality "

ربما تكون مقولة علي بن أبي طالب –رضي الله عنه- " لولا أن الكلام يعاد لنفذ" أكدت حقيقة مفادها أن الكلام لا بد له من علاقة ما، تربطه بكلام سابق ن وأن كل نص يعد امتصاصا لنص آخر ، وتحويلا له.

ولقد عرف التناص عند القدماء بمفهوم آخر، وهو السرقات الشعرية ، حيث أن هذه الظاهرة نالت اهتماما كبيرا في الدراسات القديمة، ومن هنا فقد خصها الجرجاني بالذكر في كتابيه دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة، وهذا لا ينفي معرفته بالتناص، إذ" ليس معنى افتقاد المصطلح نصا افتقاد مدلوله"[4]، إلا أنه في بعض المواضع يشير

---

[1] السيوطي، الإتقان في علوم القرآن،65/1.

[2] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير: 465/3.

[3] الزمخشري الكشاف ، :/290.

[4] تراث حاكم الزيادي، الدرس الدلالي عند عبد القاهر الجرجاني، دار فاء للنشر والتوزيع، عمان ،ط132،2011،1.

إليها بالاحتذاء فيقول :" واعلم أن الاحتذاء عند الشعراء وأهل العلم بالشعر وتقديره وتمييزه أن يبتدئ الشاعر في معنى له وغرض أسلوبا – والأسلوب الرب من النظم والطريقة– فيعمد شاعر آخر إلى ذلك الأسلوب فيجيء به في شعره فيشبه من يقطع من أديمة نعلا على مثال نعل قد قطعها صاحبها فيقال أنه احتذى على مثاله"[1]، وعلى نحو هذا فإن الجرجاني يشرح لنا التناص بطريقته وبما كان يعرف عندهم ، والملاحظ أنه نظرته للتناص وفق مفهومه كانت نظرة دقيقة، ذلك أنه يتجاوز التناص الظاهر إلى المعنى وهذا ليس بالأمر السهل اكتشافه.

وعلى نحو هذا"فإن التناص في رؤية الجرجاني لا يمكن تحققه يقينا إلا في المستوى الدلالي الذي يتم إنتاجه من إنشاء علاقات نحوية بين مفردات مركبة في سياق لغوي..إن ما يفهم من كلام الجرجاني عن هذه القضية ، هو ابتعاد الجرجاني عن أن يحكم على السرقة بالمعاني العامة أو بالألفاظ وإنما كان حكمه مبنيا على ترتيب الكلام وإخراجه"[2]، ومن هنا فإن الجرجاني لم يحدد السرقات بالمعنى أو بالألفاظ.

ويورد لنا الشيخ عدة نماذج فيما يخص السرقات نذكر منها :

" وقول الفرزدق:

أنرجو ربي أن تجيء صغارها بخير وقد أعيا ربيعا كبارها

واحتذاه البعيث فقال :

أنرجو كليبا أن يجيء حديثها بخير وقد أعيا كليبا قديمها "[3]

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز:361.

[2] تراث حاكم الزبادي، الدرس الدلالي عند عبد القاهر الجرجاني::13.

[3] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز:361.

من خلال هذين النموذجين يظهر لنا التناص واضحا ، فقد أخذ البعيث معنى بيته من عند الفرزدق وحتى أنه أخذ بعض الألفاظ.إذ يعتبر التناص ظاهرا في هذا المثال، إلا أن صاحب الدلائل يورد أمثلة أكثر غموضا ، حيث يكون التناص في المعنى فقط دون تكرار اللفظ، ومثال ذلك ما أورده في قول البحتري:

ولن ينل الحسادمجدك تمكن رضوى واطمأن متالع

وقول أبي تمام:

ولد جتم أن تزيلوازه فإذا أبان قد رسا ويلملم

قد احتذى كل منهما بقول الفرزدق:

فادفع بكفك إن أردت بناءها تهلان ذا الهضبتان ها يتحلحل "[1]

ومن خلال هذه الأمثلة التي أوردها عبد القاهر الجرجاني نستطيع أن نقولأنه كان عالما بمفهوم التناص، وإن اختلف الفظ فإن المعنى واحد ، إلا أنه لم يكن مساندا لهذه الظاهرة بل كان ضدها ،" وأغلب الظن أن رفض الجرجاني للسرقات كان مستندا إلى إيمانه بأن لكل مبدع أو منشئ أسلوبه وطريقته في التعبير التي يتميز بها عن غيره ، فقد يكون المعنى أو الغرض واحدا ، إلا أن عرض هذا المعنى على وفق رؤية الجرجاني لا يمكن أن يكون واحدا، [2]نحو هذا فإن وعلى الجرجاني وكثير من القدماء كانوا يعلمون تمام العلم ما يقصده أصحاب لسانيات النص بالتناص اليوم ، ومن خلال تطرقنا للمعايير النصية من وجهة نظر عبد القاهر ، نجد أنه قد أسس للسانيات نص عربية في القرن الخامس الهجري ، ذلك أنه قد تطرق إلى كل المعايير التي تنادي بها لسانيات النص، بل فاقها في بعض التراكيب.

[1] عبد القاهرالجرجاني، دلائل الإعجاز:362.

[2] تراث حاكم الزبادي، لدرس الدلالي عند عبد القاهر الجرجاني:134.

إن المتأمل في معيار الانسجام يتوهم أن الجرجاني لم يتوسع فيه، وأنه قد تطرق إليه من غير قصد، لكن هذا غير صحيح فإن عدم تطرق الجرجاني إلى الانسجام بمفهومه المعاصر ليس تقصيرا منه ، بل إن ذلك نابع من فلسفة عميقة لا تتأتى للعامة ، ذلك أن التماسك النصي عنده لا يكمن في عزل الاتساق عن الانسجام ، بل في الجمع بينهما بإعمال معاني النحو ، ذلك أن الاتساق (ترابط أجزاء النص أفقيا) لا يكون ولا يستقيم إلا بحضور الانسجام الذي يمثل الجانب الدلالي ؛ فأثناء معالجته للنظم لم يتعامل مع ما يساهم في اتساق النص ثم ما يساهم في انسجامه ، بل جعلهما وجهين لعملة واحدة لا يمكن الفصل بينهما ، ومن خلال ما سبق يمكننا القول أن نحو النص هو مجرد ثوب جديد لنظرية النظم، وفق مفاهيم ومصطلحات حديثة لا غير،و يعد التناص من المعايير المهمة ضمن معايير النصية كما حدده بوجراننددرسلر، وإن كان هذا المعيار يأتي في مرتبة تالية لمعياري النصية ، السبك والحبك وعلى الرغم من هذا الكلام المهم ، إلا أن هذا المعيار مهم كذلك لتحقق النصية ، وليصبح الكلام نصا متكاملا ، وليس بالضرورة تحقق كل هذه المعايير ، وقد عرفه المهتمون بنحو النص : بأنه علاقة تقوم بين أجزاء النص بعضها ببعض ، كما تقوم بين النص والنص ، كعلاقة السؤال بالجواب وعلاقة التلخيص بالنص الملخص وعلاقة المسودة بالتبييض وعلاقة المتن بالشرح وعلاقة الغامض بما يوضحه ، وعلاقة المحتمل بما يحدد معناه . وهذه العلاقة الأخيرة هي المقصودة بعبارة القرآن يفسر بعضه بعضا " [1].

[1] د.تمام حسان، نحو الجملة ونحو النص : 2.

ويستشهد بقول المتنبي من بحر الخفيف:

إنما أنت والأب القا طع أحنى من واصل الأولاد[1]

وفسره بأن الشاعر لم يرد أن يعلم كافورا أنه والد لم يكن يعلمه لأنه لا يحتاج إلى الإعلام بأنه والد، وما يقع على عاتقه من واجبات ومسؤوليات [2].

ومنه فمورفيم إنما هو رابط شكلي يسهم في اتساق النص ، وترابط وحداته ، وذلك من خلال إثبات الحكم لما بعدها ، ونفيهما سواها، كما أنها تحقق الإيجاز لأنها نمط تعبيري يتسم بالإيحاء والتعبير عن المضمون بأقصر عبارة وأقل مفردات." وقد كان للجرجاني وقفات متعددة مع هذه الظاهرة الفنية ، وهو في ذلك لا ينفصل عن نظريته في النظم ، وإنما يؤسس مواقفه على ضوء خيوطها، التي تنتظم في مستوى الظاهر أو الباطن"[3] . فالجرجاني من خلال نظرية النظم كان حاسما في تشييد أفق بلاغي ولساني لقضية السرقات الشعرية التي كانت قبله سؤالا غير فني مرتبط في أحد جوانبه بسؤال الأخلاق والسياسة . من هنا فإنه يتردد عبر كتابه دلائل الإعجاز من الإفصاح عن أن سبيل المعاني [4]"أن ترى الواحد منها غفلا ساذجا عاميا موجودا في كلام الناس كلهم ، ثم تراه نفسه وقد عمد إليه البصير بشأن البلاغة وإحداث الصور في المعاني، فيصنع فيه ما يصنع الصانع الحاذق ، حتى يغرب في الصنعة ، ويدق في العمل ، ويبدع في الصياغة"[5]. وإذا كان من شأن المعاني أن تختلف عليها الصور، فإنه في تصور الجرجاني لا سبيل إلى أن تجيء إلى معنى

---

[1] المتنبي، ديوانه ، ص:464.

[2]:أبو الفرج الأصفهاني (ت356ه)،الأغاني، تح، إحسان عباس، بكر عباس وآخرون، دار صادر بيروت، دط،دت ، ج20:146

[3] محمد عبد المطلب، قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، محمد عبد المطلب :159.

[4]عبد القادر بقشي، التناص في الخطاب النقدي والبلاغي –دراسية نظرية تطبيقية– ،إفريقيا الشرق–المغرب– ،دت،2007م:38.

[5] الجرجاني، دلائل الإعجاز:397.

بيت من الشعر ، أو فصل من النثر، فتؤديه بعينه وعلى خاصيته وصفته . وبعبارة أخرى حتى يكون المفهوم من تلك ، لا يخالفه في صفة ، ولا وجه ، ولا أمر من الأمور . ولا يغرنك قول الناس :" قد أتى بالمعنى بعينه وأخذ معنى كلامه فأداه على وجهه، فإنه تسامح منهم والمراد أنه أدى الغرض فأما أن يؤدي المعنى بعينه على الوجه الذي يكون عليه في كلام الأول حتى لا تعقل ههنا إلا ما عقلته هناك وحتى يكون حالهما في نفسك حال الصورتين المشتبهتين والشنفين ففي غاية الإحالة وظن يفضي بصاحبه إلى جهالة عظيمة "[1].ولعله بهذا يقرر أن الصورة الفنية هي أساس التفاضل الفني والتمييز بين الأساليب الشعرية المتقابلة . وهو الأساس الموضوعي الذي حد من خلاله من مفعول المضمون الأخلاقي التهجيني للسرقات ليقترح بديلا نظريا جديدا يراعي خصوصية الخطاب الشعري بما يقوم عليه من تصوير وبناء فنيين[2].

ويكاد هذا الأمر يشكل طابعا عاما ، أسر الرؤية النقدية العربية القديمة فأغرقها في جزئية مخلة بطبيعة النص الأدبي المبنية على الكلية والشمولية. فيصدق هذا المنحى على عمل الجرجاني نفسه ، فرغم أنه عالج مبحث السرقات معالجة بلاغية وجمالية فريدة قريبة من التصور الدلالي للتناص في النظرية النقدية الحديثة ؛ فغن تحليلاته للنصوص والمعاني ظلت جزئية . يمكننا ملاحظة ذلك من خلال حديثه عن اتفاق الشاعرين في المعنى الواحد، إذ قسم هذا الأمر إلى قسمين[3] :

" قسم أنت ترى أحد الشاعرين فيه قد أتى بالمعنى غفلا ساذجا ، وترى الآخر قد أخرجه في صورة تروق وتعجب .وليس هذا مكمن المأخذ، بل في الأمثلة الكثيرة

[1] الجرجاني، دلائل الإعجاز :266-267.

[2] اعبد القادر بقشي، التناص في الخطاب النقدي والبلاغي:39.

[3] عبد القادر بقشي، المرجع نفسه:46.

والمتنوعة التي أوردها لكل قسم على حدة؛ ذلك أنه غالبا ما يكتفي بإيراد البيت وما يقابله دون تعليق، دون نظر إلى السياق والنسق الشعري الذي ورد فيه".

وقد أطلق الجرجاني على التناص مصطلح الاحتذاء حيث يقول :" واعلم أن الاحتذاء عند الشعراء وأهل العلم بالشعر وتقديره وتمييزه أن يبتدئ الشاعر في معنى له وغرض أسلوبا –والأسلوب الضرب من النظم والطريقة فيه فيعمد شاعر آخر إلى ذلك الأسلوب فيجيء به في شعره ، فيشبه بمن يقطع من أديمه نعلا على مثال نعل قد قطعها صاحبها فيقال : قد احتذى على مثاله "[1] .

ومثل قول الفرزدق من بحر الطويل :

أترجو ربيع أن تجيء صغارها بخير وقد أعيا ربيعا كبارها [2]

واحتذاه البعيث فقال من بحر الطويل :

أترجو كليبا أن يجيء حديثها بخير وقد أعيا كليبا قديمها[3]

وإحساس الفرزدق بعملية الاحتذاء عند سماعه هذا البيت جعله يقول من بحر الوافر:

إذا ما قلت قافية شرودا تنحلها ابن حمراء العجان[4]

وبناء على هذا فإن التناص في تفكير الجرجاني لا يمكن تحققه يقينا إلا في المستوى الدلالي الذي يتم إنتاجه من إنشاء علاقات نحوية بين مفردات مركبة في سياق لغوي، والتي تسهم بشكل أساسي في انسجام وارتباط أجزائه.

---

[1] الجرجاني، دلائل الإعجاز:430..

[2] الديوان، الفرزدق:267.

[3] أبو عبيدة بن المثنى التيمي البصري(209ه)، نقائض جرير والفرزدق، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان–ط1،1419ه–1998م،ج1:85.

[4] أبوعبيدة بن المثنى، نقائض جرير والفرزدق:95.

وهو عنده أن يذهب شاعر إلى احتذاء أسلوب شاعر آخر ، وبذلك يمكن القول أن الاحتذاء –البناء الفني –الذي جاء به الجرجاني نوع من التناص.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

خلاصة الفصل الرابع

يظهر مما سبق أن النحاة المتقدمين كانوا أصحاب نظرة تكاملية شمولية في دراساتهم النحوية و في تناول النص القرآني من خلال تطبيق ما يعرف بالمنهج التكاملي لما تسموا به من موسوعية التأليف والنظر. ويقوم هذا المنهج أساسا على عدم انفصال النحو عن معانيه، وربط الظواهر وتعلقها ببعض، وهذه الفكرة في أصلها ترجع إلى النحويين، وحازوا قصب السبق فيه.كما اتضح أنهم كانوا ذوي منهج شمولي وظفوا جميع الوسائل لخدمة النص، من اللغة والنحو والصرف والدلالة والأساليب، وقد سبقوا غيرهم في التنبه على تحليل بنية النص القرآني، ومكوناته، وعلاقاته، والظواهر الأسلوبية القرآنية : كالحذف والالتفات والفصل والوصل.وهي من أهم مفاهيم ومعايير و أسس علم دراسة النص في الدراسات اللسانية المعاصرة.

و كان فضل الجرجاني كبيرا في دراسة موضوعات تتعلق بنحو النص، وبين آليات انسجامه وتماسكه .و نشير هنا إلى دراسته موضوع الحذف والذكر، والتقديم والتأخير، والحقيقة والمجاز، والاستعارة والكناية ، والتعريض،فهي مواضيع ذات أثر فاعل في تحديد مفهوم النص ذاته .فالكثير من الدارسين قد تناولوا هذه القضايا في كتب الجرجاني وعيا منهم بنحو النص إلا أنهم تعسفوا في تأكيد مقصديته دراسة هذا الموضوع دون غيره .

ففي قول الجرجاني أهم الأسس التي يقوم عليها نحو النص ويتأسس، بل إن قوله يمثل جوهر الدراسات النصية. فكل ما جاء في قوله من مفاهيم، الواحد منها يعد لبنة أساسية في علم النص ونحو النص. كل حسب موقعه ومعناه، كما يشير إلى أهمية الدلالة التي تعتمد على وضع الكلمات والجمل في مواضعها الصحيحة في النص.

وقد كان لإدراك الجرجاني طبيعة علم النحو أثر بارز في خدمة نحو النص، وفهم النصوص ، فهما علميا، وما كان حديثه في بعض جزئيات نحو النص، على نحو

حديثه في الفصل والوصل الذي يعد نموذجا بارزا لما يجب أن يبحث فيه هذا العلم، وليس هو كل نظرية نحو النص، ضمن فهم الجرجاني لعلم نحو النص بمصطلحه المعاصر إلا إبرازا لموضوع ظاهر من مواضيع هذا العلم ، وربما لم يقدم كتاب الدلائل كاملا ، أكثر من نظرية جديدة لعلم النحو، وسيكون الدليل على صدق هذه الدعوى، ما قدمه الجرجاني ذاته ، في الدلائل وفي مؤلفاته الأخرى ، حيث قال:" وأعلم أن ليس النظم أي صناعة النص إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه، وأصوله، وتعرف مناهجه، التي نهجت، فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك، فلا تخل بشيء منها. وذلك أنا لا نعلم شيئا يبتغيه الناظم بنظمه، غير أن ينظر في وجوه كل باب، وفروقه.

و يبدو واضحا وجليا أن الجرجاني يرى أن النص لا يتكون إلا حسب قوانين النحو، ومناهجه، و الإمام هنا يعيي تمام الوعي أن علم النحو، ليس نحو الجملة فقط ؛إذ يرى أن نحو الجملة جزء يسير من علم النحو، ويؤكد هذا الفهم، ما أكمل به الإمام كلمته، اذ يقول: فينظر في الخب. وفي الشرط والجزاء وفي الحال فيعرف لكل ذلك مواضعه ، ويجيء به حيث ينبغي له، فهذا هو الجزء من علم النحو ، الذي يمكن تسميته ب"نحو الجملة"، ضمن مفهوم الجرجاني ، ولكنه يرى أن في علم النحو أجزاء أخر ، وذلك في قوله :" وينظر في الحروف ، التي تشترك في معنى ، ثم ينفرد كل واحد منها بخصوصية في ذلك المعنى ، فيضع كلا من ذلك في خاص معناه . وهذا الجزء من علم النحو، هو أشد الأجزاء التصاقا بالأول، ولكنه بعد توسعة له؛ إذ يوضح ما يرتبط بالجملة ارتباطا أصليا، بعد تمام أركانها الأساسية : المسند والمسند إليه ، مع أننا نرى أن الحال بأشكاله ، المختلفة والمفاعيل بأنواعها ، والتمييز ، والتوابع ...من هذا الجزء، وليس من نحو الجملة، بل هو ما يمكن أن نطلق عليه نحو ما فوق الجملة ، ثم يعطي الجرجاني جزءا ثالثا ، من أجزاء علم النحو كما يظهر له وذلك إذ قال :" وينظر في الجمل ، التي تسرد ، فيعرف مواضع الفصل فيها ، من مواضع الوصل،

وهذا الجزء هو الجزء الثالث، من أجزاء علم النحو ، وهو الجزء الأساسي في نحو النص ؛لأنه المميز الحقيقي لنحو الجملة عن نحو النص؛إذ فيه يتجلى ربط المتتاليات الجملية ، التي تشكل النص الكلي ، ومن خلاله نوضح تماسكها. ثم يذكر جزءا رابعا من أجزاء علم النحو ، وذلك في قوله :" وينظر في التعريف والتنكير ، والتقديم والتأخير في الكلام كله، وفي الحذف والتكرار ، والإضمار والإظهار، فيضع كلا من ذلك مكانه ، ويستعمله على الصحة ،وعلى ما ينبغي له.

وهذا الأخير من أجزاء النحو، هو الذي يقاس به تمايز النصوص بعضها من بعض؛ إذ هو المظهر لوعي النص، أو الناظم، في ترتيب كلامه، حسب توالي المعاني في النفس.

وعبد القاهر الجرجاني في تناوله للعلاقات النحوية يميل إلى ربطها بالسامع والمتلقي، بل يجعل وظيفة الناظم هادفة إلى تبليغ المعنى إلى المتلقي اعتبارا لتواجده في عملية النظم تواجدا ظاهرا جليا.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الخاتمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الخاتمة:

إذ كشفت هذه الدراسة عن التلاقي والتلاقح الفكري والتراكم المعرفي، وأن هناك خطا عاما وقاسما مشتركا يتلاقى فيه نمط التفكير اللغوي، وأن هذا الفكر يتقاطع ليلتقي عند الحقيقة، والألسن وإن تعددت أدواتها واختلفت مناهجها وتباينت مناهجها، فإن نتاج الفكر البشري جبل على توليد الكلام بعدد لا متناه من التراكيب الجملية باستعمال عدد لا محدود من الكلمات، وبناء على قواعد ومبادئ عامة تهدف اللسانيات الحديثة إلى تحديدها والكشف عن آلياتها. وقد اعتادت الدراسات النحوية على تناول موضوعات نحوية في القرآن الكريم وتقصي لأحكامها وقواعدها،

وقد وضعت الدراسة في مقدمة أهدافها التأسيس لنحو نص عربي انطلاقا من القرآن الكريم، وإن كانت مهمة صعبة وليست باليسيرة ومحفوفة بمخاطر الزلل لا تدرك إلا لمن رسخت أقدامه في علوم اللغة والعلوم المجاورة. كما أنني حاولت أن أثبت وجود نحو نص عربي في كل مبحث من مباحث الدراسة بما عرضته من أقوال النحاة وتحليلاتهم للنص القرآني. وقد اهتديت من خلال البحث إلى نتائج مهمة في الدراسات النحوية القرآنية منها :

1-مصطلح النص له دلالات تتفاوت بين العموم والخصوص، فهو عند علماء الأصول نوع من أنواع دلالة اللفظ على معناه، والأصل فيه أنه مصدر للفعل نص ينص بمعنى الرفع والإظهار والإسناد، ونص القرآن ونص السنة أي ما دل ظاهر لفظهما عليه من الأحكام. وقد أفاد نحو النص أو" لسانيات النص" أو "علم لغة النص" من نحو الجملة، مبنى ومعنى، ومن الدراسات الأسلوبية ومن المناهج والمعارف السابقة، ولكنه أضاف إلى تلك المعارف والمناهج ما يؤكد نصية النص وبلاغة الخطاب، من غير أن يتوقف على المناهج التي كانت تجتزئ النص اجتزاء ثم تقف عند الأجزاء فقط، فكل ساعد على تصور النص كيانا لغويا متعدد المستويات، مكونا من أجزاء مترابطة، أو أنظمة متشابكة متماسكة.

2-إن دراسة علمائنا القدماء للغة لم تكن دراسة عقيمة أو متحجرة غامضة، بل كانت دراسة خصبة عميقة وتجلى ذلك من خلال الدراسة وجوه التلاقي والقواسم المشتركة بين ما طرحته النظرية اللسانية الغربية وما طرحه الدرس اللغوي عند القدماء في الأسس والمعايير والمفاهيم المعتمدة، فضلا عن منهج المعالجة والتحليل وإن اختلفا في الأبعاد. إذ كانت الأبعاد للنظريات في الدرس اللغوي العربي تأخذ في غالب الأحيان مدى أوسعا وأشمل مما هي عليه في الدرس اللساني الغربي. وأن معظم المفاهيم التي طرحتها النظريات اللسانية الغربية كانت بديهية ومعروفة في الدرس اللساني العربي التراثي إن لم نقل أنها من المسلمات، وإن اختلفا في اختيار المصطلح المعبر عن المفهوم، فقد كان ما يحمله هذا المصطلح مطروحا ومتداولا عند العرب القدماء بشكل صريح حينا وبالتلميح حينا آخرا. إلا أن ذلك لم يشكل اختلافا مركزيا جوهريا مادام المدلول واحدا.

3-أسست وقعدت الدراسة لمفهوم نحو النص في النحو العربي، كما حددت نشأته وبداياته واتجاهاته، وكشفت عن الأسس والمعايير الفكرية التي اعتمدها النحاة القدماء في تحليل بنية النص القرآني. فالاعتماد والارتكاز على الشاهد القرآني وحده لا يعد كافيا للحكم على النص القرآني إلا إذا كان متضافرا مع الأسس والمعايير الفكرية والمعنوية.

4-كشف البحث عن المعايير المعنوية التي بني عليها الفكر النحوي النصي القرآني ومنها: المعنى، والقصد، والترابط، و التماسك النصي، ومراعاة أحوال المخاطب والمقام. وكان لها الأثر البالغ في بناء النص وصياغة الأساليب.

5- كشفت الدراسة عن فكرة القرائن النحوية المعنوية منها والسياقية في الاستدلال على المعاني، فقد وظفها دارسو النص القرآني في الكشف عن الوحدة النصية القرآنية، وبناء الأحكام النحوية القرآنية، وإيضاح العلاقات بين أجزاء التركيب ومنها القرينة الحالية ، وقرينة المناسبة، وقرينة المخاطب، وفسر النحاة من خلالها كثيرا من مواطن الحذف، والتقديم والتأخير، وعدول الألفاظ عن مواضعها في القرآن الكريم. فقد كشفت

جهودهم الحثيثة أنهم كانوا يؤسسون لمفاهيم القرائن بما يدل دلالة واضحة على شيوع تلك المفاهيم في بيئة الدرس النحوي .

6- بحث النحاة القدماء أهم مباحث النحو النصي من خلال البحث في النص القرآني منها: الوقف والابتداء في النص، والرابط المعنوي بين عناصره ، والفصل والوصل، وما يطرأ على بنية النص من حذف ،أو زيادة، أو تقديم، أو تأخير، أوعدول لغوي وانحراف أسلوبي في استعمال الألفاظ والتراكيب .

7-كان بحث نحاة القرن الخامس الهجري لظاهرة الحذف بحثا قرآنيا خالصا، فقد أوجد النظم القرآني نمطا خاصا من القواعد القرآنية قائما على الاستغناء والحذف، والقدماء عبروا عن الحذف بالترك والاستغناء استدلالا بالمتقدم ذكره، أو بمعرفة السامع به، وهو ما جرى عليه العرب في كلامهم وسننهم في القول .

8-يقوم جوهر الدعوة إلى نحو النص في القرآن الكريم على إعادة المعاني إلى النحو، ويكون ذلك بإعادة الصلة التي تقطعت أوصالها بين النحو والقرآن الكريم. وإقامة نحو جديد يستمد أصوله من منهج المعني الذي وضع أسسه القدماء.

9-أظهر البحث أن النحويين الأوائل كانوا سباقين في الكشف عن معايير الترابط والتماسك النصي، وهم وإن لم يضعوها في إطار نظرية مستقلة، إلا أن جهودهم تشير إلى أن النحو العربي قدم نظرية نحوية نصية من خلال نحو النص القرآني كشفت عن الملامح الأولى لنحو النص انطلاقا من نص القرآن الكريم.

10-نبه البحث على أن العدول والخلل في منهج الدرس النحوي كان نقطة التحول المهمة في تأريخ النحو العربي، وانحراف مسيرة التفكير النحوي. وقد أضرت بالنحو أيما إضرار؛ إذ أدت إلى فصل النحو عن معانيه المستمدة من القرآن الكريم ، وتحول مفهوم النحو من وظيفته المعنوية والشمولية إلى تخصصه بفن الإعراب والأشكال .

11-طالب البحث بإعادة وصف اللغة والنحو وصفا جديدا يقوم على أساس المعاني لا الأشكال، واعتماد قرائن المقام والسياق. وقد مثلت هذه الملامح أهم أسس التفكير النحوي القرآني التي أصلها ووضع أركانها ودعائمها القدماء.

12–أسس تناول النص القرآني الكريم لفكرة النص في الدراسات النحوية، كما أسس لمنحى جديد في النحو يستند إلى قواعد بناء النصوص، واتصال عناصر الكلام وانسجامه، وإن بناء القاعدة النحوية لا بد أن يسبقه فهم وتدبر لأحوال النص ومحيطه. وهو تطور في التفكير النحوي بما يثبت أن نشوء نظرية نحو النص في الدراسات اللسانيات الحديثة لابد أن يكون قد سبق بإرهاصات ورؤى متناثرة واطلاع على الفكر النحوي القرآني.

13–تمثل دراسة النحو القرآني صورة من صور نحو النص باصطلاحه المعاصر؛ لما احتواه من أسس ومعايير كونت أهم معايير النصية في الدراسات النحوية القديمة، إلا أن النحاة العرب لم يدرسوه ضمن هذا الاصطلاح المتطور ، ولم يضعوه في إطار نظرية مستقلة ، بل تعارفوا على أسسه وأدركوا مكوناته.

14.برهنت جهود النحويين وأفكارهم أمرا ثابتا وحقيقة جلية بما لا يقبل الشك أن علم المعاني مبحث مهم من مباحث وموضوعات علم النحو، وهذا يدل على أن العودة إلى الأصل، وما خلفه علماؤنا من تراث ضخم أساس لكل درس جديد .فالنحو القرآني قديم في أصوله وجذوره؛ حديث في أشكاله ومفاهيمه ومصطلحاته، ولم يتخصص في الجانب النحوي أو البلاغي، بل هو يجمع ذلك في هيئة متكاملة ذات رؤية أدبية فكرية شاملة.

15–كان فضل الجرجاني كبيرا في دراسة مباحث تتعلق بنحو النص، وبيان آليات انسجامه ففي دراسة الجرجاني موضوع الحذف والذكر، والتقديم والتأخير، والحقيقة والمجاز، والاستعارة والكناية، والتعريض وعي من الجرجاني على حسب كثير من الدارسين بنحو النص ،وقد كان لوعي الجرجاني بطبيعة علم النحو أثر بارز في خدمة نحو النص، وفهم النصوص فهما علميا دقيقا .ففي ما ذهب إليه الجرجاني أهم الأسس والمفاهيم التي ارتكز عليها نحو النص، لا بل إن قوله يمثل جوهر الدراسات النصية. فكل ما جاء في قوله من مفاهيم، الواحد منها يعد لبنة أساسية في علم لغة النص ونحو النص.

16–تضمنت دراسات الجرجاني عناصر مهمة وأساسية في كثير من جوانبها في نحو النص ، تتكرر بشكل أكثر تفصيل بيد أننا هنا يمكن أن نوجزها في: المزاوجة ، النظم ، تعلق الاسم ، الكلم ، تعلق بمجموع الجملة ، تعلق حرف النفي والاستفهام والشرط والجزاء ، وما يدخل عليه التقديم والتأخير، الحذف ، الفصل والوصل، اللفظ والنظم ، القصر والاختصاص ، الموازنة. وقد جهد عبد القاهر في سبيل هذا الهدف وشقي في الوصول إلى ذلك الغرض حتى خرج بقاعدة لا تتخلف وقانون لا يقبل النقض. وبالتالي فإن استخراج المعاني الثواني تحتاج إلى قراءة واعية في نحو النص ويلتقي هذا المسعى والبلاغة العربية القديمة ، في أن كليهما يهدفان من وراء قراءة النص إلى استخلاص المعاني الخفية غير المباشرة، أو معنى المعنى حسب تعبير الجرجاني. وقد فرضت طبيعة الموضوع لنحو النص الاعتماد على تلك الأدوات اللغوية المباشرة . ومما تجدر الإشارة إليه أن أسرار البلاغة يتضمن مجموعة من العناصر التي يمكن توظيفها في عقد العلاقة بين الدراسات التراثية واللسانيات النصية بوجه خاص، و ينتقي من الاتجاهات التراثية، مما يتناول الإعجاز القرآني ، لما يلي:

–أن العالم عبد القاهر الجرجاني لم يكن يغفل بين ما عرف بعد بعلم البديع ، ومن ثم اشتمل أسرار البلاغة على عناصر نحو النص، نراها غاية في الأهمية ، يمكن أن توظف التوظيف الأمثل في التناول النصي والإفادة منها . فجاءت دراساته؛ لتؤسس لنظرية في البلاغة العربية، عرفت بنظرية النظم ، ومن هنا فإن إدراج الأسرار من هذا المجال ليس فيه كبير إجحاف على الاتجاه في الإعجاز القرآني ويؤدي هذا التصور إلى محاولة حصر المعايير التي تفيد الجانب النصي: الجناس، السجع ، الحسن والقبيح ، حسن التأليف، حسن الكلام بالمعاني لا بالألفاظ.

ولا يسعنا أن نقول إلا ما قالت الدكتورة عائشة عبد الرحمن في كتابها الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق:" ونمضي ونترك للأجيال بعدنا ما نترك، والباب

مفتوح أبدا ليس لأحد أن يدعي أنه أغلقه، والمجال رحب يتلقى كل حين جديد لن يلبث أن يصير من القديم، دون أن تسلم الحياة بأن أحدا قال الكلمة الأخيرة فيه".

ولعل من إعجاز القرآن أن يظل معروضا على الأجيال تتوارد عليه جيلا بعد جيل ، وهو رحب المدى سخي المورد، كلما حسب جيل أنه بلغ منه مبلغا، امتد الأفق بعيدا، وراء كل مطمح وفوق كل طاقة."

ونحن في أمس الحاجة لأن نقرأ تراثنا وفقا لمنطق الوصل لا الفصل، والتعاضد لا التدابر؛ فليس التراث كما يذهب كثير من المحدثين علوما منعزلة، فهذا نحو وبلاغة، وتلك فلسفة...واعتقادي أن تناولا يغفل هذا التعالق المفاهيمي بين التبديات المختلفة التي اعتبرناها علوما منعزلة لن تصل بنا إلى ما يروي الغلة. ومن هذه الوجهة الجديدة تبدت لنا منظومة العلوم التراثية–التي دارت حول النص الكريم–مترابطة الأجزاء، منسجمة الغايات، وتكونت لنا من البحث والتنقيب كليات بالغة الحداثة نظرا، والدقة تطبيقا؛ وهكذا وجدنا أنفسنا ونحن نبحث في علوم القرآن إزاء وصل معرفي متعدد المناحي يلتقي رغم تعدده واختلافه في هدف واحد، هو الكشف عن جوانب الإعجاز وتدقيقها موضوعيا وتنمية الوعي بها معرفيا.

وفي الأخير ما يمكن قوله أن ما طرحته هذه الدراسة من مفاهيم نحو النص وعلم لغة النص، واعتبرت عند الغرب رمزا للحداثة قد طرحت عند المفكرين العرب القدماء، بل إن معظم ما جاء به هؤلاء، وتفاخروا بالوصول إليه كان من مسلمات وبديهيات الفكر العربي التراثي إلا أن حداثة الفكر الغربي تكمن في الإطار والقالب الذي عرضت فيه هذه الأفكار، وإن كان الفكر العربي القديم قد عرفها بشكل مشتت مبثوث في مصنفاتهم هنا وهناك، فلم يكن كل ما جاءت به اللسانيات الحديثة من مبتكرات العصر بقدر ما هي إلا إعادة صياغة لفكر تراثي تنوسي فيه المبتكر وأشتهر فيه المقلد. ونحن الخلف نبدأ من حيث خلص السلف، وجهودهم بين أيدينا دلائل على الطريق، لا ننقص من مكانته ولا نحط من قيمة أهله، ونرى في كل منهم جهد وعمل زمنه ومستوى حضارة وتقدم ذلك الزمن.

المصادر والمراجع

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1. إبراهيم السامرائي، التطور اللغوي التاريخي، دار الرائد، القاهرة، 1966م.
2. إبراهيم السامرائي، من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط6، 1978م.
3. إبراهيم الكرباسي، مُلْحَة الإعراب في نخبة من سور الكتاب، مطبعة الآداب، العراق، 1988م.
4. إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، الأنجلو المصرية، القاهرة، ط3، 2003م.
5. إبراهيم عبد الله رفيدة، النحو وكتب التفسير، الدار الجماهيرية، ليبيا، ط3، 1990م.
6. إبراهيم محمود خليل، في اللسانيات ونحو النص، كلية الآداب، الجامعة الأردنية، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن،2006م.
7. ابن الأثير، ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة، نهضة مصر، ط1، 1960م.
8. أحمد إبراهيم، القول في القرآن الكريم، دار الشؤون، عمان، ط1، 1997م.
9. أحمد بن فارس، الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تحقيق مصطفى الشويمي، مؤسسة بدران، لبنان، 1963م.
10. أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق مصطفى الشويمي، مؤسسة بدران، لبنان، 1963م.
11. أحمد سليمان ياقوت، ظاهرة الإعراب في النحو العربي، شركة الطباعة العربية السعودية، الرياض، ط1، 1981م.
12. أحمد عبد الستار الجواري، نحو القرآن، المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1974م

13. أحمد عبد الستار الجواري، نحو المعاني، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، ط2،2006م.
14. أحمد عزت يونس، دار الآفاق العربية، العلاقات النصية في لغة القرآن الكريم، القاهرة، مصر، ط1. 2014م.
15. أحمد عفيفي، نحوالنص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة الزهراء، ط1،2001
16. أحمد مكي الأنصاري، نظرية النحو القرآني، القاهرة، مصر، 1985م.
17. أحمد ياسوف، جماليات المفردة القرآنية في كتب الإعجاز والتفسير، دمشق، ط1، 1994م.
18. الأزهر الزناد، نسيج النص-بحث في ما يكون به الملفوظ نصا-، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1991م.
19. أشرف عبد البديع، الدرس النحوي النصي في كتب إعجاز القرآن، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2008م.
20. الأصفهاني، كتاب الأغاني، تح إحسان عباس وآخرون، دار صادر بيروت، دط، ج20.
21. إلهام أبو غزالة وعلي خليل حمد، مدخل إلى علم لغة النص، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ط2، 1999م.
22. الأنباري، أبو البركات ، عبد الرحمن بن محمد الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين تح محمد محيي الدين عبد الحميد، ط4، دار الإحياء العربي، 1966م.
23. أوزوالد ديكرو، جان ماري شايغر، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ترجمة د. منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 2007م.
24. الباقلاني، محمد بن الطيب، إعجاز القرآن، تحقيق، د. أحمد صقر،دار المعارف، مصر،(د ت).

25. الباقولي، علي بن الحسين، كشف المُشكِلات وإيضاح المعضلات في القراءات، جامع العلوم تحقيق د. محمد أحمد الدالي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ط1، 1995م.
26. بان الخفاجي، مراعاة المخاطب في النحو العربي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2008م.
27. البحتري، أبو الوليد بن عبادة، ديوان البحتري ، تحقيق عمر فاروق الطباع، دار الأرقم، بيروت ،ط1،(دت) .
28. البرقوقي، شرح ديوان أبي الطيب المتنبي، دار الكتاب العربي، بيروت ، 1986.
29. بسيوني عبد الفتاح فيود، علم المعاني –دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، 2004م.
30. بشرى موسى صالح، نظرية التلقي أصول وتطبيقات، دار الثقافية، بغداد، ط1، 1999م.
31. البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب، ط3،1991م
32. بوجراند روبرت.دي، النص والخطاب والإجراء، تر تمام حسان،عالم الكتب،القاهرة،1988م.
33. تراث حاكم الزيادي، أثر الدرس الدلالي عند عبد القاهر الجرجاني، دار صفاء، الأردن،2011م.
34. تراث حاكم الزيادي، الدرس الدلالي عند عبد القاهر الجرجاني، دار وفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط 1،2011م.
35. تمام حبيب بن أوس الطائي، ديوان الحماسة، مطبعة التوفيق، مصر، ج1. أبو
36. تمام حسان، البيان في روائع القرآن، تمام حسان، عالم الكتب، مصر، 2002م.

37. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، مصر، ط4، 2004م.

38. الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين، دار مكتبة الهلال، بيروت، 1431ه.

39. الجاحظ، عمرو بن بحر، كتاب الحيوان، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1969م.

40. الجرجاني،عبد القاهر، أسرار البلاغة تحقيق ريتر، دار المسيرة للصحافة والطباعة والنشر بيروت، لبنان، ط3،1983م.

41. الجرجاني،عبد القاهر، العوامل المائة في علم أصول العربية، تحقيق زهران البدراوي، المعازف، مصر، ط2، 1988م.

42. الجرجاني،عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق محمد رضوان الداية وآخرون، مكتبة سعد الدين، دمشق،1987م

43. الجمحي، ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود محمد شاكر، دار المعارف، مصر،1952 م،

44. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1973م.

45. ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، الهيئة المصرية، القاهرة، ط4، 1999م.

46. جون لاينز، اللغة والمعنى والسياق، ترجمة د. عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1987م.

47. حسن عون، تطور الدرس النحوي، معهد البحوث والدراسات العربية، مطبعة الجيلاوي، مصر، 1970م.

48. حسين حامد الصالح ، التأويل اللغوي في القرآن الكريم، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2005م.

49. حسين نصار، المعجم العربي، دار مصر للطباعة، مصر، 1988م.

50. الحلواني، محمد خير، المفصل في تاريخ النحو، تحقيق المتولي رمضان أحمد الدميري، دار التضامن للطباعة ، القاهرة1988
51. أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين، المكتبة العصرية، بيروت، 1953م.
52. ابن خالويه، الحسين بن أحمد، الحجة في القراءات، تحقيق أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية ، دت.
53. ابن خالويه، الحسين بن أحمد، كتاب إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، دار التربية، (د ت).
54. خديجة الحديثي، الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه، مطبوعات جامعة الكويت، 1974م.
55. خلود العموش، الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النص والسياق"مثل من سورة البقرة"، عالم الكتاب الحديث، الجامعة الهاشمية، الأردن، 2008م.
56. خليل بنيان، النحويون والقرآن الكريم، الرسالة الحديثة، عمان، ط1، 2002م.
57. د. جمعان بن عبد الكريم، النص- المداخلة أنموذجا- دراسة لسانية نصية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2009م.
58. ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن، جمهرة اللغة، دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، 1345ه.
59. دلخوش جار الله حسين، الثنائيات المتغايرة في كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، دار دجلة، الأردن ،2008.
60. ابن أبي ربيع الإشبيلي، البسيط في شرح جميل الزجاجي، دار الغرب، بيروت، ط1، 1986م.
61. ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، دلالة السياق، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ط1،1424 ه.

62. ابن رشيق، القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق محمد قرقزان، دار المعرفة، بيروت ، ط1،1988 م
63. الزبيدي، محمد بن علي (ت 379هـ)، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق أبو الفضل إبراهيم المعارف، مصر، 1973م.
64. الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الفكر،لبنان.دت.
65. زتسيلاف واورزنياك، مدخل الى علم النص، ترجمة د. سعيد بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، ط1، 2003م.
66. الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، تحقيق مازن المبارك ، مصر، 1959م.
67. الزجاجي، معاني القرآن وإعرابه، تح عبد الجليل شلبي، الحديث، القاهرة، 2004م.
68. الزركشي، محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، 2006م.
69. الزمخشري، أساس البلاغة، دار الكتب المصرية، 1223ه.
70. الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، المعرفة، بيروت، ط3، 2009م.
71. الزملكاني، عبد الواحد عبد الكريم، البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن، تح د. خديجة الحديثي ود. أحمد مطلوب، مطبعة العاني، بغداد ط1، 1974م.
72. زهير غازي زاهد، في التفكير النحوي عند العرب، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1986م.
73. سعيد الزبيدي، القياس في النحو العربي، دار الشروق، عمان، دط، 1992م.
74. سعيد حسن بحيري، دراسات لغوية وتطبيقية، دار العمرانية، القاهرة، ط1 ، (د ت).

75. سعيد حسن بحيري، علم لغة النصّ المفاهيم والاتجاهات، ط1، مؤسسة المختار، القاهرة، 2004م.
76. سيبويه، الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الخانجي، القاهرة، ط3، 1988م.
77. السيوطي، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط3، 1990م.
78. السيوطي، جلال الدين، معترك الأقران في إعجاز القرآن ،دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1988م.
79. الشحات السيد زغلول، الاتجاهات الفكرية في التفسير، الهيئة المصرية للكتاب، ط1، 1975م.
80. شلتاغ عبود، أسرار التشابه الأسلوبي في القرآن الكريم، دار المحجة البيضاء، بيروت، ط1، 2003م.
81. شوقي ضيف، تجديد النحو، دار المعارف، مصر، 1982م.
82. صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصّي بين النظرية والتطبيق، دار قباء، القاهرة، ط1، 2000م.
83. صبري الأشوح، إعجاز القراءات القرآنية- دراسة في تاريخ القراءات واتجاهات القراء، مكتبة وهبة، القاهرة ط1، 1998م
84. طالب الزوبعي، معجم الجملة القرآنية، مطبعة التعليم العالي، بغداد، 1988م.
85. طه الراوي، نظرات في اللغة والنحو، المطبعة التجارية، بيروت، ط1، 1962م.
86. عائشة عبد الرحمن، الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، المعارف، مصر، ط3 (د ت).
87. عائشة عبد الرحمن، التفسير البياني للقرآن الكريم، المعارف، مصر، ط1 (د ت).

88. عباس أمير، المعنى القرآني بين التفسير والتأويل، الانتشار العربي، بيروت، ط1، 2008م.

89. عباس حسن، اللغة والنحو بين القديم والحديث، المعارف، مصر، ط1، 1966م.

90. ابن عباس، كتاب اللغات في القرآن، تحقيق صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، لبنان، ط2، 1972م.

91. عبد الجبار علوان، الشواهد والاستشهاد في النحو، بغداد، ط1، 1979م.

92. عبد الرحمن الحاج صالح، الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، سلسلة علوم اللسان عند العرب، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، 2013 م.

93. عبد الرحمن المصطفاوي، ديوان عمر بن ربيعة (93ه)، تح، دار المعرفة، لبنان،2007م.

94. عبد الرحمن عبد الهادي، سلطة النص، سينا للنشر، بيروت، لبنان، ط2، م1998.

95. عبد العال سالم مكرم، القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية، دار المعارف، مصر (د ت).

96. عبد العال سالم مكرم، المدرسة النحوية في مصر والشام في القرنين السابع والثامن للهجرة ،مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1990م.

97. عبد الفتاح لاشين،التراكيب النحوية من وجهة النظر البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني، الرياض، ط1، 1980م.

98. عبد القادر بقشي، التناص في الخطاب النقدي والبلاغي –دراسية نظرية تطبيقية– ،إفريقيا الشرق–المغرب–،دت،2007م.

99. عبد القادر بقشي، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمد خلف الله و د. محمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر (د ت).
100. عبد الله خضر حمد، لسانيات النص القرآني، دراسة تطبيقية في الترابط النصي، دار القلم .للطباعة والنشر والتوزيع ، لبنان،(دت).
101. عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان،2004م.
102. عبده الراجحي، دروس في كتب النحو، دار النهضة العربية، بيروت، 1975م.
103. أبو عبيدة بن المثنى التميمي البصري، نقائض جرير والفرزدق، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،1998م.
104. عفيف دمشقية، أثر القراءات القرآنية في تطور الدرس النحوي، معهد الإنماء العربي، بيروت ط1، 1978م.
105. عفيف دمشقية، المنطلقات التأسيسية والفنية إلى النحو العربي، معهد الإنماء العربي، بيروت، ط1، 1978م.
106. العكبري، أبو البقاء، عبد الله بن الحسين، التبيان في إعراب القرآن، تحقيق علي محمد البجاوي، دارإحياء الكتب العربية،بيروت، 1976م.
107. علي أبو المكارم، أصول التفكير النحوي، دار غريب، مصر، ط1، 2006م.
108. علي أبو المكارم، المدخل إلى دراسة النحو العربي، دار غريب، القاهرة، ط1، 2006م.
109. علي كاظم الأسد، المُفسِرون ومستويات الاستعمال اللغوي، دار الضياء، العراق، ط1، 2007م.
110. علي مهدي زيتون، إعجاز القرآن وأثره في تطور النقد الأدبي ، دار المشرق، نصوص ودروس، المجموعة الأدبية، بيروت ، لبنان،ط2،2002م.

111. عمر أبو خرمة، نحو النص، عالم الكتب، أربد،الأردن، ط1، 2003م.
112. الغرناطي، أحمد بن الزبير ، البرهان في تناسب سور القرآن، تقديم سعيد الفلاح، إدارة الثقافة والنشر، جامعة الإمام محمد بن سعود ، المملكة العربية السعودية، 1988م.
113. الفارسي،أبو علي، المسائل الشيرازيات، تحقيق حسن محمود هنداوي، مطبعة كنوز اشبيليا، السعودية، ط1، 2004م.
114. الفارسي،أبو علي، المسائل العسكريات، تحقيق علي جابر المنصوري، مطبعة الجامعة، ط1، 1982م.
115. فاضل السامرائي ، معاني النحو ، دار الفكر، عمان، ط2، 2003م.
116. فاضل السامرائي، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، دار عمان، الأردن، ط1، 1999م.
117. فان دايك، النص والسياق، ترجمة عبد القادر قنيني، دار إفريقيا الشرق، بيروت ، 2000م.
118. فان دايك، علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، ترجمة سعيد بحيري، دار القاهرة ،القاهرة ،2001م.
119. الفراهيدي ،الخليل بن أحمد، العين، تحقيق د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي
120. أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، تح إحسان عباس وآخرون، دار صادر بيروت، دت،
121. الفيروز آبادي ، القاموس المحيط، دار العلم للجميع، بيروت، (د ت).
122. ابن قتيبة، تفسير غريب القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، المكتبة العلمية، بيروت، 2007م.

123. ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، أدب الكاتب، المكتبة العصرية، بيروت، 2004م.

124. ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، تأويل مُشكل القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، دار التراث القاهرة، ط2، 2006م.

125. القرطاجني، ابن حازم منهاج البلغاء، تح محمد الحبيب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط3، 1986م.

126. القزويني، الإيضاح، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ،ط4، 1975،

127. القلقشندي، أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء،دار الكتب العلمية، بيروت،1987م.

128. كاصد الزيدي، دراسات نقدية في اللغة والنحو، نحو القرآن بين تقصير القدامى وقصور المحدثين، دار أسامة، عمان، ط1، 2003م.

129. كريم حسين ناصح ، الخطاب النفسي في القرآن الكريم ، دار صفاء، عمان، 1، 2007م.

130. كريم حسين ناصح، نظرية المعنى في الدراسات النحوية، دار صفاء،عمان ،ط1.2006

131. الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى، الكليات، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق،ط2،1981 م

132. مارغوت وفولفنغ هاينمان، ترجمة د. موفق محمد المصلح، أسس لسانيات النص ،دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط1، 2006م.

133. المتنبي، أبو الطيب، ديوان المتنبي، دار بيروت للصناعة والنشر، بيروت، لبنان، د ط، 1983 م

134. ابن مجاهد، أحمد بن موسى بن العباس، كتاب السبعة في القراءات، تحقيق د. شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط3 (د ت).
135. محمد أحمد عرفة، النحو والنحاة بين الأزهر والجامعة، مطبعة السعادة، مصر (د ت).
136. محمد الأخضرالصبيحي، مدخل إلى علم لغة النص، الدار العربية للعلوم، الجزائر. ط1، 2008م.
137. محمد الصغير بناني، المدارس اللسانية في التراث العربي وفي الدراسات الحديثة، دار الحكمة، 2001م.
138. محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير.465/3، دت.
139. محمد حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة، مطبعة جامعة القاهرة، ط1، 1983م.
140. محمد حماسة عبد اللطيف، في بناء الجملة العربية، دار غريب، القاهرة، 2003م.
141. محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب،المركز الثقافي العربي، بيروت،الدار البيضاء، الطبعة الأولى،1991م.
142. محمد رضا مبارك، استقبال النص عند العرب، المؤسسة العربية، بيروت، ط1، 1999م.
143. محمد زغلول سلام، أثر القرآن في تطور النقد العربي إلى آخر القرن الرابع الهجري ، دار المعارف، مصر، ط2، 1961م.
144. محمد سالم أبو عفرة، السبك في العربية المعاصرة–بين المنطوق والمكتوب، القاهرة، مكتبة الآداب ، ط1، 2010م.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

145. محمد عبد الواحد حجازي، أثر القرآن الكريم في اللغة العربية، السنة الثالثة ، الكتاب الثالث والأربعون، سلسلة البحوث الإسلامية، مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، مصر، ذو القعدة 1391 ه، ديسمبر 1971م.
146. محمد عيد، أصول النحو العربي في نظر ابن مضاء القرطبي في ضوء علم اللغة الحديث ، دار نشر الثقافة، مصر (دت).
147. محمد عيد، في اللغة ودراستها، عالم الكتب، القاهرة، دار نشر الثقافة، القاهرة، 1974م.
148. محمد نجيب اللبدي، أثر القرآن والقراءات في النحو العربي ، دار الكتب الثقافية، الكويت، ط1، 1978م.
149. محمود أحمد نحلة، لغة القرآن الكريم في جزء (عمّ)، النهضة العربية، بيروت، ط1، 1988 م.
150. محمود السعران، علم اللغة، دار الفكر العربي، القاهرة، ط2، 1997م.
151. محمود حسن الجاسم، تأويل النص القرآني وقضايا النحو، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط2، 2016م.
152. محي الدين حميدي وآخرون، الموسوعة اللغوية ترجمة، ي كولنج ،المجلد الأول جامعة الملك سعود ،الرياض، ج1،1421ه .
153. مصطفى النحاس، نحو النص في ضوء التحليل اللساني للخطاب، الكويت،2001.
154. مكي بن أبي طالب القيسي، كتاب الإبانة عن معاني القراءات، تح محي الدين رمضان، المأمون، دمشق، ط1، 1979م.
155. ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، دار صادر، بيروت،ط3،1994م.

156. مهدي المخزومي، الخليل بن أحمد الفراهيدي أعماله ومنهجه، مطبعة الزهراء، بغداد، 1960م.
157. نادية رمضان النجار، اللغة وأنظمتها بين القدماء والمحدثين،دار الوفاء،الإسكندرية،مصر،1997م.
158. النحاس، أبو جعفر، معاني القرآن، تحقيق د. يحيى مراد، دار الحديث، القاهرة، ط2، 2004م.
159. نعمان بوقرة، الخطاب والنظرية والإجراء، دار جامعة الملك سعود للنشر، المملكة العربية السعودية، ط1، 2019م.
160. نهاد الموسى، نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1980م.
161. هدى صلاح رشيد، تأصيل النظريات اللسانية الحديثة في التراث اللغوي عند العرب، منشورات ضفاف، بيروت، لبنان، ط1،2015م.
162. ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق محمد عبد الحميد، دار سعد الدين، دمشق، ط1، 2008م.
163. هناء محمود إسماعيل، النحو القرآني في ضوء لسانيات النص، دارالكتب العلمية، بيروت، لبنان،2012م.
164. وليد منير، النص القرآني من الجملة إلى العالم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 1997م.

المجلات:

165. التماسك النصي بين اللغتين العربية والانجليزية- دراسة تقابلية في الربط النحوي-،جامعة اليرموك، أطروحة دكتوراه، 2002.
166. خلود جبار، السياق و أثره في الكشف عن المعنى، -دراسة تطبيقية في كتب معاني القرآن -دكتوراه -كلية التربية للبنات .بغداد ،2008 م

الرسائل الجامعية:

167. سعد مصلوح، نحو أجرومية للنص الشعري–" دراسة في قصيدة جاهلية–" مجلة فصول، مجلد10، العددان الأول والثاني يوليو، 1991م.

168. صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص،عالم المعرفة،العدد 164، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1992م.

169. عبد الخالق شاهين، المعايير النصية في التراث العربي، جامعة الكوفة، رسالة ماجستير، العراق،2012 م.

170. عبد الرحمن بودرع، في لسانيات النص وتحليل الخطاب نحو قراءة لسانية في البناء النصي للقرآن الكريم، بحث مقدم للمؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية،2001م.

171. عبد المجيد جميل، علم النص، مقالة في مجلة عالم الفكر، المجلد32، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت

172. عدوية عبد الجبار، القرائن الدلالية للمعنى في التعبير القرآني ، إشراف أ د.كاصد الزبيدي، أطروحة دكتوراه ، كلية التربية للبنات –بغداد، 2006م.

173. كريمة صوالحية، التماسك النصي في ديوان أغاني الحياة لأبي القاسم الشابي، دراسة أسلوبية، مذكرة ماجستير،إشراف عبد السلام ضيف، جامعة الحاج لخضر، باتنة،2011م.

174. محمد العبد، حبك النص، بحث منشور في مجلة فصول،العدد59، ربيع 2002م.

فهرس المحتويات

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس المحتويات

الشكر والعرفان	
الإهداء	
الشكر والعرفان	
كلمة لا بد منها	
مقدمة	أ---ل
الفصل الأول:الإطار النظري والتاريخي لنحو النص	62-13
توطئة	15-14
المبحث الأول:مفهوم النحو	18-15
المبحث الثاني: مفهوم النص	19
مفهوم النص عند القدماء	19
النص في المناهج الغربية	24-19
مفهوم النص في كتابات النحاة وعلماء البلاغة	26-24
مفهوم النص عند المحدثين	30-27
مفهوم نحو النص	35-30
أ-نحو النص في الدراسات العربية القديمة	43-35
ب- نحو النص في الدراسات الغربية الحديثة	48-43
مهمة الدرس النحوي	47
مجالات الدرس النصي	50-48
أدوات نحو النص ووسائله	51
النواحي اللغوية	51
النواحي الإجتماعية	-51
النواحي النفسية	52-51
الإحالة والمرجعية	53-52

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

التجزئة النحوية النصية	54
أجرومية النص	54
التحويل التوليدي للنص	54-55
المبحث الرابع: التعريف ببعض مصطلحات نحو النص	55-61
الإحالة	58
معايير النص	59-61
خلاصة الفصل الأول	62
الفصل الثاني:اتجاهات النحو القرآني	63-104
المبحث الأول:الاتجاه التفسيري	66-74
المبحث الثاني:اتجاه نحو القراءات	74-84
المبحث الثالث:الاتجاه اللغوي	84-89
المبحث الرابع: الاتجاه النصِّي	89-103
أ-نظم الكلام وتركيبه	90-94
ب ـــ تناسق النظم وترابطه	94-96
ج ـــ موانع النظم	96-103
خلاصة الفصل الثاني	104
الفصل الثالث:تجليات نحو النص في التراث العربي	105-153
توطئة	109-110
المبحث الأول: المقصدية والإعلامية	110-119
أ-المقصدية	110-112
ب-الإعلامية	112-119
المبحث الثاني :الترابط والسبك النصي	120-133
المبحث الثالث :اعتبار المعنى.	133-137
الجملة في القرآن الكريم	136-137
المبحث الر ابع:مراعاة أحوال المتلقي وقرائن السياق.	138-147

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الحذف والتقدير	151-147
خلاصة الفصل الثالث	153-152
الفصل الرابع:مفاهيم ومعايير نحو النص في مؤلفات علماء الإعجاز القرآني في القرن الخامس الهجري	237-155
توطئة	156-155
مفهوم النص عند الجرجا ني	157-156
المفاهيم والتصورات الكبرى المؤسسة للإعجاز القرآني وعلاقتها بنحو النص	163-157
مفاهيم ومعايير النصية لدى الجرجاني	164
المبحث الأول:ما يتصل بالنص في ذاته(معيارا السبك والحبك)	210-165
1-الوصل والفصل	178-173
أ-عطف المفرد على المفرد	179-178
ب-عطف الجملة على الجملة	182-175
-الإحالة	187-182
-التقديم والتأخير	194-187
- دور أداة التعريف(أل)في الاتساق النصي عند الجرجاني	196-194
-إنما ودورها في الاتساق النصي	197-196
-الربط باسم الموصول	198-197
الربط بالتكرير	200-198
-الحذف	202-200
حذف المبتدأ	206-202
حذف المفعول به	210-207
المبحث الثاني:المستوى المعجمي	213-211
الترابط المعجمي عند الجرجاني	211
التكرار عند الجرجاني	213-211

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

-المصاحبة المعجمية	213
المبحث الثالث:ما يتصل بمستعملي النص:القصدية-المقبولية-الإعلامية)	224-213
أ- القصدية	221-213
ب-المقبولية (acceptability)	223-221
ج-الإعلامية(informativity)	224-223
المبحث الرابع ::-مايتصل بالسياق الخارجي محيط النص:(السياق المقامي-التناصية)	234-225
أ-المقامية(السياق المقامي) (situationality):	227-225
ب-التناصية	234-227
خلاصة الفصل الرابع	237-235
الخاتمة	244-238
ملخص الرسالة	252-245
قائمة المصادر والمراجع	268-253
فهرس المحتويات	273-269

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الملخص

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الملخص:

تتبوأ دراسات نحو النص مكانا مركزيا بين الأبحاث والدراسات اللسانية الحديثة، ولعل تزايد البحث في مجال نحو النص ولغته يعود إلى أهميته في خدمة الدرس اللساني، فبعد استغراق البحث على مستوى الجملة، أخذ نحو النص يلفت النظر إلى البحث في مستوى متجاوز وهو النص، وهذا لا يعني أنه ألغى ما توصلت إليه البحوث اللسانيةعلى مستوى الجملة.

وكانت قضية تعارض القاعدة النـــحوية مع الـــنص القرآني قد أخذت اهتمام الباحثين، ففي ظل تلك الدعوات إلى تيسير النحو العربيّ، والتطوراتِ الحاصلة في الدراسات الأسلوبية واللسانية، وتطور مناهج دراسة القرآن الكريم التي أصبحت ضرورةً ومطلباً مُلحاً بوجوب تصحيح منهج تناول النحو العربيّ، وإعادة مَسارهِ إلى ما كان عليه، وإعادة ارتباط النحو بالقرآن الكريم المُتمثّل بإعادة المعاني إلى النحو في ضوء السبيل الذي رَسمهُ القدماء.ظهرت الحاجةُ إلى نَحْوٍ يستمدُّ أُصولَه من مرتكز صحيح ألا وهو نصُ القرآن الكريم. إذ تمثل هذه الدراسة مقاربة للمجهود اللساني العربي لعلماء القرن الخامس الهجري في ضوء نحو النص، تفيد من الحاضر اللساني، وتستحضر إسهامات هؤلاء العلماء الأفذاذ وآراءهم في نحو النص،والتي تمثل ملامح مهمة تكشف عن وعيهم وإدراكهم لهذه المسألة، وهي تتعامل مع مؤلفاتهم، سيما مؤلفات عبد القاهر الجرجاني من خلال كتبه الرسالة الشافية، ودلائل الإعجاز، وأسرار البلاغة، من خلال ممارساته التحليلية، وطرائقه الإجرائية على الآيات القرآنية والشواهد الشعرية.

وقد توّزعت هذه الدراسة على فصولٍ أربعةٍ تسبقُها مقدمة، وتتلوهنّ خاتمة تضمنت أهم نتائج الدراسة. واختصت المقدمة بذكر أسباب اختيار الموضوع والدراسات السابقة وما يمكن أن يقدمه البحث من جديد من علاقة إعجاز القرآن الكريم بما أستجد في الدراسات اللسانية الحديثة والذي تمثل في نحو النص.

حيث تناول الفصل الأول التمهيدي مفهوم النص، وقد جاء هذا الفصل مقسما على أربعة مباحث ، وقفت المبحث الأول منها : على مفهوم نحو النص عند العرب القدماء ، ثم عند المحدثين من غربيين وعرب، وتحدثت في المبحث الثاني : عن أنماط النص عند العرب القدماء ، ثم عند الغربيين المحدثين، أما المبحث الثالث : فقد تحدثت فيه عن نظرة العرب القدماء إلى النص التي ترددت بين نظرة جزئية تارة ،ونظرة كلية شمولية تارة أخرى ، ثم تحدثت عن التحول الذي طرأ في دراسة اللغة عند الغربيين المحدثين من مستوى نحو الجملة إلى مستوى نحوالنص، وفي المبحث الرابع تحدثت عن إجراءات تطبيقية لنحو النص في الراهن العربي المعاصر.وانعقـــــد الفصل الثاني، للكشف عن اتجاهاتنحو القرآن التي عرضها البحث، وتوزعت على أربعة مباحث: الأول الاتجاه التفسيري، والثاني اتجاه نحو القراءات، والثالث الاتجاه اللغوي، والرابع الاتجاه النصي.

ويبحث الفصل الثالث تجليات نحو النص في دراسات القدماء، واشتمل على أربعة مباحث، الأول في المقصدية، والثاني في الترابط النحوي والتماسك النصي، والثالث في المعنى ، والرابع في مراعاة المتلقي وأحواله وقرائن السياق والأحوال.

وعرضت في الفصل الرابع معايير ومفاهيم نحو النص عند علماء اللغة العرب في القرن الخامس الهجري من خلال أربعة مباحث ممثلة كالآتي:

المبحث الأول: ما يتصل بالنص في ذاته (معيارا: السبك والحبك)

المبحث الثاني:مايتصل بالمستوى المعجمي(التكرار والمصاحبة المعجمية)

المبحث الثالث: مايتصل بمستعملي النص(معايير:القصدية،والتقبلية،والإعلامية)

المبحث الرابع:مايتصل بالسياق الخارجي محيط النص(معيارا :المقامية،والتناص)

ثم أوردت بعد ذلك خاتمة مضمنا إياها نتائج البحث وخلاصته.يعقبها ملخص بالعربية والانجليزية والفرنسية، وأنهيت بحثي بخاتمة مجسدة خلاصة البحث ونتائجه.

وإنه لنرجو –عبر فصول هذه الأطروحة الأربعة –أن نستثمر في قراءة الموروث اللساني العربي عبر حقول معرفية متعددة على نحو علوم البلاغة والنحو والتفسير وأصول الفقه...الخ، لهذه المبررات كما سنقوم في هذا البحث بتحليل هذا الجهد في البحث اللغوي أعني ظاهرة نحو النص ومحاولة تأصيلها وإثراء الرؤية الغربية المعاصرة للظاهرة وتعميقها بمزاوجتها بالجهد الذي بذله أسلافنا القدماء.

أما منهجنا في البحث فقد اعتمدنا المنهج الوصفي التحليلي في الكشف عن ملامح تأثير الإعجاز القرآني الكريم في نشأة النحو النصي في التراث العربي، حيث قمنا بتتبع المفاهيم والمعايير النصية التي تبلورت في مؤلفات علماء الإعجاز القرآني في القرن الخامس الهجري لا سيما مؤلفات عبد القاهر الجرجاني في كتب الرسالة الشافية ودلائل الإعجاز وأسرار البلاغة. وهذا المنهج هو منهج علماء العربية القدماء كما أنه منهج الدراسات اللسانية الحديثة.واعتمدنا أيضا منهجا انتقائيا في الاستدلال والكشف عن دقائقه، وهذا المنهج الانتقائي لا يخلو من تحليل الآراء ومناقشتها وموازنتها.

أهداف الدراسة:

1–تحديد معنى واضح ومفصل لمصطلح نحو النص والنصية، وأسسهما ومفاهيمهما.

2–تكشف الدراسة عن نظرية نحو النص فيالنحو العربي وهي نظرية متعلقة بالبحث في الإعجاز القرآني وهي تتشابه في معطياتها مع الدرس اللساني النصي المعاصر، كما اتضح عند النحاة القدماء: الخليل وسيبويه، و تمثلت واضحة عند عبد القاهرالجرجاني.واعتمد النحاة في استقراء قواعدهم وبناء الأحكام النحوية على نص القرآن الكريم وقراءاته، وعناصر معنوية كالقرائن وسياق المقام والظروف وملابسات القول.

3–تبيين وإظهار النحو العربي في لباس جديد .فقد ارتكز النص القرآني على نظام نحوي خاص، كان تأسيس قواعد النحو فيه يستنبط من روح النص القرآني ومعانيه

وأساليبه المعجزة، ومؤسسا على أسس معنوية وفكرية تستند على: مراعاة المخاطب، والمتكلم، وكل ما يحيط بالنص من ظروف وملابسات .

والدراسة تزاوج بين التراثي والحداثة،إذ تربط الموروث النحوي العربي بالدراسات الحديثة في ضوء مناهج البحث اللساني المعاصر، فالبحث في نحو النص القرآني عند علماء العربية القدماء شكل من أشكال الدراسات اللسانية النصية الحديثة، إلا أن النحاة العرب لم يدرسوه ضمن هذا الاصطلاح المتطور، بل تعارفوا على أسسه وأدركوا مكوناته وعلاقاته منذ زمن مبكر.

فجاءنحو النص القرآني ملبيا لمقتضيات المرحلة من مفاهيم تعلقت بطرائق القول والتعبير، وربط القواعد اللغوية بالمعاني السامية والأساليب الراقية.

الكلمات المفتاحية:

نحو النص- الإعجاز القرآني-العلماء العرب القدماء-التراث النحوي-الترابط والتماسك-السبك النصي.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملخص الإنجليزية:

Abstract

.

Textual studies occupy an important position among modern linguistic research, and perhaps the increasing research in the field of text science is due to its importance in the service of linguistic research. After searching the level of the sentence, the textual theory draws attention to the search at the level of the text, Research mechanismat the who lesale level.The issue of contradicting the grammatical rule with the Qur'anic text has attracted the interest of researchers in light of the calls to facilitate Arabic grammar,
the developments in stylistic and linguistic studies, the development of the curricula of the study of the Holy Quran and the emergence of invitations that have become a necessity and an urgent requirement To what it was, and re-linking the grammar of the Holy Quran represented by the return of meanings to grammar in the light of the approach drawn by the ancients. This study represents an approach to the Arabic linguistic effort of scholars of the fifth century AH in the light of the textual lesson, benefiting from the linguistic present, and evokes the contributions of these scientists and their views in the text lesson, which represent important features reveal In particular, the works of Abdul Qahir Al-Jarjani through his books of healing, evidence of miracles and the secrets of eloquence, through his analytical practices, and his procedural methods on Quranic verses and poetic references.

The study was divided into four chapters preceded by an introduction, followed by a conclusion that included the most important results of the study. The introduction of the introduction of the reasons for the selection of the subject and previous studies and what can be provided by the research again of the relationship of the miracle of the Holy Quran with modern linguistic studies known as scriptural.

Chapter I deal twith the concept of the text, and four sections, the first section of which stood: the concept of text in the ancient Arabs, and then the modernists of Westerners and Arabs, and spoke in the second section: the text patterns of the ancient Arabs, , And the third topic: I spoke about the look of the ancient Arabs to the text, which ranged between a partial view sometimes, and a holistic look at other times, and then talked about the shift in the study of language in Westerners updated from the level of sentence to the level of text, On the practical measures of the text in the current Arab world Grate.
The second chapter was devoted to revealing the directions of the Qur'anic text presented in t. It was divided into four sections: the first is the explanatory direction, the second is the direction towards the readings, the third is the linguistic direction and the fourt his the scriptural direction.
The third chapter examines the manifestations of the textual form in the studies of the ancients, and it includes four questions, the first in the intentionality, the second in the grammatical interdependence and the scriptural coherence, the third in meaning, and the fourth in the consideration of the addressee and its conditions.
In the fourth chapter, I presented the criteria and concepts of the grammar of the Arabic linguists in the fifth century AH through four researches and ended my research by concluding the abstract of the research and its results

Objectives of the study:

1. To define a clear and precise concept of the term grammar, its foundations and concepts.
2 The study reveals the theory of textual syntax in the Arabic grammar, a theory related to research in the Quranic miracles, which are similar in their data with the lesson of the textual contemporary, as itturned out in the ancient grammarians: Hebron and Sibweh, and was clear when Abdul QahirJirjani. And the construction of grammatical provisions on the coranic text and readings, and moral elements such as evidence and the context of the place and circumstances.
3-The text of the Qur'an was based on a special grammatical system, the foundation of which was derived from the spirit of the Quranic text, its meanings and miraculous methods, and based on moral and intellectual bases based on: taking in to account the speaker, the speaker, and all that surrounds the text. Circumstances and circumstances.

The studies a mating between heritage and modernity, linking the Arabic grammatical heritage with the modern linguistics tudies. The research on the Qur'anic text of ancient Arabic scholars is a picture of the modern scriptures, but the Arab grammarians did not studyit in this advanced terminology. Rather, they learned about its foundations and its relations. early
The Qur'anic approach came in response to the needs of the age from concepts related to the ways of saying and expressing, and linking the linguistic bases with meanings and methods.

Résumé

Les études textuelles occupent une place importante dans la recherche linguistique moderne, et la recherche croissante dans le domaine de la science du texte est due à son importance au service de la recherche linguistique.

Après avoir recherché le niveau de la phrase, la théorie textuelle attire l'attention sur la recherche au niveau du texte, Mécanisme de recherche au niveau de la vente en gros recherche croissante dans le domaine de la science du texte est due à son importance au service de la recherche linguistique. Après avoir recherché le niveau de la phrase, la théorie textuelle attire l'attention sur la recherche au niveau Les études textuelles occupent une place importante dans la recherche linguistique moderne, et la du texte, Mécanisme de recherche au niveau de la vente en grosLa question de la contradiction entre la règle grammaticale et le texte coranique a suscité l'intérêt des chercheurs compte tenu des appels lancés pour faciliter la grammaire arabe, de l'évolution des études stylistiques et linguistiques, de l'élaboration des programmes d'étude du Coran et de la création d'invitations devenues une nécessité et une nécessité urgente. En ce qui concerne ce que c'était, et relier la grammaire du Coran représentée par le retour des significations à la grammaire à la lumière de l'approche établie par les anciens.

Cette étude représente une approche de l'effort linguistique arabe des érudits du Ve siècle AH à la lumière de la leçon de texte, tirant profit du présent linguistique, et évoque les contributions de ces scientifiques et leurs points de vue dans la leçon de texte, qui révèlent des caractéristiques importantes En particulier, les œuvres de l'imam Al-Faz Abdul Qahir Al-Jarjani à travers ses livres de guérison, ses miracles et ses secrets d'éloquence, ses pratiques analytiques et ses méthodes procédurales sur les versets coraniques et les références poétiques.

L'étude était divisée en quatre chapitres précédés d'une introduction, suivie d'une conclusion incluant les résultats les plus importants de l'étude. L'introduction de l'introduction des raisons du choix du sujet et des études précédentes et de ce que peut être fournie par la recherche à nouveau de la relation du miracle du Coran avec des études linguistiques modernes connues sous le nom grammaire textuelle.

Le chapitre I traitait du concept du texte. Ce chapitre était divisé en quatre sections, dont la première partie: le concept du texte des Arabes antiques, puis celle des modernistes des Occidentaux et des Arabes, et parlait dans la seconde section: les modèles de texte des Arabes anciens. Puis, quand les occidentaux modernes, Troisième sujet: j'ai parlé du texte des anciens Arabes, qui faisait écho entre une vision partielle et une vision globale des autres temps, puis de la transformation qui s'était produite dans L'étude de la langue des Occidentaux modernes du niveau général au niveau du texte et, dans la quatrième section, a porté sur les procédures pratiques du texte dans le contexte du monde arabe contemporain. Le deuxième chapitre a été organisé pour révéler les orientations du texte coranique présenté par la recherche,

, Et divisé en quatre sections: la première est la direction explicative, la seconde est la direction vers les lectures, la troisième est la direction linguistique et la quatrième est la direction scripturale.

Le troisième chapitre examine les manifestations de la forme textuelle dans les études des anciens. Il comprend quatre questions, la première dans l'intentionalité, la seconde dans l'interdépendance grammaticale et la cohérence scripturale, la troisième dans sa signification et la quatrième dans la considération du destinataire et ses conditions.

Dans le quatrième chapitre, j'ai présenté les critères et les concepts de la grammaire des linguistes arabes au Ve siècle au moyen de quatre recherches et j'ai terminé mes recherches en concluant le résumé de la recherche et ses résultats.

les objectifs des études:

1- Définir un concept clair et précis du terme grammaire, de ses fondements et de ses concepts.

2 - L'étude révèle la théorie de la syntaxe textuelle dans la grammaire arabe, théorie liée à la recherche dans les miracles coraniques, dont les données sont similaires à celles de la leçon du texte contemporain, comme il s'est avéré chez les anciens grammairiens: Hébron et Sibweh, et était clair quand Abdul QahirJirjani. Et la construction de dispositions grammaticales sur le texte et les lectures coraniques, ainsi que des éléments moraux tels que la preuve et le contexte du lieu et des circonstances

3-Le texte du Coran était fondé sur un système grammatical spécial, dont les fondements découlaient de l'esprit du texte coranique, de ses significations et de ses méthodes miraculeuses, et reposaient sur des bases morales et intellectuelles fondées sur: la prise en compte du locuteur, du locuteur et de tout ce qui l'entourait. Circonstances et circonstances.
L'étude du mélange du patrimoine et de la modernité, et la mise en relation du patrimoine grammatical arabe avec les études linguistiques modernes, la recherche dans le texte des érudits coraniques d'images anciennes en écriture arabe de textes modernes, mais les grammairiens arabes n'ont pas étudié cette terminologie avancée, Tôt.
.
L'approche coranique répondait aux besoins de l'époque à partir de concepts liés aux manières de dire et d'exprimer, et de relier les bases linguistiques à des significations et des méthodes.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

People's Democratic Republic of Algeria

Ministry of Higher Education and Scientific Research

University of El Emir AbdeL Kader in Islamic Sciences - Constantine

Faculty of literature and Islamic Civilization

Department of Arabic language

Serial Number: .....

Registration number: .....

The impact of Quranic miracle in the emergence of the Arabic text at the scholars of the language in the fifth century AH

Phd thesis in the linguistics studies Speciality :linguistics

Prepared by:
Ammar Souila

Supervised by:

doc. Rabah Dob

Members of the discussion committee

First and familly name	Scientific level	Original University	Adjective
Prof.Dehbia Bourouisse	professor	University of EL Emir Abdelkader Constantine-	Chairman
Prof.Rabah Dob	professor	University of EL Emir Abdelkader Constantine-	Supervisor and rapporteur
Prof .Abdenasser Bentaneche	professor	University of EL Emir Abdelkader Constantine-	member
Prof.Salah khadiche	professor	University of Abbas Laghrour Khenchella	member
Prof .Belkhir Erfis	professor	University of Mohamed Boudiaf -Msila-	member
Prof.Soulef Bouharatti	professor	Hight school Assia djebbar- Constantine-	member

University year 1440-1441H / 2019-2020 AD